

قَالَتِ الْمَنَابِرُ

(المجموعة السابعة)

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

••  ••

قَالَتِ الْمَنَابِرُ

مجموعَةٌ مِنْ خُطَبِ الْجُمُعَةِ أُقِيَّتْ فِي جَامِعِ
الْأَمِيرِ الرَّاحِلِ صَاحِبِ السُّمُو الشَّيْخِ عَيْسَى بْنِ سَلْمَانَ آلِ خَلِيفَةَ
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

(الْمَجْمُوعَةُ السَّابِعَةُ)

أَلْقَاهَا الرَّاجِي عَفْوَ رَبِّهِ

رَاشِدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ فَطِيْسِ الْهَاجِرِيِّ

حَفِظَهُ اللَّهُ وَغَفَرَ لِرِوَالِدَيْهِ

خَطِيبُ جَامِعِ عَيْسَى بْنِ سَلْمَانَ آلِ خَلِيفَةَ

الرِّفَاعُ الْغَرِبِيُّ - مَمْلَكَةُ الْبَحْرَيْنِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المجموعة السابعة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد؛ فله الحمد والفضل والمنة على عونه وتأييده وتيسيره إخراج المجموعة السابعة من كتابي **(قالت المنابر)**، والتي تضم إحدى وثلاثين خطبة جمعة، خطبتها في جامع الأمير الراحل صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة -رحمة الله تعالى-، سائلاً المولى عز وجل أن يكتب لي ولوالدي ولزوجتي ولأولادي ولإخواني وأخواتي أجرها وثوابها، وأن يثقل بها موازين حسناتنا يوم نلقاه، وأن يجعلها لنا صدقة جارية نتفع بها في دنيانا وأخرانا، وأن ينفع بها كل من أسهم وساعد في إخراجها وطباعتها، وكل من قرأها واطلع عليها... اللهم آمين.

ملاحظة: للاطلاع على فكرة هذه المجموعة أرجو من القارئ الكريم قراءة مقدمة المجموعة الأولى. والحمد لله رب العالمين.

وكتبه: الراجي عفوَ ربه

راشد بن محمد بن فطيس الهاجري

حفظه الله وغفر لوالديه

١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م

الرفاع الغربي - مملكة البحرين



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المجموعة الأولى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد:**

فقد بدأتُ الخطابة -بصفة رسمية- قبل عشرين سنة تقريباً، وذلك حين التحقتُ بشعبة الإرشاد والثقافة بالحرس الوطني، وكان من جملة مهامّي الوظيفية إلقاء خطبة الجمعة في جامع معسكر الحرس الوطني، إلى أن تشرفتُ بصدور التوجيه السامي الكريم لصاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة ملك مملكة البحرين -حفظه الله ورعاه- بتعييني خطيباً رسمياً لجامع المغفور له -بإذن الله تعالى- صاحب السمو الأمير الراحل الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة طيب الله ثراه، وذلك في عام ١٤٣١هـ الموافق ٢٠١٠م.

وفي خلال هذه الفترة التي قضيتها خطيباً أدركتُ تماماً أهمية خطبة الجمعة وخطورة التهاون فيها، فلقد كنتُ أقابلُ في كل جمعة عقولاً راجحةً جديرةً بالاحترام والاهتمام، فكنتُ أهتمُّ كثيراً بموضوع الخطبة، ولا أبالغُ إذا قلتُ: إنّي أفكّرُ في موضوع الخطبة التالية منذُ بداية الأسبوع، ولقد زادني تعظيماً لشأن الخطبة أن هذا المقام هو مقام النبيين والمرسلين، وهو توقيعٌ عن رب العالمين، ووسيلةٌ عظيمةٌ لنشر الحق وإداعة الدين.

هذا المقام مقام الرُّسلِ قاطبةً وفوقه حاربوا كيدَ الشَّيَاطِينِ
وموطنُ النَّصْحِ والإرشادِ من زمنٍ ومنبرُ الحَقِّ والتَّعليمِ للدينِ

والحقُّ أَنِّي استفدْتُ كثيرًا منَ خطبِ العلماءِ ودروسِهِمْ وكتبِ الدُّعَاةِ
ومقالاتِهِمْ، فكنتُ أَخْصُ بعضَ الكتبِ والمقالاتِ والخطبِ وأعيدُ صياغَتَهَا؛
ليتناسبَ المقالُ معَ المقامِ، ولا أدَّعي أَنِّي جئتُ في هذهِ الخطبِ بالجديدِ أبدًا، وإِنَّمَا
هي نُقولٌ جمعُتُهَا وألَّفتُ بينها وقدمتُهَا على هيئةِ خطبةٍ.

ولمَّا كنتُ أَلقي هذهِ الخطبَ ارتجالًا منَ ذاكرتي دونَ كتابتِهَا أشارَ على بعضِ
الإخوةِ بتسجيلِهَا، ثمَّ تفرغِهَا في كتابٍ لِيستفادَ مِنْهَا.

زكاةُ العلمِ بذلٌّ ثمَّ نشرٌ وما كالعلمِ في أخراكِ دُخْرٌ
تُفيدُ بِهِ الخلائقَ كلَّ حينٍ ويبقى مِنْهُ بعدَ الموتِ أَجْرٌ

ولقد كنتُ مترددًا كثيرًا في تلبيةِ طلبِهِمْ إلى أنَ شرحَ اللهُ صَدْرِي لذلكِ،
فقمْتُ بتفريغِ المجموعةِ الأولى منَ هذهِ الخطبِ - وعددها تسعَ وأربعونَ خطبةً -
في هذهِ المؤلَفِ، وأخَرْتُ البقيةَ للمجموعاتِ القادمةِ بإذنِ اللهِ تعالى.

ولا يَسَعُنِي في هذا المقامِ وبعدَ شكْري اللهُ على ما منَّ بِهِ عَلَيَّ منَ فضلِ إخراجِ
هذهِ المجموعةِ مِنَ الخُطْبِ إلا أنَ أشكُرُ جميعَ منَ ساعدني وساهمَ في إخراجِ هذهِ
الخطبِ سائلًا اللهُ لي ولهمُ الأجرَ والثَّوابَ السَّدَادَ والصَّوابَ.

تولاني الأجابةُ والصَّحابُ أعانوني فصاحبني الصَّوابُ
وخيرُ الصَّحبِ منَ يؤتيكَ نصْحًا يفيدُكَ حينَ يغشاكِ الترابُ

وفي الختام أرجو ممن سيقراً هذه الخطب أن يعذرني إن وجد خطأ وخللاً؛
فقد ألقىت هذه الخطب - كما تقدم - حفظاً من ذاكرتي.

وإن تجد عيباً فسُدَّ الخلل جَلَّ مَنْ لا عيبَ فيه وعَلا

وعليه فأرجو ممن رأى شيئاً أن يبذل النصيحة ويوافيني بما وجد؛ لأتدارك
ذلك في الطبعات القادمة إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

راشد بن محمد بن فطيس الهاجري

الرفاع الغربي - مملكة البحرين

جمادى الأولى ١٤٣٨هـ / فبراير ٢٠١٧م

للمراسلة: alhajri.64@gmail.com





(١)

المشي في حاجة الناس

• • ❁ • •

إِنَّ مِنَ الْعِبَادَاتِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا الْأَجْرُ الْكَثِيرُ: الْقِيَامَ عَلَى خِدْمَةِ النَّاسِ وَقَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ، وَتَقْدِيمَ مَنَفَعَتِهِمْ، فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِذَلِكَ، وَأَوْصَى رَسُولَهُ ﷺ بِذَلِكَ.

قَالَ الْحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

فَمَنْ أَرَادَ الْفَلَاحَ وَالنَّجَاحَ؛ فَلْيَسْعَ فِي تَقْدِيمِ الْحَوَائِجِ إِلَى الْآخَرِينَ، وَلْيَتَقَرَّبْ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهَذَا الصَّنِيعِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ جَابِرٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ: «مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ»^(١).

وَفِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ: «مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ بِشَيْءٍ فَلْيَفْعَلْ»^(٢).

تَنْفَعُهُ بِمَالِكَ أَوْ بِجَاهِكَ، أَوْ مِنْ خِلَالِ وظيفتك، أَوْ مِنْ خِلَالِ مَنْصِبِكَ، أَوْ بِكَلِمَةٍ، تَنْفَعُهُ، أَوْ بِشَفَاعَةٍ، كُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي تُقَدِّمُهُ لِنَفْسِكَ؛ لِذَا جَاءَ التَّرغِيبُ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ فِي هَذِهِ الْعِبَادَةِ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

(١) أخرجه مسلم: كتاب السلام، باب استحباب الرقية من العين، رقم (٢١٩٩).

(٢) أخرجه أحمد (٣/٣٩٣).

في سورة المزمل: ﴿وَمَا نُفَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ نَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المزمل: ٢٠].

وقال سبحانه وتعالى في سورة النساء: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥].

وجاء في «صحيح البخاري» أن رسول الله ﷺ قال: «اشْفَعُوا فَتُؤَجَّرُوا، وَلَيَقْضِ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ مَا شَاءَ»^(١).

ونفع الناس بالجاه، أو بالمنصب، أو بالإطعام، أو بالسُّقيا، أو بالمواساة، فقد جاء في «صحيح مسلم» أن رسول الله ﷺ قال: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدَّنِي! قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُوذُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدَّهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ وَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَطَعْمْتِكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي! قَالَ: يَا رَبِّ، وَكَيْفَ أَطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا جَاءَكَ يَسْتَطْعِمُكَ فَلَمْ تُطْعِمَهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟ يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَسْقَيْتَكَ فَلَمْ تَسْقِنِي! قَالَ: يَا رَبِّ، وَكَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: فَاسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فَلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا عَلِمْتَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟»^(٢).

فالله تبارك وتعالى ورسوله ﷺ يُرغَّبون في فعل الخير حتى لو كان فعل الخير

(١) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها، رقم (١٤٣٢)، من

حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة، باب فضل عيادة المريض، رقم (٢٥٦٩)، من حديث أبي

هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هَذَا شَيْئًا يَسِيرًا، فَقَدْ جَاءَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ، مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ مَنَحَ مَنِيحَةَ لَبْنٍ» أَي: أَعْطَى أَهْلَ بَيْتٍ مِنَ الْفُقَرَاءِ شَاةً أَوْ نَاقَةً أَوْ بَقْرَةً، قَالَ: أَحْلَبُوهَا وَاشْرَبُوهَا مِنْ لَبْنِهَا، فَإِذَا جَفَّ صَرْعُهَا أَعِيدُوهَا، هَذِهِ تُسَمَّى مَنِيحَةً، «أَوْ مَنِيحَةَ وَرِقٍ» يَعْنِي: أَعْطَى آخَرَ قَرْضًا، «أَوْ هَدَى زُقَاقًا» أَي: جَاءَهُ سَائِلٌ، قَالَ: أَيْنَ الطَّرِيقُ إِلَى بَيْتِ كَذَا أَوْ إِلَى مُجْمَعِ كَذَا؟ فَقَالَ: اسْلُكْ هَذَا الطَّرِيقَ «كَانَ لَهُ مِثْلُ عَتِقِ رَقَبَةٍ»^(١).

وَجَاءَ عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «وَلَا نَنْ أَمْشِي مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ شَهْرًا»^(٢) فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ الَّذِي الصَّلَاةُ فِيهِ بِأَلْفِ صَلَاةٍ!

وَقَضَاءُ حَوَائِجِ النَّاسِ عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ مَيَّزَهَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِمِزَايَا، مِنْهَا: الْمِيزَةُ الْأُولَى: أَنَّهَا اصْطِفَاءٌ وَاخْتِيَارٌ مِنَ اللَّهِ، فَإِذَا رَأَيْتَ مِنْ نَفْسِكَ أَنَّكَ تَفْرَعُ لِلْآخَرِينَ، وَتَقُومُ بِوَاجِبِهِمْ فِي كُلِّ حِينٍ؛ فَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكَ إِلَى الْخَيْرِ. جَاءَ عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ فِي «مُعْجَمِهِ الْأَوْسَطِ» مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عِبَادًا اخْتَصَّ اللَّهُ بِالنِّعَمِ» اخْتَصَّ هَذَا بِنِعْمَةِ الْمَالِ، وَهَذَا بِنِعْمَةِ الْمَنْصِبِ، وَهَذَا بِنِعْمَةِ الْجَاهِ، وَهَذَا بِنِعْمَةِ أَنَّهُ مَسْمُوعٌ الْكَلِمَةِ، «لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، يُقْرَأُ فِيهَا مَا بَدَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ، فَحَوَّلَهَا إِلَى

(١) أخرجه أحمد (٤/٢٩٦)، والترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في المنحة، رقم (١٩٥٧).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/٤٥٣)، رقم (١٣٦٤٦)، وفي الأوسط رقم (٦٠٢٦).

غَيْرِهِمْ»^(١)، أي: أعطاهم هذه النعمة لأجل منافع العباد، وتبقى فيهم هذه النعم إذا فزعوا للآخرين وقضوا حوائجهم.

الميزة الثانية: أن الذي يقضي حوائج الناس هو أحب الناس إلى الله، أخبر بهذا الذي لا ينطق عن الهوى رسول الله ﷺ، فقد جاء عند الطبراني في «معجمه الأوسط» أنه جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله، أي الناس أحب إلى الله؟ قال: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس»^(٢).

فحتى لو كنت موظفًا في مكتبك، تقوم على خدمة الآخرين وتخلص في عملك، وتخدم الكبير، وترحم الصغير، وترحم المسكين والضعيف، وتجهد نفسك، وتتعبد نفسك؛ اعلم أنك أحب الناس إلى الله.

الميزة الثالثة: أن الله وعدك بطوبى على لسان رسوله ﷺ، وطوبى هو الخير العميم المبارك، فقد جاء في حديث أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند ابن ماجه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ»^(٣).

الميزة الرابعة، وهي من أعظم مزايا قضاء حوائج الناس: أن الله سبحانه وتعالى

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط رقم (٥١٦٢)، وأبو نعيم في الحلية (٦/١١٥)، والبيهقي في الشعب رقم (٧٢٥٦).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/٤٥٣)، رقم (١٣٦٤٦)، وفي الأوسط رقم (٦٠٢٦)، وأبو نعيم في الحلية (٦/٣٤٨)، من حديث ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**.

(٣) أخرجه ابن ماجه: المقدمة، باب من كان مفتاحا للخير، رقم (٢٣٧).

يَقْضِي حَاجَتَكَ، فَإِذَا نَفَعْتَهُمْ نَفَعَكَ، وَإِذَا كُنْتَ فِي عَوْنِهِمْ كَانَ اللَّهُ فِي عَوْنِكَ، وَاَنْظُرْ هَذِهِ الْأَدْلَةَ الْكَثِيرَةَ، فَقَدْ جَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «وَمَنْ يَسَّرَ عَلَيَّ مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»^(١).

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَاللَّهُ فِي حَاجَةِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ»^(٢).

وَعِنْدَ الْحَاكِمِ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ» قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ»^(٣).

وَعِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ فِي «مُعْجَمِهِ الْأَوْسَطِ» قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى أَثْبَتَهَا لَهُ، أَثْبَتَ اللَّهُ عَرْجَلَهُ قَدَمَهُ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَذَلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ»^(٤).

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدِمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ^(٥)

وَقَدْ فَهَمَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَسَلَفُ الْأُمَّةِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ وَعَلِمُوا بِحَقِيقَةِ هَذِهِ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، رقم (٢٦٩٩)، من

حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، رقم (٢٤٤٢)، من

حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک (١/١٢٤)، والبيهقي في الشعب رقم (٧٧٠٤)، من حديث أنس

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه المعجم الأوسط للطبراني رقم (٦٠٢٦)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٥) البيت للحطية، انظر: ديوان الحطية بشرح ابن السكيت والسكري (ص: ٢٨٤).

العبادة؛ فصدّرت عنهم أقوال وأفعال تُنبئ عن فهمهم لهذه العبادة على حقيقتها، فهذا ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول: «لأن أعول -أي: أقوم على حاجة- أهل بيت شهرًا، أو جمعة، أو ما شاء الله أحب إلي من حجة بعد حجة»، أي: أن أقوم على شؤون أسرة أحب إلي من حجة بعد حجة^(١). وهذا الحسن رحمة الله يقول: «لأن أفضي لمسلم حاجة واحدة أحب إلي من أن أصلي ألف ركعة»^(٢).

وكانوا إذا قَضَوْا حوائج الناس جعلوا عملهم لله، لا يريدون جزاء ولا شكورًا، ولا يُخبرون بأعمالهم ولا ينشرونها، بل يُخفونها، حتى رُبما اتهم أحدهم بالبخل؛ لأنهم لا يرونه يُقدّم شيئًا من شدة خفاء عمله، كما حصل لعلي بن الحسين الملقب بزین العابدين رضي الله عنهما، كان يُبخل -يقال: لا يُنفق ولا يُعطي ولا يُقدّم- فلما مات رضي الله عنه وجدوه يعول مئة بيت من أهل المدينة، فلما جردوه ليُغسلوه وجدوا آثار الحبال من كثرة الأحمال التي كان يحملها ليلاً^(٣). لم يكونوا يسعون في تقديم حوائج الناس إلى الظهور وأن يُشار إليهم بالبنان على أنهم مُحسنون.

وأيضًا كانوا يُقدّمون خدماتٍ للآخرين دون أن يُظهِروا للآخرين عجزهم، أو يُجرحوهم أمام الملاء، أو يُذهبون ماءً وجوههم من شدة السؤال.

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/٣٢٨).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في اصطناع المعروف رقم (٩٤)، وفي قضاء الحوائج رقم (٣٧).

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في الزهد رقم (٩٢٢)، وأبو داود في الزهد رقم (٤٤٨)، وأبو نعيم في

حلية الأولياء (٣/١٣٦).

وإليك هذه الرواية التي ذكرها ابن عساكر في «تاريخ دمشق»: «جاء رجل له حاجة إلى أمير المؤمنين الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: يا أمير المؤمنين، إن لي إليك حاجة، فإن أنت قضيتها حمدت الله وشكرت، وإن أنت لم تقضها حمدت الله وعذرتك. فقال الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اكتب حاجتك على الأرض، فإني أكره دَلَّ السؤال في وجهك، فكتبها، فقضاها له»^(١).

فقضاء حوائج الناس عبادة عظيمة، ومن أجل العبادات، وتتقدم على كثير من أمهات العبادات، فأقضى حوائج الناس دون أن تطلب منهم شيئاً، لا دعاءً، ولا ثناءً، ولا صوتاً ولا غير ذلك.



(١) تاريخ دمشق (٤٢/٥٢٣).



(٢)

توجيهات في تحصيل الحسنات

•• ❁ ••

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا خَلَقَ النَّفْسَ الْبَشَرِيَّةَ، خَلَقَهَا وَقَدْ جَبَلَهَا عَلَى التَّطَلُّعِ إِلَى جَدْوَى أَيْ عَمَلٍ تَقُومُ بِهِ، فَإِذَا عَرَفَتِ الْجَدْوَى، وَأَتَمَّتْ مُجْدِيَّةً، انْبَعَثَتْ فِي الْعَمَلِ، وَنَشِطَتْ فِيهِ، وَكَذَلِكَ نَفْسُ الْمُؤْمِنِ تَتَطَلَّعُ دَائِمًا إِلَى الْجَدْوَى، وَلَكِنَّ جَدْوَاهَا الْفَوْزُ بِالدرجاتِ وَالْحَسَنَاتِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَغَّبَ النَّفُوسَ الْمُؤْمِنَةَ بِالْحَسَنَاتِ، وَبِعَظِيمِ الدَّرَجَاتِ، وَأَمَرَهَا بِالْإِسْرَاعِ فِي ذَلِكَ.

فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ [الحديد: ٢١].

وَالْحَسَنَاتُ لَهَا ضَابِطٌ لَا بُدَّ أَنْ تَقَفَ عِنْدَهُ، وَهَاهُنَا عَدَدٌ مِّنَ الْمُلَاحَظَاتِ، فَتَنَّبَهُ لَهَا:

الْمُلَاحَظَةُ الْأُولَى: أَنَّ الْمُسْلِمَ - وَهُوَ يَعْمَلُ - عَيْنُهُ عَلَى الْحَسَنَةِ، فَيَتَحَرَّكُ لِأَنَّهُ يَرَى هَذِهِ الْحَسَنَاتِ؛ بِخِلَافِ غَيْرِهِ، وَانظُرْ فِي قَوْلِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَهِنُوا

فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۗ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۗ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ [النساء: ١٠٤]، أي: رجاؤكم هذه الدرجات، وتلك الحسنات.

الملاحظة الثانية: اعلم أن ما يُحصّله العبد من حسناتٍ هي ليست ثمناً لعمله، ولا عوضاً لعمله، ولا في مُقابلِ عمله، وإنما هي فضلٌ محضٌ ومنةٌ ورحمةٌ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يُدْخِلُ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، وَلَا يُخْرِجُهُ مِنَ النَّارِ، وَلَا أَنَا إِلَّا بِرَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ»^(١).

فنعلم، نعملٌ وعيوننا تُبصرُ الحسناتِ، ولكننا على يقينٍ أن هذه الحسناتِ فضلٌ ومنةٌ ورحمةٌ من الله، وليست هي في مقابلٍ ما نعملُ.

الملاحظة الثالثة: ميّز الله هذه الأمة بأن ضاعف لها الحسناتِ، تأتي هي بالعمل الواحد، ولكن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يجزيها بالحسناتِ الكثيرة، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۗ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْرَىٰ إِلَّا بِمِثْلِهَا ۗ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

الملاحظة الرابعة: اعلم أن البوابة الأولى لتحصيل الحسنات هي الإخلاصُ، فلو عمل العبد في ليله ونهاره، ولم يكن مُخلصاً لله، فلا يُؤمّلُ حسنةً واحدةً، فالإخلاصُ هو البوابة الأولى لقبولِ العملِ وتحصيلِ الحسناتِ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ

(١) أخرجه مسلم: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله، رقم (٧٧/٢٨١٧)، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ آتِيغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ [النساء: ١١٤].

الملاحظة الخامسة: وهي عظيمة جدًا، أن العبد قد تتابع عليه الحسنات، وتجرى عليه، ولا تتوقف ولو توقفت هو عن العمل؛ وذلك حين يقف عن العمل بعذر، وقد كان قبل ذلك يداوم على فعل الصالحات.

قال رسول الله ﷺ: «إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا»^(١)، أي: كُتِبَتْ لَهُ الْحَسَنَاتُ وَإِنْ تَوَقَّفَ عَنِ الْعَمَلِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَتَوَقَّفَ الْيَوْمَ بِسَبَبِ الْعَذْرِ، وَلَكِنَّ الْكَرِيمَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمْ يَتَوَقَّفْ، فَأَجْرَى عَلَيْهِ هَذِهِ الْحَسَنَاتِ.

هذه خمس ضوابط إذا وضحت إليك تطلعت نفسك إلى العمل، وعينك الأخرى على هذه الحسنات.



(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد، باب يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة، رقم (٢٩٩٦)، من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



(٣)

الوقار خلق الكبار



حديثنا عن خلق كريم من أخلاق الكبار، خلق يحتاجه الكبير والصغير، والعالم والجاهل، كما يحتاجه الجاد والهازل، ويحتاجه البائع والمشتري كما يحتاجه الفقير والغني، ويحتاجه الخطيب، والأديب، والمريض والطبيب، وهو خلق الوقار في زمن ما أحوجنا فيه للحديث عن الوقار، زمن كثير فيه السفه، وصار للسفاه فيه وزن وقيمة، وكثر فيه السفه، وصار له شأن وقيمة، حتى قال القائل: «إذا أردت أن تشتهر، وتكون نجماً، ويشار إليك بالبنان، ويتبعك مئات الألوف، وتفتح لك المجالس، بل صدور المجالس، وتُستقبل استقبال الأبطال الفاتحين الكبار، فما عليك إلا أن تتخلى عن خلق الوقار». ومع كل أسف، هذا هو الواقع. والوقار هو السكون، والحلم، والرزانة، والتأني، وهو الإمساك عن فضول الكلام والحركة، وهو السكينة، والطمأنينة، وهو خلق الأنبياء من لدن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ بخلاف خلق الشياطين: الخفة، والطيش، والاستعجال، والرعونية، والتهور، والاندفاع، قال رسول الله ﷺ: «التأني من الله، والعجلة من الشيطان»^(١).

(١) أخرجه الترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التأني والعجلة، رقم (٢٠١٢)، من حديث

سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد امتدح الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِبَادَهُ، وجعل من أخص خصائصهم أنهم تخلَّقوا
بخلقِ الوقارِ، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا
خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (٦٣) [الفرقان: ٦٣].

قال مجاهدٌ رَحِمَهُ اللهُ كما نقل الطبريُّ في «تفسيره»: ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾
أي: بالسكينة والوقار^(١)، وقال مرةً أخرى: «بالحلم والوقار»^(٢).

وقد حذر الله سبحانه وتعالى من ضدِّ هذا الخلقِ، فقال: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ
مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ
مُخَالِفٍ فَخُورٍ﴾ (١٨) وَأَقْصِدْ فِي مَسِيكِ وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿
[لقمان: ١٨-١٩].

وقالت أمُّ المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وهي تصفُ خلقَ النبي ﷺ: «مَا رَأَيْتُ
النَّبِيَّ ﷺ مُسْتَجْمِعًا قَطُّ ضَاحِكًا حَتَّى أَرَى مِنْهُ هَوَاتِهِ، إِنَّهَا كَانَتْ يَتَبَسَّمُ»^(٣).
نعم، كان يضحك، ولكن ليس هذا الغالب على أمره، وإنما كان الغالبُ
على أمره التَّبَسُّمُ.

(١) تفسير مجاهد (ص: ٥٠٦)، تفسير عبد الرزاق (٢/٤٥٨)، وتفسير الطبري (١٧/٤٩٠)،
وتفسير ابن أبي حاتم (٨/٢٧٢١).

(٢) تفسير الطبري (١٧/٤٩٠).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب التَّبَسُّمِ والضحك، رقم (٦٠٩٢)، ومسلم: كتاب صلاة
الاستسقاء، باب التَّعَوُّذِ عِنْدَ رُؤْيَةِ الرِّيحِ وَالغَيْمِ، رقم (١٦/٨٩٩).

وخلق الوقار خلقاً مكتسباً، يكتسبه الإنسان إذا صاحب الأخيار الذين يتحلون بخلق الوقار، حتى وإن كان من أصحابهم من غير بني البشر، فالإنسان يتأثر بجليسه وإن كان من الدواب، فقد جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري، أن رسول الله ﷺ قال: «**أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَرْقُ أَفْنَدَةً، وَالْيَمَنُ قُلُوبًا، الْإِيمَانُ يَمَانٌ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ، وَالْفَخْرُ وَالْحُبْلَاءُ فِي أَصْحَابِ الْإِبِلِ، وَالسَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ**»^(١)، «وما من نبي إلا وقد رعى الغنم»^(٢)؛ فتأثر بذلك.

ونحن في طريقنا إلى أعظم العبادات، في صلاة، أو في حج، يُرَبِّينا رسول الله ﷺ أن نتحلّى بخلق الوقار، حتى وإن أقيمت الصلاة، وسمعنا صوت المؤذن يُقيمها، فقد قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْإِقَامَةَ فَاْمْشُوا إِلَى الصَّلَاةِ، وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ، وَلَا تُسْرِعُوا؛ فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأْتُوا**»^(٣).

وفي سنن النسائي أن رسول الله ﷺ ليلة نَفَرَ مِنْ عَرَفَةَ، والناس بين يديه يسرعون، ويتعجلون للوصول إلى مزدلفة، كان يُنادي فيهم قائلاً: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ**»^(٤). وهم في أعظم عبادة.

(١) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن، رقم (٤٣٨٨)، ومسلم:

كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه، رقم (٥٢).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط رقم (٣٤٨٩)، وأبو نعيم في الحلية (٧/٢٣٩)، من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب لا يسعى إلى الصلاة، رقم (٦٣٦)، ومسلم: كتاب المساجد،

باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة، رقم (٦٠٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أحمد (٥/٢٠١)، والنسائي: كتاب مناسك الحج، باب فرض الوقوف بعرفة، رقم

(٣٠١٨)، من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.

وهناك أمورٌ تُعينُ على اكتسابِ خلقِ الوقارِ، من ذلك: المعينُ الأوَّلُ: أن يسكنَ القلبُ، والقلبُ هو أميرُ البدنِ، فإذا سكنَ القلبُ سكنتَ الجوارحُ تبعًا له، وأبرزُ مظاهرِ الوقارِ هو خشوعُ الجوارحِ، فلا تجدُ المرءَ طائشًا مستخفًّا، أرعنَ متهورًا، بل وقورًا في حديثه، ووقورًا في مشيه، وفي قراره، فإذا نزلتِ السكينةُ في القلبِ تأثرتْ هذه الجوارحُ.

وأعظمُ ما يسكنُ القلوبَ ذكرُ الله تبارك وتعالى قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وقال رسولُ الله ﷺ كما جاء في «صحيح مسلم»: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»^(١).

وقال ابنُ القيمِ رحمه الله: «والسكينةُ إذا نزلتْ على القلبِ سكنتَ الجوارحُ، وخشعتْ، واكتسبتِ الوقارَ»^(٢).

وقال أحدُ البلغاءِ: «الزَمِ الصَّمْتَ» أي: لا تُكثِرْ مِنَ الْكَلَامِ، «فإِنَّهُ يُكْسِبُكَ صِفْوَةَ الْمَحَبَّةِ، وَيُؤَمِّنُكَ سِوَةَ الْمَغْبَةِ، وَيُلْبِسُكَ ثَوْبَ الْوَقَارِ، وَيَكْفِيكَ مُؤْنَةَ الْإِعْتِدَارِ»^(٣).

المعينُ الثاني: عليك بتدبُّرِ سيرِ الأنبياءِ، اقرأ في سيرهم، وأكثر من القراءة في سيرة نبيِّنا محمدٍ ﷺ وانظر إلى أحواله، وإلى وقاره كيف كان؛ فإنَّك تجدُ في

(١) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، رقم (٢٦٩٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) مدارج السالكين (٢/٤٧٣).

(٣) انظر: أدب الدنيا والدين للماوردي (ص: ٢٧٥).

أخلاقهم وفي سيرتهم الوقار ظاهرًا بيّنًا.
 قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْهَدْيَ الصَّالِحَ، وَالسَّمْتَ الصَّالِحَ، وَالْإِقْتِصَادَ جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةِ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوَّةِ»^(١). فالوقارُ جزءٌ من النبوة، وقرأ في هذا الجزء من سيرة الأنبياء.

المعِينُ الثالثُ: كُنْ قَرِيبًا مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَبَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَتَخَلَّقْ بِأَخْلَاقِهِمْ، لَكِنْ لَيْسَ أَيْ عَالِمٍ، إِنَّمَا الْعُلَمَاءُ الرَّبَّانِيُّونَ، الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِي شَأْنِهِمْ: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيَْنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِبْرَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾^(٢) [آل عمران: ٧٩].

العلماء الذين يُربُّون بصغار الأمور قبل كبارها، الذين يُربُّون على الأدب قبل العلم، هكذا كان شأنهم، وهكذا كانت وصايا الآباء للأبناء.
 فقد قال إبراهيم بن حبيب رَحِمَهُ اللَّهُ لابنه: «يا بُنَيَّ، أَتَيْتِ الْفُقَهَاءَ وَالْعُلَمَاءَ، وَتَعَلَّمْتُمْ مِنْهُمْ، وَخُذْتُمْ مِنْ أَدَبِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَهَدْيِهِمْ قَبْلَ عِلْمِهِمْ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَثِيرٍ لَكَ مِنَ الْحَدِيثِ»^(٣).

وقال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ لفتى من قريش: «يا بُنَيَّ، تَعَلَّمِ الْأَدَبَ قَبْلَ الْعِلْمِ»^(٤)؛ بل وأخبر مالك عن نفسه، فقال: «كَانَتْ أُمِّي تَأْخُذُنِي إِلَى مَجْلِسِ رَيْبَعَةَ الرَّأْيِ» أَحَدِ شَيْوْخِ مَالِكٍ، «وَقَبْلَ أَنْ تُدْخِلَنِي عَلَيْهِ وَأَنَا صَغِيرٌ، تَقُولُ: يَا مَالِكُ، تَعَلَّمْ مِنْ أَدَبِهِ قَبْلَ عِلْمِهِ»^(٤).

(١) أخرجه أحمد (٢٩٦/١)، وأبو داود: كتاب الأدب، باب في الوقار، رقم (٤٧٧٦)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي للخطيب البغدادي رقم (١٠).

(٣) غرائب مالك لابن المظفر رقم (٤٨)، وحلية الأولياء (٣٣٠/٦).

(٤) مسند الموطأ (ص: ٣٠٢)، والتمهيد لابن عبد البر (٤/٣)، وترتيب المدارك (١/١٣٠).

وكان يجتمع في مجلس الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ أكثر من خمسة آلاف طالب علم، يقول الراوي: «أقل من خمس مئة يتعلمون منه العلم، والباقي يتعلمون منه حُسن الأدب وحسن السميت»^(١). أي: الوقار.

وكما أن هناك أمورًا تُعين على التخلُّق بخلق الوقار، فهناك خوارم من ابتلي بها فرط في هذا الخلق أيا تفریط، من ذلك: المجاهرة بالمعصية، وفعل الحماقة والتصرفُ بها، وقلة الحياء، وكثرة المزاح.

قال عمرُ للأحنف بن قيس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في وصية عظيمة: «مَنْ كَثُرَ ضِحْكُهُ قَلَّتْ هَيْبَتُهُ، وَمَنْ مَزَحَ اسْتُخِفَّ بِهِ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ، وَمَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ، وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ، وَمَنْ مَاتَ قَلْبُهُ كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ»^(٢).

إنَّه خُلِقَ الوقار، وما أحوَجنا أن نرى قدواتٍ في مجتمعاتنا وهم يَتمثلون بهذا الخلق! وما أحوَجنا أن نرى مَنْ يُقدِّرُ هؤلاء، ويرفع شأنهم، ويفتح لهم المجالس، ويجعلهم في صدورِها، ويؤيِّئهم الأماكن التي يستحقُّونها؛ ليكونوا قدواتٍ تشرِّبُ إليهم أعناقُ الأبناء!



(١) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص: ٢٨٨).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الحلم رقم (١٢٦)، والطبراني في المعجم الأوسط رقم (٢٢٥٩)، والبيهقي في الشعب رقم (٤٦٤٠).



(٤)

الشهوات ومدار النجاة

• • ❁ • •

كَانَ مِنْ عَادَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ إِذَا جَلَسَ مَعَ أَصْحَابِهِ يَقُولُ لَهُمْ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا»، وَيَقْصُّ عَلَيْهِمْ أحيانًا مَا يَرَى، وَرُؤْيَا الْأَنْبيَاءِ حَقٌّ، وَفِي يَوْمٍ ذَكَرَ لَهُمْ حَدِيثَ الرُّؤْيَا؛ وَهُوَ حَدِيثٌ طَوِيلٌ، قَالَ فِي بَعْضِهِ: إِنَّهُ رَأَى أَنَّ رَجُلَيْنِ أَتِيَاهُ وَانْطَلَقَا بِهِ، قَالَ: «فَانْطَلَقْنَا فَاتَيْنَا عَلَى بِنَاءٍ مِثْلِ التَّنُّورِ، أَعْلَاهُ ضَيْقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ، فَإِذَا فِيهِ لَعَطٌ وَأَصْوَاتٌ، فَاطَّلَعْنَا فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاءٌ، يَأْتِيهِمْ هَبٌّ مِنْ أَسْفَلٍ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا، فَقُلْتُ: مَنْ هُوَ لَآءٍ؟ قَالَ: فَأَمَّا الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاءُ الَّذِينَ فِي بِنَاءٍ مِثْلِ التَّنُّورِ فَهُمْ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي»^(١).

فَجْرِيْمَةُ الزُّنَا أَبْشَعُ الْجُرَائِمِ، وَأَكْبَرُ الْكِبَائِرِ، وَأَقْبَحُ الْفَوَاحِشِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِعَدَمِ الْاقْتِرَابِ مِنْهَا، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعَام: ١٥١].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف: ٣٣].
وَيَبَيِّنُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِظَمَ جُرْمِهَا، فَقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ

(١) أخرجه البخاري: كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، رقم (٧٠٤٧)، من حديث

سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ^{٦٩} وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَعَّفُ لَهُ الْكُذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَحْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٦٩].

وهي جريمة لا تقبل بها الفطر السليمة، ولا العقول المستقيمة، ولا النفوس الكريمة، فإذا لم تحصن نفسك من الزنا ببناء قوي تبنيه في صدرك وفي نفسك؛ فإن الأمر خطير، وهاهنا أبين لك كيف تبني هذا الجدار في نفسك؛ حتى يحول بينك وبين الوقوع في هذه الجريمة، فإنك تبني جداراً عظيماً تحصنه وتحميه وتتعاهده بأمرين اثنين:

الأمر الأول: تستشعر عظمة الرب **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وتستشعر أنه مطلع عليك.

الأمر الثاني: تكثر من العمل الصالح.

وقد أنزل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لنا في كتابه الكريم آيات من قرأها بنى في نفسه شيئاً من هذا الجدار، قال الحق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: **﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾** [البقرة: ٢٣٥]، أي: أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يعلم مجرد هذه الخواطر والهواجس والظنون والأمانى قبل أن تقوم بالعمل.

وهناك آية عظيمة في سورة الحج، لو جعلها الإنسان نصب عينيه دائماً؛ قال الحق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: **﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾** [الحج: ٧٠].

وَإِذَا مَا خَلَقَتْ بَرِيَّةً فِي ظُلْمَةٍ
وَالنَّفْسُ دَاعِيَةٌ إِلَى الطُّغْيَانِ
فَاسْتَحْيِي مِنْ نَظَرِ الْإِلَهِ وَقُلْ لَهَا
إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الظَّلَامَ يَرَانِي^(١)

(١) نونية القحطاني (ص: ٢٩ - ٣٠).

وقال الحقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِيحُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَخْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكْتُوْتُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

وتذكرُ كُتُبُ السَّيْرِ أَنَّ رَجُلًا اخْتَلَى بِامْرَأَةٍ فِي غَابَةٍ، وَقَدْ بَدَتْ النُّجُومُ، وَأَسْدَلَّ اللَّيْلُ سِتَارَهُ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِبَ مِنْهَا وَيَفْعَلَ الْفَاحِشَةَ قَالَ لَهَا: لَا تَخَافِي لَيْسَ ثَمَّ إِلَّا أَنَا وَأَنْتِ وَهَذِهِ الْكَوَاكِبُ. فَقَالَتْ لَهُ: وَأَيْنَ مُكْوَكِبُ الْكَوَاكِبِ؟! فَخَفَّقَ قَلْبُهُ، وَارْتَعَشَتْ جَوَارِحُهُ، وَتَشَتَّ عَقْلُهُ، وَوَلَّى عَنْهَا وَهُوَ يُرَدِّدُ: وَأَيْنَ مُكْوَكِبُ الْكَوَاكِبِ؟!^(١)

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبٌ
وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ يَغْفُلُ سَاعَةً وَلَا أَنْ مَا تُخْفِي عَلَيْهِ يَغِيبُ^(٢)

وَيَبْنِي الْإِنْسَانُ هَذَا الْجِدَارَ بِهَذَا الْعِلْمِ الْيَقِينِيِّ: بِأَنَّهُ مَهْمَا أَخْفَى نَفْسَهُ وَأَخْفَى عَمَلَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ مَطَّلَعٌ عَلَيْهِ، وَيُحْصِنُ هَذَا الْجِدَارَ بِكَثْرَةِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَإِذَا أَرَدَتْ

(١) اعتلال القلوب للخراطي رقم (٨٣)، وشعب الإيمان للبيهقي رقم (٨٥٢، ٨٥٣)، وذم الهوى لابن الجوزي (ص: ٢٧٢).

(٢) اختلف في قائلها، فنسبها البعض إلى أبي نواس، انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (١٣/٤٥٥)، وديوان أبي نواس (ص: ٢٠١)، وهما أيضا في ديوان أبي العتاهية (ص: ٣٤)، ونسبها صدر الدين البصري في الحماسة البصرية (٢/٤٧) للحسن بن عمرو، وقال: وتروى لأبي محمد التيمي.

أن تكون في حماية من الوقوع في الفواحش فحَصَّنْ نَفْسَكَ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ .
 قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿خَلَّفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ [مريم: ٥٩]؛ لَأَنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ تَقِي الْوَقُوعَ فِي الْفَوَاحِشِ وَالشَّهَوَاتِ، فَقَدْ قَالَ الْحَقُّ
 سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى
 عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى»: «فَإِنَّ الصَّلَاةَ إِذَا أَتَى بِهَا كَمَا أَمَرَ
 نَهْتَهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَإِذَا لَمْ تَنْهَهُ دَلَّ عَلَى تَضْيِيعِهِ لِحَقُوقِهَا»^(١).
 وَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ
 بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ
 بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ، وَلَئِنْ
 اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيدَنَّهُ»^(٢).

الأمْرُ الثَّانِي: إِذَا حَصَّنْتَ جِدَارَكَ فَعَلَيْكَ بِحِمَايَتِهِ مِنَ الْآفَاتِ، فَإِنَّ بَعْضَ
 الْآفَاتِ تَخْرُقُ هَذِهِ الْجُدْرَ، وَعَلَيْكَ أَيْضًا بِحِمَايَتِهِ مِنْ هَذِهِ الْمَقْدُوفَاتِ، وَالْحِمَايَةُ
 تَكُونُ بِأَمْرَيْنِ اثْنَيْنِ:

١ - غُضَّ بَصْرَكَ؛ فَهَذَا هُوَ الْهَدْيُ الرَّبَّانِيُّ الَّذِي يَعْلَمُ هَذِهِ النَّفْسَ، وَيَعْلَمُ مَا
 يُصْلِحُهَا وَيُحْصِنُهَا.

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ

(١) مجموع الفتاوى (٦/٢٢).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم (٦٥٠٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴿﴾ [النور: ٣٠-٣١].

وعلى قدر ما تُنظرُ إلى ما حَرَّمَ اللهُ تَفْتَحُ في هذا الجدارِ ثقبًا، وكلما تَكَرَّرَ النظرُ كَثُرَتْ هذه الثقوبُ في الجدارِ الَّذِي بَنَيْتَهُ، فأنتَ حَصَّنْتَهُ في البداية لكنك لم تحمِه. ولا تقل: هذه نظرة لا يعلمها اللهُ، أو هذا اختلاس لا يعلمه اللهُ. فَقَدْ قَالَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ ﴿١٩﴾ [غافر: ١٩].

قيل للجنيد رَحِمَهُ اللهُ: بِمَ يُسْتَعَانُ بَعْضُ الْبَصْرِ؟ أي: كيف أغض بصري وقد أصبح الحرام في كل مكان، في هاتفي يخرج عليّ شيء أنا لم أطلبه. فقال: «بِعِلْمِكَ أَنْ نَظَرَ اللهُ إِلَيْكَ أَسْبَقَ مِنْ نَظْرِكَ إِلَى مَا تَنْظُرُهُ»^(١).

٢- عليك بالزواج، فإنَّ في الزواجِ حصنًا، واللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يعلم أنَّ هذه النفوس لا تسكنُ غريزتها إلا بالزواج، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩].

وقال رسولُ اللهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَخْصَنُ لِلْفَرْجِ»^(٢).

وحَتَّى المتزوّج يرشده النبي ﷺ إلى ذلك، فيقول: «إِذَا أَحَدُكُمْ أَعْجَبَتْهُ الْمَرْأَةُ، فَوَقَعَتْ فِي قَلْبِهِ، فَلْيَعْمَدْ إِلَى امْرَأَتِهِ فَلْيُؤَاقِعْهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ يُذْهِبُ مَا فِي

(١) إحياء علوم الدين (٤/٣٩٧)، جامع العلوم والحكم (١/٤٠٩).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصم، رقم (٥٠٦٦)، ومسلم: كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه، رقم (١٤٠٠)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

نَفْسِهِ ^(١). إِنَّهُ إِرْشَادُ رَبَانِي نَطَقَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ.

فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَحْمِيَ نَفْسَهُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي هَذِهِ الْفَوَاحِشِ فَلْيَجْتَهِدْ فِي بِنَاءِ جِدَارِ النِّجَاةِ الَّذِي يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْوُقُوعِ فِي الشَّهَوَاتِ، وَحِينَمَا تَبْنِي هَذَا الْجِدَارَ عَلَيْكَ بِتَحْصِينِهِ وَحِمَايَتِهِ.

الأمْرُ الثَّالِثُ: عَلَيْكَ بِتَعَاهُدِهِ؛ لِأَنَّ هَذَا الْجِدَارَ كَسَائِرِ الْجُدُرِ، يَتَعَرَّضُ لِمَا تَتَعَرَّضُ لَهُ الْجُدُرُ مِنْ شُرُوحٍ، وَتَهْدُمُ جَرَاءَ الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ، وَمَنْ مَنَّا لَا يَعْصِي؟! وَمَنْ مَنَّا لَا يُذْنِبُ؟! وَمَنْ مَنَّا لَا تَنْفَلِتُ نَفْسُهُ؟! فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَعَاهَدَ هَذَا الْجِدَارَ، وَالتَّعَاهُدُ يَكُونُ بِأَمْرَيْنِ أَيْضًا:

١- تَعَاهُدُهُ بِالتَّوْبَةِ، فَكَلِّمًا وَقَعْتَ فِي ذَنْبٍ فَتُوبْ إِلَى اللَّهِ، حَتَّى لَوْ كَثُرَتْ ذُنُوبُكَ وَتَعَدَّدَتْ مَعَاصِيكَ، فَكَلِّمًا أَذْنَبْتَ وَعَصَيْتَ فَتُوبْ إِلَى اللَّهِ، فَإِنَّكَ تَتُوبُ إِلَى الْكَرِيمِ الْغَفَّارِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الَّذِي قَالَ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾** [النساء: ١١٠].

وَالْقَائِلُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾** [طه: ٨٢].

كثِيرُ الْمَغْفِرَةِ. وَالنَّبِيُّ ﷺ يُبَيِّنُ لَنَا حَقِيقَتَنَا؛ لِأَنَّ فِينَا ضَعْفًا، فَمَهْمَا حَاوَلْنَا الْوُقُوعَ فِي الذَّنْبِ، فَلَا يَسْتَدِرْ جَنِّكَ الشَّيْطَانُ وَيَقُولَ: مَا دَامَ حَدَثَ الذَّنْبُ فَوَاصِلٌ فِيهِ. وَقُلْ لَهُ: إِنَّ لِي رَبًّا كَرِيمًا عَظِيمًا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، فَأَنَا أَسْتَغْفِرُهُ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ**

(١) أخرجه مسلم: كتاب النكاح، باب نذب من رأى امرأة فوقعت في نفسه إلى أن يأتي امرأته أو جاريته فيواقفها، رقم (١٤٠٣/١٠)، من حديث جابر بن عبد الله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**.

إِلَّا وَلَهُ ذَنْبٌ يَعْتَادُهُ الْفَيْئَةُ بَعْدَ الْفَيْئَةِ، أَوْ ذَنْبٌ هُوَ مُقِيمٌ عَلَيْهِ لَا يُفَارِقُهُ حَتَّى يُفَارِقَ الدُّنْيَا، إِنَّ الْمُؤْمِنَ خُلِقَ مُفْتَنًا تَوَابًا نَسِيًّا إِذَا ذَكَرَ ذَكَرَ»^(١).

٢- عليك بالدعاء، فادعُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَحْمِيكَ وَيَصْرِفَ عَنْكَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ، وَقُلْ كَمَا قَالَ يوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ^(٣٤) [يوسف: ٣٣-٣٤].

وجاءَ شَكلُ بنِ حُميدٍ -وهو صحابيٌّ جليلٌ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسولَ اللهِ؛ علِّمْنِي دُعَاءً أَنْتَفَعُ بِهِ -وقالَ مرةً: علِّمْنِي تَعُوذًا أَعُوذُ بِهِ- فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِيَّ»^(٢).

وكذلكَ الشابُّ الَّذي جاءَ إلى النبي ﷺ فقالَ: يا رسولَ اللهِ؛ ائذِّنْ لي بالزُّنا. وحاوَرَهُ النبي ﷺ وقالَ لَهُ في آخِرِ المَحاوِرَةِ بَعْدَ أَنْ وَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، فقالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ»^(٣).

فادعُ اللهَ قَبْلَ أَنْ تَقَعَ، وادعُهُ إِذَا وَقَعْتَ، وَكُنْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ فِي اتِّصَالٍ دَائِمٍ

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/٣٠٤، رقم ١١٨١٠)، والبيهقي في الشعب رقم (٦٧٢٢)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه أحمد (٤٢٩/٣)، وأبو داود: كتاب الصلاة، باب في الاستعاذة، رقم (١٥٥١)، والترمذي: كتاب الدعوات، رقم (٣٤٩٢)، والنسائي: كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من شر السمع والبصر، رقم (٥٤٤٤).

(٣) أخرجه أحمد (٢٥٦/٥)، من حديث أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قبل أن تقع في الذنب، وبعد أن تقع فيه إن وقعت فيه، وبذلك تكون قد تعاهدت
جدار النجاة الذي يُنجيك من أمواج الشهوات.





(٥)

تَنْمِيَةُ الذَّاتِ وَسُبُلُ تَطْوِيرِهَا

• • ❁ • •

مِنَ الْمَصْطَلِحَاتِ الْحَادِثَةِ فِي أَرْمَتِنَا الْمَتَأَخِرَةِ، وَالَّتِي كَثِيرًا مَا تَتَرَدَّدُ فِي هَذِهِ السَّنَوَاتِ الْأَخِيرَةِ مُصْطَلِحُ التَّنْمِيَةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَقَدْ أُقِيمَت لَذَلِكَ الدُّورَاتُ فِيهَا يُسَمَّى بِتَنْمِيَةِ الذَّاتِ، وَيَقْصِدُونَ بِذَلِكَ كَيْفَ تُطَوَّرُ وَتُنَمَّى وَتَسْتَمِرُّ قُدْرَاتِكَ، سَوَاءً الْبَدَنِيَّةُ أَوْ الْعَقْلِيَّةُ، أَوْ النَّفْسِيَّةُ أَوْ الْاجْتِمَاعِيَّةُ، وَكَيْفَ تَبْنِي شَخْصِيَّتَكَ، وَتَنْهَضُ بِهَا، وَتَجْعَلُهَا فَاعِلَةً فِي جَمِيعِ مِيَادِينِ الْحَيَاةِ؟

وَقَدْ جَاءَ فِي كِتَابِ اللَّهِ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ **ﷺ** سَبُلُ ذَلِكَ، وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تَقْرَأَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَتُطَالِعَ سِيرَةَ رَسُولِ اللَّهِ **ﷺ** فَسَتَجِدُ أَرْكَانَ بِنَاءِ النَّفْسِ، وَتَنْمِيَةِ الذَّاتِ، وَالْقُدْرَةَ عَلَى اسْتِثْمَارِ مَا عِنْدَكَ مِنْ طَاقَةٍ.

وَأَجْمَلُ ذَلِكَ فِي أَرْبَعَةِ أَرْكَانٍ:

الرُّكْنُ الْأَوَّلُ: وَأَنْتَ تَبْنِي نَفْسَكَ لَا تَتَخَلَّ عَنْ هَذَا الرُّكْنِ الرُّكِينِ، وَهُوَ حُسْنُ الثَّقَةِ بِاللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ، فَبِحَسَنِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ وَالثَّقَةِ بِهِ عِنْدَهُ، فَإِنَّكَ تَعِيشُ وَهُنَاكَ مَنْ يُثِيرُ قَلْقَكَ وَمَخَافَكَ سِوَاءً فِي بَيْتِكَ، أَوْ فِي عَمَلِكَ، أَوْ فِي حَيَاتِكَ، هُنَاكَ مَنْ يُخَوِّفُكَ مِنْ يَوْمِكَ، وَمِنْ غَدِكَ، وَيُثَبِّطُكَ؛ لِيَهْدِمَ هَذِهِ النَّفْسَ، وَيَدْمِرَ هَذِهِ الذَّاتَ؛ لَكِنَّكَ إِذَا أَحْسَنْتَ التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ بَنَيْتَ فِي نَفْسِكَ جِدَارًا صُلْبًا.

وحينما ثارت هذه المخاوف، وكثرت هذه الألسن في عهد النبي ﷺ في أعقاب غزوة أحد، فقام المنافقون يُخوفون الصحابة بما هو قادم، وبما تُعدّه لهم قريش، لكنهم أحسنوا التوكّل على الله.

قال الحقُّ سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾؛ فكانت النتيجة: ﴿فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴿١٧٥﴾ أَي: يُخَوِّفُكُمْ بِأَوْلِيَائِهِ ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٥].

فأحسن التوكّل على الله، وابن جدارًا عظيمًا من الثقة به سبحانه وتعالى في أمور الدنيا والآخرة، فالله كافيك، قال الحقُّ سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿١٦٠﴾﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٣].

وحقيقة التوكّل هي صدق اعتماد القلب على الله سبحانه وتعالى في استجلاب المصالح، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلّها. فاصطحب حسن التوكّل معك في جميع حياتك، وأنت تتشوّف إلى الفوز والغلبة، أو تسعى إلى النجاح، أو تسعى إلى تحسين وضعك، أو ترنو إلى النصر، وتذكر قول الحقِّ سبحانه وتعالى: ﴿إِن يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذَلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران: ١٦٠].

وإذا آذاك الخلق بأقوالهم، أو أفعالهم، أو ظلّمهم وتعدّوهم فأحسن التوكّل على الله، وتذكر قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١].

فَهُمْ يَسْعَوْنَ إِلَى تَحْطِيمِكَ، وَأَنْتَ تَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.
 وَإِذَا جَفَاكَ الْخَلْقُ وَأَعْرَضُوا عَنْكَ وَتَرَكُوكَ وَاسْتَصْعَرُوا عَلَيْكَ، فَتَذَكَّرْ قَوْلَ الْحَقِّ
**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ
 الْعَظِيمِ ﴾** [التوبة: ١٢٩].

وَإِذَا دَاهَمَتْكَ الْمَخَافُ وَأَرْهَقَكَ الْغَلَقُ فَتَذَكَّرْ قَوْلَ الْحَقِّ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ إِنَّهُ
 لَيْسَ لَهُ سُلْطَنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾** [النحل: ٩٩].
 وَإِذَا ازْدَحَمَتِ الْمَهْمُومُ فِي نَفْسِكَ، هَمُومُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَتَكَالَبَتِ عَلَيْكَ،
 فَأَحْسِنِ التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ، وَأَحْسِنِ الثِّقَةَ بِمَا عِنْدَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَبْنِي فِي نَفْسِكَ جِدَارًا
 عَظِيمًا، وَتَذَكَّرْ قَوْلَ مَنْ قَالَ:

سَهَرَتْ أَعْيُنٌ وَنَامَتْ عُيُونُ فِي أُمُورٍ تَكُونُ أَوْ لَا تَكُونُ
 فَادْرَأِ الْهَمَّ مَا اسْتَطَعْتَ عَنِ النَّفْسِ سِ فَحِمْلَانُكَ الْهُمُومَ جُنُونَ
 إِنَّ رَبَّكَ كَفَاكَ بِالْأَمْسِ مَا كَا نَ سَيَكْفِيكَ فِي غَدٍ مَا يَكُونُ^(١)

الركن الثاني: حُسنُ الانتقالِ مِنَ السَّيِّئَةِ إِلَى الْحَسَنَةِ، وَمِنَ الْبَاطِلِ إِلَى الْحَقِّ،
 وَمِنَ الْإِنْحِرَافِ إِلَى الْإِسْتِقَامَةِ، وَمِنَ الْإِسَاءَةِ إِلَى الْإِحْسَانِ، غَيْرُ مَا أَنْتَ فِيهِ، فَإِنَّ
 ذَلِكَ يُسَاهِمُ فِي بِنَاءِ جِدَارٍ عَظِيمٍ فِي نَفْسِكَ مِنَ النِّجَاحِ وَالتَّقْوَى وَالتَّقَدُّمِ، وَتَذَكَّرْ
 قَوْلَ الْحَقِّ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾** [الرعد: ١١] أي:

(١) الأبيات تنسب لابن القرطبي الحافظ، انظر: طبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي
 (٤/ ١٧٧)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (٤/ ١٢٨). وهي في ديوان الشافعي (ص: ١٠٣).

حَتَّى يُغَيِّرُوا طَرِيقَ الضَّلَالِ إِلَى طَرِيقِ الْهُدَايَةِ.

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «يَا ابْنَ آدَمَ قُمْ إِلَيَّ أَمْشِ إِلَيْكَ،
وَأَمْشِ إِلَيَّ أَهْرُولُ إِلَيْكَ»^(١).

فَقَطَّ غَيْرٌ مِنْ نَفْسِكَ، وَلَكِنْ لِيَكُنْ هَذَا التَّغْيِيرُ بِحُسْنِ الْإِنْتِقَالِ مِنَ السَّيِّئِ إِلَى
الْحَسَنِ، لَا مِنَ الْأَحْسَنِ إِلَى السَّيِّئِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مُؤَذِّنٌ بِهَلَاكِ النَّفْسِ وَتَدْمِيرِهَا، قَالَ
الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ
وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٥٣) [الأنفال: ٥٣].

ثُمَّ ضَرَبَ لَنَا مَثَلًا فَقَالَ: ﴿كَذَّابٍ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا
بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾^(٥٤) [الأنفال: ٥٤].

فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَصْلَحَ مِنْ ذَاتِكَ، وَتُطَوِّرَ مِنْ شَخْصِيَّتِكَ، فَاسْعَ إِلَى التَّغْيِيرِ،
وَكُنْ قَوِيًّا فِي اتِّخَاذِ هَذَا الْقَرَارِ، كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ:

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكَرِيمِ الْكَرَائِمُ
وَيَكْبُرُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صَغِيرُهَا وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ^(٢)

وَاحْذَرْ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ:

وَمَنْ يَتَهَيَّبُ صُعُودَ الْجِبَالِ يَعِشُ أَبَدَ الدَّهْرِ بَيْنَ الْحُفْرِ^(٣)

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٧٨)، من طريق شريح بن الحارث، عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) ديوان المتنبي (ص: ٣٨٥).

(٣) من قصيدة إرادة الحياة لأبي القاسم الشابي، ديوانه (ص: ٩٠).

الركن الثالث: عليك بحسن الدعاء والطلب، فوالله إننا لا نخطو خطوة واحدة إلا بإذن الله، ولا نُحرِّك حركةً واحدةً إلا بعد أن يأذن الله بها، فلتوجه إلى الله، أولئك في دوراتهم يقولون: عليك بتوجيه الطلب إلى الكون. وفي عقيدتنا: عليك بتوجيه الطلب إلى الله الذي بيده ملكوت كل شيء، قل: يا الله! فالله يسمع صوتك، ويعلم أينك، ويعلم حاجتك.

ووالله إن الدعاء ليغير - لا أقول مجرى حياتك - بل دعوة واحدة كفيلة أن تُغيِّر مجرى التاريخ كله، ووالله إن دعوة واحدة من فرد واحد لا نعلمه، ولكن الله يعلمه لتُغيِّر مجرى التاريخ، وتُغيِّر مجرى أمم؛ لأنها إذا استجيبت استجيبت من الله القائل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ»^(١).

فارفع يديك واسأله سبحانه وتعالى أن يُغيِّرَكَ إلى الأحسن، وأن يُغيِّرَ حالَكَ إلى ما تُريدُ في صلاحِ نفسك، وولدك، وزوجك، ومجتمعك وما تُريدُ.

الركن الرابع: بحسن العمل وإتقانه، نعم، ذكرت في الركن الثالث أنه عليك بالدعاء، ولكن لا بدَّ مع الدعاء من عمل، ولا بدَّ مع التوكل من عمل، وهو أصل الانتقال، فعليك أن تعمل، وتخطو، وتتقدم، فإن الإنسان إذا وقف

(١) أخرجه أحمد (٤٣٨/٥)، وأبو داود: كتاب الصلاة، باب الدعاء، رقم (١٤٨٨)، والترمذي: كتاب الدعوات، رقم (٣٥٥٦)، وابن ماجه: كتاب الدعاء، باب رفع اليدين في الدعاء، رقم (٣٨٦٥)، من حديث سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تَأَخَّرَ، فَلَيْسَ فِي الطَّبِيعَةِ وَقُوفٌ أَبَدًا، فَكَمَا سَبَقَ: إِمَّا إِلَى الْأَمَامِ، وَإِمَّا إِلَى الْوَرَاءِ.
 وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَطْلُبُ مِنَّا أَنْ نَعْمَلَ وَنَسْعَى، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَابْتَغِ
 فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ
 إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٧٧) [القصص: ٧٧].
 وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن
 رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (١٥) [الملك: ١٥].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنِ هَذِهِ الصَّلَاةِ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ
 وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٠) [الجمعة: ١٠].
 فَعَلَيْكَ بِالْعَمَلِ وَالسَّعْيِ فِيهِ، وَلَكِنْ لَيْسَ أَيُّ عَمَلٍ، بَلِ الْعَمَلِ الْمُتَقَنِّ، أَحْسَنَ
 مَا عِنْدَكَ مِنَ الْإِتْقَانِ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «إِنَّ
 اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُثِقَنَهُ»^(١).

وَاحْذَرُ أَنْ تَكُونَ خَالِيًا بِغَيْرِ عَمَلٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ فِي شَرِّهَا مَذْمُومٌ يُذَمُّ بِهَا
 الْإِنْسَانُ، وَيَسْقُطُ مِنْ عَيْنِ الْآخِرِينَ، قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنِّي لَأَرَى الرَّجُلَ
 فَيُعْجِبُنِي، فَأَسْأَلُ هَلْ لَهُ حِرْفَةٌ؟ فَإِنْ قَالُوا: لَا. سَقَطَ مِنْ عَيْنِي»^(٢).
 فَلَا بَدَّ مِنَ الْحَرَكَةِ، وَالسَّعْيِ، وَالْبَدَلِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُسَاهِمُ مَعَ الَّذِي قَبْلَهُ فِي بِنَاءِ
 النَّفْسِ وَتَنْمِيَةِ الذَّاتِ.



(١) أخرجه أبو يعلى في المسند رقم (٤٣٨٦)، والطبراني في المعجم الأوسط رقم (٨٩٧)، والبيهقي

في الشعب رقم (٤٩٢٩).

(٢) أخرجه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم رقم (٢٥١٧، ٣٠٠٥).



(٦)

حافظ على وزنك



قال الحقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣].

وفي هذه الآية العظيمة: بيانٌ خطيرٌ؛ وهو أن الإنسان مع ما يُقدِّم من إيمانٍ وعملٍ صالحٍ إلا أنه قد يتعرَّض لما يُبطل عمله، كما قال الحقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

فمع ما يُقدِّم الإنسان من عملٍ صالحٍ إلا أنه ينبغي عليه أن يتنبه أن هناك جوائح قد تحتاج هذا العمل، فلا تُبقي منه شيئاً، وهو يحسب أنه يُحسنُ صنْعاً. وقد بيّن هذه القاعدة وهذا الأمر سلفُ الأمة؛ من ذلك ابنُ القيم رَحِمَهُ اللَّهُ حينما قال في كتابه «الوابل الصيب»: «ومُحِبَّاتُ الأَعْمَالِ ومُفْسِدَاتُهَا أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ، وليس الشأنُ في العملِ، وإنما الشأنُ في حِفْظِ العملِ ممَّا يُفْسِدُهُ ويُجْبِطُهُ»^(١). أي: العملُ مطلوبٌ، لكنَّ المطلوبَ أكثرُ هو كيف تُحافظُ على هذا العملِ، فلا يُمحَق ويذهب ويفنى، ولا يأتي عليه قولُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ١١).

وإن من الأعمال التي تذهب بجميع الأعمال الصالحة فلا تَبْقَى منها شيئاً ما هو معلومٌ لدينا جميعاً، وهو الكُفْرُ بالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، والإشراكُ به، والردةُ عن دينه، وما عليك إلا أن تقرأ في كتابِ الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لتجد هذه الآياتِ تتكلمُ وترشدُ إلى هذه الحقيقة: أن العبدَ إذا أتى بعملٍ كُفِرَ به حَبِطَ عمله كله؛ فقد قال الحقُّ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥].

وقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

وقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [التوبة: ١٧].
وقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [٦٥] بل الله فاعبد وكن من الشَّاكِرِينَ ﴿ [الزمر: ٦٥-٦٦].

وقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وجاء في «صحيح مسلم» قالت عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَلِكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: «لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ»^(١)، فلم يكن مؤمناً بيوم القيامة، وهو يوم الدين.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن مات على كفره لا ينفعه عمل، رقم

وفي هذا الأمر أُرشد إلى مسألتين:

المسألة الأولى: قد يتصور الإنسان أنه أبعد ما يكون عن الكفر، ولكنه يأتي بأعمال هي صورة من صور الكفر التي لا ينتبه لها، أذكر منها صورتين:

الصورة الأولى: الاستهزاء بالدين؛ فإنه كفرٌ بدين الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فإذا استهزأ الإنسان بالله، أو بكتابه، أو بشيء من آياته، أو برسوله **ﷺ** أو بأحد الرسل، أو استهزأ بالصلاة، أو بالصيام، أو بالحجاب، أو بالتعدد، أو بأي حكم شرعي؛ وقع في الكفر - عياداً بالله -.

والدليل على ذلك قول الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في سورة الكهف: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَنَحَّطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَوَخَّؤْا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَرَسُولِي هُزُؤًا ﴿١٠٦﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٦].

فقد يستهزئ الإنسان بالدين ليضحك السامعين، ولا يدري أنه قد أتى بعمل يُخرجه من الدين ويحبط على إثر ذلك كل ما قدّم من الأعمال الصالحة، هذه صورة قد لا ينتبه لها.

الصورة الثانية - وهي صورة أيضاً قد لا ينتبه لها - وهي كراهية شيء من أحكام الدين، أو من شرائع الدين، فهذا يُحبط العمل، وهو صورة من صور الكفر؛ كأن يكره الصلاة مثلاً، أو الصيام، أو أي أمرٍ أوجبه الله سبحانه، كراهية في القلب وهو عمل القلب مكفر، وهأنذا دليلان في سورة واحدة في سورة محمد:

في الموضع الأول: قال الحقُّ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ ذَلِكِ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿٩﴾ [محمد: ٩].**

والموضع الآخر: قال فيه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ ذَلِكِ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ، فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿٢٨﴾ [محمد: ٢٨].**

فالعقل: هو الذي يجمع الحسنات، والأعقل: هو الذي يُحافظ عليها من الزوال حتى يلتقى الله.

ومن الأعمال التي تُذهب الحسنات: حينما يعمل الإنسان لغير الله، يعمل لأجل فلان، أو فلان، أي عمل صالح؛ يصلي، أو يعود مريضاً، أو يزور رجلاً في مجلسه، إذا لم يكن هذا لله وكان لأجل مصلحة، والمصلحة الأبرز في هذه الأيام هي مصلحة الانتخابات، وهي أنني أحضر لفلان، أو أسلم على فلان، أو أعود فلاناً، أو أعطي فلاناً؛ حتى أحظى بصوته في يوم من الأيام، فانتبه لذلك ولا تتقرب إلى فلان بعمل هو في الأصل لله سبحانه؛ فإن العمل يُحبط، دليل ذلك قول الحقِّ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في سورة هود: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ [أي: يُحْصَل ما يريد، يُحْصَل الكرسي، أو المقعد، أو الأصوات، ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ التَّارُوتُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ [هود: ١٥-١٦].**

فالعقل هو الذي ينتبه لذلك، فلا يتقرب إلى مخلوق بعمل هو للخالق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.**

الصورة الثالثة: وفي زحمة الحياة والركض فيها قد نَقَع في هذه الصورة، ثم

نُمْكِنُ الْآخِرِينَ مِنْ حَسَنَاتِنَا يَأْخُذُونَ مِنْهَا مَا شَاءُوا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْحَدِيثُ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»: «أَتَدْرُونَ مِنَ الْمُفْلِسِ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. قَالَ ﷺ: «لَا، الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ» أَي: عِنْدَهُ أَعْمَالٌ صَالِحَةٌ، وَلَيْسَتْ أَيَّ أَعْمَالٍ؛ بَلْ أَفْضَلُ الْعِبَادَاتِ «وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»^(١).

فَأَوْصِيكَ أَلَّا تَقَعَ فِي ظَلَمِ أَحَدٍ أَبَدًا، لَا قَرِيبٍ وَلَا بَعِيدٍ، لَا زَوْجَةٍ فِي الْبَيْتِ، وَلَا وَلَدٍ، وَلَا جَارٍ؛ فَإِنَّكَ إِذَا وَقَعْتَ فِي ظَلَمِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ مَكَّنْتَهُ مِنْ أَفْضَلِ حَسَنَاتِكَ: صِيَامٍ، وَصَلَاةٍ، وَزَكَاةٍ.
وَالْعَاقِلُ هُوَ الَّذِي يَعْمَلُ الصَّالِحَاتِ، وَالْأَعْقَلُ هُوَ الَّذِي يَعْرِفُ كَيْفَ يُحَافِظُ عَلَيْهَا حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.



(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، رقم (٢٥٨١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



(٧)

خَطَرُ السُّقُوطِ الْأَخْلَاقِيِّ فِي زَمَنِ الْفِتَنِ

•• ❁ ••

ما من مجتمعٍ إلَّا وتحدثُ فيه الحوادثُ المؤلمةُ والفتنُ المؤذيةُ، فليسَ هناك مجتمعاتٌ فاضلةٌ، خاليةٌ من الحوادثِ والفتنِ والأزماتِ والمحنِ، ولكنَ هناك أخلاقٌ فاضلةٌ تحتاجُها المجتمعاتُ في زمنِ الحوادثِ والأزماتِ، أخلاقٌ فاضلةٌ ينبغي أن تسودَ في زمنِ الفتنِ والمحنِ، وينبغي أن تُرى وتُشاهدَ تقودُ جموعَ الناسِ، ويتحلَّى بها قادةُ الرأيِ وأصحابُهم من العلماءِ وطلبةِ العلمِ والمثقفينَ والمفكرينَ، وإلَّا انقلبتِ الأمورُ؛ فحينما تسودُ الفتنُ والحوادثُ والأزماتُ ينبغي أن يتصدَّرَ المشهدَ هؤلاء الذين ذكَّرتُ بأخلاقِهِم الفاضلةِ، وإلَّا سادَ المشهدَ الغوغاءُ والجهلةُ من الناسِ، وهذا مؤذنٌ بفوضى لا تنتهي؛ لذا قيل:

لَا يَصْلِحُ النَّاسُ فَوْضَى لَا سَرَاةَ لَهُمْ وَلَا سَرَاةَ إِذَا جُهِلَهُمْ سَادُوا^(١)

والأزماتُ والحوادثُ تحدثُ في أيِّ مجتمعٍ، لكنَّ الذي ينبغي أن يبرزَ في هذه الحوادثِ تلكَ الأخلاقُ الفاضلةُ، ولكنَ ما نُشاهدُه اليومَ هو سُقُوطٌ مروِّعٌ، وانكشافٌ حقيقيٌّ عن أخلاقٍ كان يدَّعيها أصحابُها.

وهاهنا أسوقُ ثلاثَ صُورٍ من هذا السُّقُوطِ الأخْلَاقِيِّ في واقعِ الناسِ،

(١) البيت للأفوه الأودي؛ انظر: ديوانه (ص: ٦٦).

وهي صورٌ مروّعةٌ وكأَنَّها في مجتمعاتٍ لم تسمعَ يوماً بآيةٍ أو حديثٍ:
 الصورةُ الأولى: إشاعةُ الفِرَى والبُهتانِ، ففي أيِّ حادثةٍ إذا لم يتخلَّقْ أهلُ
 ذلكَ المُجتمعِ بأخلاقِ الأمةِ الإسلاميةِ تشيعُ هذه الصورةُ.
 والفِريةُ: هي الكذبةُ العظيمةُ التي يُتعجبُ منها. ذكرها ابنُ بطَّالٍ رَحِمَهُ اللهُ (١).
 والبُهتانُ: هو كذبٌ، يبهتُ سامِعَه ويدهشُه ويُحيرُه لفظاعته. ذكرَ ذلكَ
 المناويُّ رَحِمَهُ اللهُ (٢).

فحينما تنطقُ الألسنُ بالافتراءِ على الآخرينَ والبُهتانِ في حقِّهم، فإنَّهم
 يتعَوَّنون في مزلقٍ خطيرٍ.

وقد بيَّن اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ صَاحِبَ الفِرَى لَيْسَ لَهُ ثَمٌّ إِلَّا الخِيبةُ والخُسرانُ،
 فقالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في سورة طه: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ أَفْتَرَى﴾ [طه: ٦١].

وقالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في سورة النساءِ: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا
 فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١١٢].

وقالَ سُبْحَانَهُ في سورة الأحزابِ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
 بَعَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وقد كَثُرَتِ المنصَّاتُ التي يتحدَّثُ فيها الناسُ، في السابقِ كانتْ أحاديثُهم
 في مجالسِهِم، أمَّا اليومَ معَ وفرةِ مواقعِ التواصلِ أعطى الإنسانُ نفسه حقًّا غيرَ
 مشروعٍ ليرميَ الآخرينَ بالبُهتانِ والفِرَى، ولا يدري أنَّ هذه الرميةَ إنَّما تعودُ عليه

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥٥٦/٩).

(٢) فيض القدير للمناوي (٧/٧).

بالخسران في الدنيا، وبالإثم في الآخرة.

وَإِيَّاكَ أَنْ تَقَعَ فِي هَذَا الْمَزَلِقِ وَأَنْتَ تَسْمَعُ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ الثَّلَاثَةَ:

الحديث الأول: حديث أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أبي دؤاد في «سُنَنِهِ» أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ

ﷺ قَالَ: «لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ هُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نَحَاسٍ يَحْمُشُونَ وَجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ» عَذَابٌ مُسْتَمِرٌّ حَتَّى قِيَامِ السَّاعَةِ، هَذَا عَذَابُهُمْ فِي الْقَبْرِ «فَقُلْتُ: يَا جَبْرِيلُ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»^(١).

فكيف تُعطي الحقَّ لنفسك أن تتحدَّثَ في الآخرين بالكذبِ والبُهتانِ! وأنتَ تسمعُ هذا الحديثَ، ولا تقل: لا يعرفني أحدٌ وعندي اسمٌ وهميٌّ مُستعارٌ، أو هذا عالمٌ افتراضيٌّ أتحدَّثُ وأقولُ فيه ما شئتُ. بل أنتَ في عالمٍ حقيقيٍّ محكومٍ؛ حَكَمَهُ الرَّبُّ الْكَرِيمُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الحديث الثاني: حديث سهل بن معاذ بن أنسٍ يُحدِّثُ عَنْ أَبِيهِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «وَمَنْ رَمَى مُسْلِمًا بِشَيْءٍ يُرِيدُ شَيْنَهُ بِهِ» سِوَاءَ رَمَاهُ بِكَلِمَةٍ فِي مَجْلِسٍ، أَوْ بِتَغْرِيدَةٍ، أَوْ بِتَسْجِيلٍ، أَوْ بِمَقَالٍ «حَبَسَهُ اللَّهُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ» وَلَكَ أَنْ تَتَصَوَّرَ عَبْدًا مَحْبُوسًا عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ يُعَايِنُ لَطْفًا لَيْلَ نَهَارًا! حَبَسَهُ اللَّهُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ «حَتَّى يُخْرَجَ مِمَّا قَالَ»^(٢) عَلَى تَغْرِيدَةٍ لَمْ تَتَجَاوَزْ أَحْرَفُهَا أَرْبَعِينَ حَرْفًا، وَلَكِنَّهَا الْفَرِيَةُ وَالْكَذْبُ وَالْبُهْتَانُ!.

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢٢٤)، وأبو داود: كتاب الأدب، باب في الغيبة، رقم (٤٨٧٨).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٤٤١)، وأبو داود: كتاب الأدب، باب من رد عن مسلم غيبة، رقم (٤٨٨٣).

الحديث الثالث: حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ، أَسْكَنَهُ اللَّهُ رَدْعَةَ الْخَبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ»^(١). أي: أسكنه الله مُسْتَنْقَعًا يَتَجَمَّعُ فِيهِ صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ؛ لِأَنَّهُ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ غَافِلٍ لَا يَدْرِي شَيْئًا مِمَّا قَالَه، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَدْرِي.

وَأَنِّي أَذْكَرُ ذَلِكَ نَاصِحًا لِنَفْسِي وَنَفْسِكَ، وَرَاغِبًا مِنْ نَفْسِي وَنَفْسِكَ أَنْ نَحْفَظَهَا مِنْ هَذَا السَّقُوطِ فِي هَذَا الْمُسْتَنْقَعِ الْأَخْلَاقِيِّ فِي وَقْتِ الْأَزْمَاتِ وَالْفِتَنِ وَالْمِحَنِ.

الصورة الثانية: الاشتغال بالجدل والهروب من المسؤولية والعمل؛ ففي وقت الأحداث - أي حدث، كبر هذا الحدث أو صغر - تجد هذه الصورة أيضًا بارزة، جدل وهروب من المسؤولية والعمل، وكلُّ يُلقَى بالمسؤولية على الآخر، ويُحْسِنُونَ الْكَلَامَ فَحَسْبُ دُونَ عَمَلٍ.

وفي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أَوْتُوا الْجَدَلَ»^(٢).

هذه خطورة الجدل، وإنك لتأسى من شخوصٍ ورموزٍ أعطوا لأنفسهم ألقاباً؛ لِيَبْرَرُوا لِأَنْفُسِهِمُ الْكَلَامَ دُونَ عَمَلٍ، وَأَصْبَحَتِ الْيَوْمَ الْأَلْقَابُ مَجَانًا؛ فَهَذَا

(١) أخرجه أحمد (٧٠/٢)، وأبو داود: كتاب الأفضية، باب في من يعين على خصومة من غير أن يعلم أمرها، رقم (٣٥٩٧).

(٢) أخرجه أحمد (٢٥٢/٥)، والترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الزخرف، رقم (٣٢٥٣)، وابن ماجه: مقدمة السنن، باب اجتناب البدع والجدل، رقم (٤٨)، من حديث أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يقول: أنا ناشطٌ اجتماعيٌّ، وهذا ناشطٌ سياسيٌّ، وهذا ناشطٌ حقوقيٌّ، وهذا ناشطٌ على مواقع التواصل. وكأنه حينما لَقِبَ نفسه بهذا اللقبِ أعطى نفسه الحقَّ أن يتكلَّم دون أن يعمل، فإذا سألتَه: أين مُنجزاتك على أرض الواقع؟ قال: غرَّدتُ تغريدةً قبلَ عشرِ سنواتٍ، أو اقترَحْتُ في مجلسِ فلانٍ قبلَ خمسِ سنواتٍ. وهل هذه إنجازاتٌ؟! وهل هناك أهونٌ مِنَ الكلامِ؟!

ذَكَرَ الإمامُ أحمدُ **رَحِمَهُ اللهُ** في كتابه «الزهد» أن الحسن **رَحِمَهُ اللهُ** دخلَ إلى المسجدِ هوَ وصاحِبُه فرَقِدَ **رَحِمَهُ اللهُ**، فوجدَ جماعةً يتحدَّثون وأصواتهم تصلُ إليه وهو في عبادته، فالتفتَ إلى صاحِبِه فرَقِدَ وقال: «يا فرقدُ، والله ما هؤلاءِ إلَّا قومٌ ملُّوا العبادةَ ووجدوا الكلامَ أهونَ مِنَ العملِ، وقَلَّ ورعُهم فتكلَّموا»^(١).

فالأمَّةُ -خاصةً في زمنِ الأحداثِ- تحتاجُ إلى عاملٍ لا إلى هامِلٍ، وتحتاجُ إلى العملِ لا إلى الكلامِ والهروبِ مِنَ المسؤوليةِ.

قالَ الإمامُ الأوزاعيُّ **رَحِمَهُ اللهُ** والإمامُ ابنُ المباركِ **رَحِمَهُ اللهُ** -وكلاهما تُنسبُ لَهُ هذه العبارةُ- قالَا: «إذا أرادَ اللهُ بقومٍ شرًّا ألزَمَهُمُ الجدَلَ ومنَعَهُمُ العملَ»^(٢). فإذا رأيتَ مُجتمَعًا يكثرُ فيه الكلامُ، فاعلَمْ أنَّهم أبعدُ ما يكونُ عَنِ العملِ والرُّقيِّ والتقدُّمِ.

الصورةُ الثالثةُ: عدمُ التثبُّتِ مِنَ نَشْرِ الأخبارِ، وإني لأستغربُ حقيقةً مِنَ هذا الإنسانِ الَّذي ينشرُ كلَّ خبرٍ يصلُ إليه، ويتحدثُ بكلِّ أمرٍ يصلُ إلى مسامِعِهِ،

(١) أخرجه أحمد في الزهد رقم (١٥٤٦)، وأبو نعيم في الحلية (١٥٦/٢-١٥٧).

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/١٦٤، رقم ٢٩٦)، عن الأوزاعي.

وقد سمع مراراً قول النبي ﷺ: «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع»^(١).
فكم مرة مرر علينا هذا الحديث، ولكننا نعطى لأنفسنا المبررات فنعيد نشر
هذه التغريدة، أو هذا التسجيل، أو هذه المقالة، ثم نضع مبرراً لنا حينما نكتب في
أعلاها: «كما وصلني»، فوالله لا تنفعك «كما وصلني»؛ فإن الله سبحانه وتعالى يوم
القيامة لن يسألك: لماذا لم تقل كذا؟ ولكنه سيسألك: لم قلت كذا؟

وقد قال الله سبحانه وتعالى في سورة الحجرات: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَهُمْ فَاسِقٌ
بَنِيًّا فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجْهَلَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

تسجيل يُسجله أحدهم، لا تدري هو عدو لك، وربما يكون عدواً لبلدك،
تعيد نشره؛ لتشييع الفوضى في بلدك، ثم بعد ساعة يكشف أن هذا التسجيل
كذب وزور، أربكت المجتمع، والأجهزة الأمنية، وغيرهم، وقد مر قول رسول الله
ﷺ: «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع».

قال الإمام البخاري في كتابه «الأدب المفرد»: قال علي بن أبي طالب
رضي الله عنه: «لا تكونوا عجلاً» أي: مستعجلين «مذاييع» جمع: مذايع «بذراً»^(٢) كل
ما يأتيك تعيد إرساله ونشره.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «إنها ستكون أمورٌ مشتهاتٌ، فعليكم بالتؤدة؛

(١) أخرجه مسلم: في مقدمة الصحيح، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، رقم (٥)، من حديث

أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم (٣٢٧).

فإنَّكَ أَنْ تَكُونَ تَابِعًا فِي الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ رَأْسًا فِي الشَّرِّ^(١).
فَلَا يَخْدَعَنَّكَ الشَّيْطَانُ وَيَقُولَ: لَتَكُنَّ أَنْتَ الْأَوَّلَ وَلَكَ السَّبْقُ فِي نَشْرِ هَذِهِ
الْمَعْلُومَةِ، فَإِنَّكَ أَنْ تَكُونَ تَابِعًا فِي الْخَيْرِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَكُونَ رَأْسًا فِي الشَّرِّ.



(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف رقم (٣٨٣٤٣)، والبيهقي في الشعب رقم (٩٨٨٦).



(٨)

الوصية بالوالدين



المتأمل في كتابِ الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، وكذلك سيرة النبي **ﷺ** يجد الوصايا الكثيرة، وإن من هذه الوصايا الوصية بالوالدين. وقد تكرر ذكرها في كتابِ الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، وقُرئت بتوحيد الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وإفراده بالعبادة، وعدم الإشراف به في مواضع كثيرة في كتابِ الله؛ لبيان أهميته الوالدين، والإحسان إليهما، وبرّهما، ومصاحبتهما بالمعروف.

فقال الحق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ

[النساء: ٣٦].

وقال **سُبْحَانَهُ**: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أٰفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا ۚ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝٢٣﴾
وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ۚ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ۝٢٤﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

وقال **سُبْحَانَهُ**: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۚ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۚ وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۚ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۚ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ ۚ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ۚ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۚ إِنِّي بُنْتُ

إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝١٥﴾ [الأحقاف: ١٥].

وقَد أوصى اللهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بالوالدين إحساناً، وصحبتهما بالمعروف، حتى وإن كانا مشركين، حتى وإن جاهدانا في الدعوة إلى الشرك الذي هُم عليه، قال اللهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وإن جاهدك على أن تُشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما﴾، لم يقل: فعقهما، بل قال: ﴿فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً﴾ [لقمان: ١٥].

وإذا نظرت في سيرته **ﷺ**، وما تَلَفَظَ به من إرشادٍ للأمة، تجد الكثير من ذلك، فقد جاء في «سنن ابن ماجه»، أن معاوية بن جاهمة السلمي **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قال: يا رسول الله، إني كنت أردت الجهاد معك أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة. قال: **«وَيْحَكَ، أَحْيِيَّةُ أُمَّكَ؟»** قلت: نعم. قال: **«ارجع، فبرها»**، قال: فأتيتُه من الجانب الآخر، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أردت الجهاد معك أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة. قال: **«وَيْحَكَ، أَحْيِيَّةُ أُمَّكَ؟»**، قلت: نعم يا رسول الله. قال: **«ارجع إليها فبرها»**، قال: فأتيتُه من أمامه فقلت: يا رسول الله، إني كنت أردت الجهاد معك أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة. قال: **«وَيْحَكَ، أَحْيِيَّةُ أُمَّكَ؟»**، قلت: نعم يا رسول الله. قال: **«وَيْحَكَ الزم رجلها فثم الجنة»**^(١).

فيا من له والد أو والدته عليك بوصية رسول الله **ﷺ**، الزم رجلها، بطاعتك، وبإحسانك، وبتقربك، وبقضاء حوائجها، وحوائجها فثم الجنة.

وفي حديث آخر عند البخاري، قال عبد الله بن عمرو **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا**: جاء رجل إلى رسول الله **ﷺ** فقال: «يا رسول الله أجاهد؟»، لم يقل: أسافر، أو أسهر مع زملائي،

(١) أخرجه أحمد (٤٢٩/٣)، والنسائي: كتاب الجهاد، باب الرخصة في التخلف لمن له والدة، رقم (٣١٠٤)، وابن ماجه: كتاب الجهاد، باب الرجل يغزو وله أبوان، رقم (٢٧٨١).

أَوْ أَلْعَبُ؛ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أَبْوَانُ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَفِيهِمَا فَجَاهِدُ»^(١). أي: فجاهد في صحبتها، أو في الإحسان إليهما، أو في القيام عليهما، أو في قضاء حوائجها. والحديث الثالث رواه أبو داود: أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْتُ أَبَايَ عَلَى الْهَجْرَةِ، وَتَرَكْتُ أَبَوَيَّ يَبْكِيَانِ. قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا»^(٢).

فَإِنْ كُنْتَ يَوْمًا أَبْكَيْتَ وَالِدَيْكَ، أَوْ لَا يَزَالَانِ يَبْكِيَانِ مِنْ صَنِيعِكَ، فَارْجِعْ إِلَيْهِمَا وَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا، فَهَذَا الصَّحَابِيُّ إِنَّمَا أَرَادَ الْهَجْرَةَ -وهي عمَلٌ مبرورٌ، ليس من أعمال الدنيا-؛ فَلَمْ يَكُنْ فِي سَهْرٍ، أَوْ سَفَرٍ، وَلَمْ يَبْكِيَا مِنْ أَجْلِ زَوْجَةٍ قَدَّمَهَا عَلَى وَالِدَيْهِ، أَوْ قَدَّمَ أَصْحَابَهُ عَلَى وَالِدَيْهِ، أَوْ ضَرَبَهَا، أَوْ أَوْدَعَهَا فِي دَارِ الْعِجْزَةِ، بَلْ تَرَكَهُمَا يَبْكِيَانِ لِأَنَّهُ أَرَادَ الْهَجْرَةَ، وَهِيَ عمَلٌ مبرورٌ؛ فَرَدَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذَا الْعَمَلِ إِلَى عَمَلٍ أَفْضَلَ، قَالَ: «ارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا».

وَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَإِنْ شَتَّ فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوْ أَحْفَظْهُ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الجهاد بإذن الأبوين، رقم (٣٠٠٤)، ومسلم:

كتاب البر والصلة، باب بر الوالدين وأنها أحق به، رقم (٥/٢٥٤٩).

(٢) أخرجه أحمد (٢/١٦٠)، وأبو داود: كتاب الجهاد، باب في الرجل يغزو وأبواه كارهان، رقم

(٢٥٢٨)، والنسائي: كتاب البيعة، باب البيعة على الهجرة، رقم (٤١٦٣)، وابن ماجه: كتاب

الجهاد، باب الرجل يغزو وله أبوان، رقم (٢٧٨٢)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص

رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه أحمد (٦/٤٤٥)، والترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء من الفضل في رضا

الوالدين، رقم (١٩٠٠)، وابن ماجه: كتاب الأدب، باب بر الوالدين، رقم (٣٦٦٣).

وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْوَالِدَةُ أَيضًا؛ فَاحْفَظْ ذَلِكَ الْبَابَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهَا، أَوْ بَأَنْ تَفْعَلَ مَا يَسْرُهُمَا، وَيَشْرَحُ صُدُورَهُمَا، وَيُرْضِيهِمَا، وَانظُرْ إِلَى الْعَمَلِ الَّذِي يُرْضِيهِمَا وَيَسْرُهُمَا فَتَقَرَّبْ إِلَى اللَّهِ بِهِ؛ حَتَّى فِي أَكْلِكَ وَشُرْبِكَ وَاسْتِرَاحَتِكَ، انظُرْ مَا يَقْرَحُ بِهِ وَالذُّكُ وَالْوَالِدَتُكَ، فَافْعَلْهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الْقُرْبِ، فَإِذَا فَعَلْتَ كَمَا فَكَرَّ اللَّهُ بِمُكَافَأَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ.

فَقَدْ جَاءَ فِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمُرِهِ، وَيُزَادَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، فَلْيَبِرَّ وَالِدَيْهِ، وَلْيَصِلْ رَحْمَهُ»** (١).

فَهَذَا الَّذِي يَقُولُ: أَنَا أَسْعَى فِي رِزْقِي وَرِزْقِ أَوْلَادِي. ثُمَّ يُضِيعُ وَالِدَيْهِ، نَقُولُ لَهُ: أَخْطَأْتَ الطَّرِيقَ، وَسَلَكْتَ طَرِيقًا لَا يَنْفَعُكَ فِي دُنْيَا، وَلَا آخِرَةٍ، بَلْ ضَعَفَهَا أَمَامَكَ، فَهِيَ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ.

وَمَنْ مَاتَ وَالِدَاهُ فَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِمَا وَبِرُّهُمَا لَمْ يَمُتْ، فَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ مِنْ عَظَمَتِهِ أَنَّهُ يَتَوَاصَلُ مَعَهُمَا فِي حَيَاتِهِمَا وَبَعْدَ وَفَاتِهِمَا، بِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ، وَصُورٍ مُتَعَدِّدَةٍ، مِنْهَا: **الصُّورَةُ الْأُولَى: مِنَ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا بَعْدَ وَفَاتِهِمَا؛ قِضَاءُ التَّكَالِيفِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي عَلَيْهِمَا، إِنْ كَانَتْ صِيَامًا، صَمَتَ عَنْهَا، أَوْ حَجًّا حَجَّجْتَ عَنْهَا، أَوْ أَحْجَجْتَ غَيْرَكَ عَنْهَا، أَوْ صَوْمًا صُمْتَ عَنْهَا، أَوْ نَذْرًا قَضَيْتَهُ عَنْهَا.**

فَقَدْ جَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: جَاءَ رَجُلٌ

(١) أخرجه أحمد (٣/٢٦٦). وأخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب من أحب البسط في الرزق، رقم (٢٠٦٧)، ومسلم: كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، رقم (٢٥٥٧)، دون ذكر موضع الشاهد.

إلى رسول الله ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمَّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمٌ شَهْرٍ أَفَأَقْضِيهِ عَنْهَا؟ قَالَ ﷺ: «لَوْ كَانَ عَلَى أُمَّكَ دَيْنٌ، أَكُنْتَ قَاضِيَهُ عَنْهَا؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَدَيْنُ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يُقْضَى»^(١).

الصورة الثانية: الصدقة عنها، فتصدق عن نفسك وعن والدك، وكلما تصدقت عن نفسك، فأشرك والدك في الأجر، واستحضر هذا الأمر على الدوام، ففضل الله واسع، فصدقك عن نفسك، وصدقك عن والدك تشمل الصدقة الواحدة.

وفي صحيح البخاري من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أُمَّي مَاتَتْ، أَيَنْفَعُهَا أَنْ أَتَصَدَّقَ عَنْهَا؟، قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: فَإِنَّ لِي مَخْرَافًا وَأَشْهَدُكَ أَنِّي تَصَدَّقْتُ بِهِ عَنْهَا^(٢).

فهنيئاً للأبناء الذين أوقفوا الأوقاف لوالديهم، وتصدقوا بالصدقات، وأنشؤوا المبرات في ثواب والديهم، فإن الله سبحانه وتعالى يكافئهم بأبناء يفعلون لهم كما فعلوا لأبائهم.

الصورة الثالثة: الدعاء لهما؛ فإنك إذا استغفرت له في الدنيا، انتفع بها هناك في قبره، فقد جاء عند ابن ماجه، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَتَرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: أَنَّى هَذَا؟»، أَي: مِنْ أَيْنَ جَاءْتُنِي

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصوم، باب من مات وعليه صوم، رقم (١٩٥٣)، ومسلم: كتاب الصيام، باب قضاء الصيام عن الميت، رقم (١١٤٨/١٥٥).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الوصايا، باب إذا وقف أرضاً ولم يبين الحدود، رقم (٢٧٧٠).

هذه الحسنات؟ **«فَيُقَالُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ»** ^(١).

فإذا قلت: اللهم اغفر لوالدي. فقبلها الله، رفعت حسنة لوالدك في قبره.
 الصورة الرابعة: صلة أقاربها، وأحبها، وأهل ودّها، قال رسول الله ﷺ:
«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَصِلَ أَبَاهُ فِي قَبْرِهِ، فَلْيَصِلْ إِخْوَانَ أَبِيهِ بَعْدَهُ» ^(٢)؛ أي: أن تصل
 أعمامك، وأحباب والدك، وأقاربه، وأصدقاءه الذين كانوا يزورونه ويورثهم،
 وكذلك عماتك، وأصحاب والدتك تصلهم بالعطايا، وبالسؤال، فكل ذلك صلة
 منك لوالدك.

وكما جاءت الوصايا بالوالدين في الكتاب والسنة، كذلك جاء التحذير من
 عقوق الوالدين في كتاب الله، وفي سنة رسوله ﷺ.

والعاقل هو الذي يستفيد مما يسمع من مواعظ وخطب، فوالله ما ألقيت
 هذه الخطب، ولا هذه المواعظ إلا لتتقرب بها إلى الله، ونعدّل سلوكنا وننهض في
 سبيل الاستقامة، فحينما تعلم أهمية الإحسان إلى الوالدين، فالعاقل هو الذي
 ينحني ويقول: سمعاً وطاعة. ويغيّر من حياته، ويحذر من العقوق، فإن النبي ﷺ
 قال لصحابته يوماً من الأيام: **«أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ.
 قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ. وَكَانَ مُتَكِنًا فَجَلَسَ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا وَقَوْلُ
 الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ»** ^(٣).

(١) أخرجه أحمد (٥٠٩/٢)، وابن ماجه: كتاب الأدب، باب بر الوالدين، رقم (٣٦٦٠).

(٢) أخرجه أبو يعلى، رقم (٥٦٦٩)، وابن حبان، رقم (٤٣٢)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، رقم (٥٩٧٦)، ومسلم:

كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، رقم (٨٧)، من حديث أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ أَنْ يَتَأَفَّفَ الْوَالِدُ عَلَى وَالِدِهِ، فَكَيْفَ بِالَّذِي يُبْكِي وَالِدَهُ،
أَوْ يُجْرِّهُ فِي الْمَجْتَمَعِ، أَوْ يَجْعَلُ مِنْهُ أَضْحُوكَةً بِسَبَبِ صَنِيعِهِ، وَيَنْزِلُ بِمُسْتَوَى وَالِدِهِ
بِسَبَبِ صَنِيعِهِ؟! فَإِنَّهُ أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ.

فانتبه لذلك فإنَّ العبدَ إذا عَقَّ والديه، عَجَّلَ اللهُ عُقوبته في الدنيا مع ما
يَنتظره في الآخرة، ولا تقل: من أين أتتني هذه العقوبة؟! فإذا كان قد صدر منك
عُقُوقٌ لوالدك، فاعلم أن العقوبة تُعَجَّلُ في الدنيا، تراها بعينك، ويراه الآخرون
فيك.

قال رسول الله ﷺ: «**وَبَابَانِ مُعَجَّلَانِ عُقُوبَتُهُمَا فِي الدُّنْيَا: الْبَغْيِيُّ وَالْعُقُوقُ**»^(١)؛
والبغْيِيُّ: هو الظلم، والعقُوقُ: من جملة الظلم.

لذا عليك أن تُعيدَ النظرَ في معاملتك والديك، وليس عيباً أن تعترفَ
بتقصيرك، وتقول: يا ربِّي أشهدك من هذه اللحظة أن أتغيرَ. وتسعى إلى التغييرِ،
فتصلح ما بينك وبين والديك، فالحياة قصيرة، ونحن نرى صباح مساء الموتَ
كيف يتخطأنا واحداً تلو الآخرِ.

فلا تذهب من هذه الدنيا ووالداك قد غضبا عليك، ولا يذهب الوالدانِ
من هذه الدنيا وأحدهما، أو كلاهما قد غضبَ عليك، فلا ينفَعُك شيءٌ بعد ذلك.



(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٤/١٧٧)، من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.



(٩)

كُنْ فَاعِلًا

•• ❁ ••

خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَأَبُو لُبَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَعْتَقِبُونَ بَعِيرًا
وَاحِدًا فِي غَزْوَةِ أَحَدٍ، فَاقْتَرَحَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مُقْتَرَحًا، وَأَشَارَا عَلَيْهِ بِشُورَى، قَالُوا:
يَا رَسُولَ اللَّهِ تَرَكْبُ وَنَحْنُ نَمَشِي، كُلَّ الطَّرِيقِ، فَقَالَ لَهُمُ ﷺ: «مَا أَنْتُمْ بِأَقْوَى عَلَى
الْمَشِيِّ مِنِّي، وَمَا أَنَا بِأَعْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمْ»^(١).

إِنَّهَا الْفَاعِلِيَّةُ الَّتِي تَحَدَّثْنَا عَنْهَا فِيمَا مَضَى، حِينَما تَحَدَّثْنَا عَنْ صِفَاتِ الرَّجُولَةِ،
وَذَكَّرْنَا مِنْ صِفَاتِ الرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ فَاعِلًا، أَي: لَهُ أَثَرٌ، فَلَا يَكُونُ خَامِلًا، وَأَنْ
يَكُونَ مَتَحَرِّكًا لَا رَاكِدًا.

إِنَّهَا صُورَةٌ بَلِيغَةٌ فِي بَيَانِ مَظْهَرِ الْفَاعِلِيَّةِ، الَّتِي سَطَّرَهَا الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ
رَحِمَهُ اللَّهُ، حِينَما قَالَ تِلْكَ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةَ الَّتِي جَاءَ مِنْهَا:

إِنِّي رَأَيْتُ وَقُوفَ الْمَاءِ يُفْسِدُهُ إِنْ سَالَ طَابَ وَإِنْ لَمْ يَجْرِ لَمْ يَطْبِ
فَالْأَسْدُ لَوْ لَا فِرَاقُ الْأَرْضِ مَا افْتَرَسَتْ وَالسَّهْمُ لَوْ لَا فِرَاقُ الْقَوْسِ لَمْ يُصِبِ
وَالشَّمْسُ لَوْ وَقَفَتْ فِي الْفُلْكِ دَائِمَةً لَمَلَّهَا النَّاسُ مِنْ عُجْمٍ وَمِنْ عَرَبٍ^(٢)

(١) أخرجه أحمد (٤٢٢/١)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) ديوان الشافعي (ص: ٣٦).

والفاعلية هي أن تتحرك، ويكون لك أثرٌ على أرضِ الواقع، وتكون سريعاً إلى الله، وإلى طاعته، وإلى مرضاته.

وقد ذَكَرَ الحسنُ رَحِمَهُ اللهُ في مقولته الشهيرة أيضاً: «لا يجعلُ اللهُ عبداً أسرعَ إليه كعبدٍ أبطأَ عنه»^(١).

لذا؛ فالفاعلية تعني أن تعشقَ المقدمة، والصفوفَ المتقدمة، ومعالِيَ الأمور، وأن تربأً بنفسك أن تكونَ في المؤخرة، حتى في الأماكنِ الفاضلة، في المساجد، وغيرها، لا تعشقُ إلا أن تكونَ في المقدمة.

وقد قال رسولُ اللهِ ﷺ وهو يُربِّينا على هذه الفاعلية: «**احضروا الذِّكْرَ، واذنوا من الإمام؛ فإنَّ الرجلَ لا يزالُ يتباعدُ حتى يؤخَّرَ في الجنةِ وإنْ دخلها**»^(٢).

والفاعلية أن تكونَ أفكارك، وأقوالك مشاريعَ على أرضِ الواقع، مُنجزاتٍ تنهضُ بها مجتمعاتك، وينهضُ بها جيلك وأمتك.

لذا؛ كُنْ فاعلاً ولا تكنْ عالماً على غيرك، لا على والدٍ، ولا على والدةٍ، ولا على أخٍ أكبر، ولا أصغر، قال اللهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وهو يضربُ لنا هذا المثلَ العظيمَ في سورة النحل: ﴿**وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ [النحل: ٧٦]. والجواب: لا يستويان.

(١) أخرجه ابن المبارك في الجهاد رقم (١٠٠)، وأحمد في الزهد رقم (٥٩٢)، والطبراني في المعجم الكبير (٦/٢١١)، رقم (٦٠٣٨)، والحاكم في المستدرک (٣/٢٨٢).

(٢) أخرجه أحمد (٥/١١)، وأبو داود: كتاب الصلاة، باب الدنو من الإمام عند الموعظة، رقم (١١٠٨)، من حديث سمرة بن جندب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فالإسلام لا يُريدُ منك أن تكونَ عالمةً، كثيرَ التذمُّرِ، والتسخُّطِ، كثيرَ الكلامِ، بل يُريدُ منك أن تكونَ أُمَّةً بمُفردِكَ، وانظرُ إلى التاريخِ، واقرأهُ بتأنٍّ ستجدُ أنَّ الَّذِينَ سَطَّرُوا إِنجَازًا لِأُمَّتِهِمْ أَحَادٌ، لَكِنَّهُمْ فِي مَقَامِ الْأُمَّةِ.

فَكُنْ فَاعِلًا؛ أَي: كُنْ مُبَادِرًا، وَلَا تَكُنْ مُتَفَرِّجًا، وَلَا مُتَتَّظِرًا، وَلَا مُتَأَخِّرًا، وَبَادِرٌ فِي كُلِّ حِينٍ، وَعِنْدَ كُلِّ فُرْصَةٍ، وَفُرْجَةٍ، وَلَا تَتَأَخَّرْ، وَالَّذِينَ آمَنُوا قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَالَّذِينَ آخَرُوا إِيْمَانَهُمْ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ، كِلَاهُمَا آمَنَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَكِلَاهُمَا آمَنَ بِهَذَا الدِّينِ، لَكِنْ أُولَئِكَ آمَنُوا قَبْلَ الْفَتْحِ، وَهَؤُلَاءِ آمَنُوا بَعْدَ الْفَتْحِ، فَقَالَ اللَّهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَنْتَلْ أُولَئِكَ أَكْبَرَ دَرَجَةً مِمَّنْ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقْتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾** [الحديد: ١٠].

لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَسْتَوِيَ الْمُتَقَدِّمُ وَالْمُتَأَخِّرُ، وَإِنْ وَصَلَ الْإِثْنَانِ إِلَى نَهَايَةِ الطَّرِيقِ، هَذَا لَهُ الْمُنْصَةُ، وَالْمَرْكَزُ الْأَوَّلُ، فَلَا يَسْتَوِي مَعَ غَيْرِهِ أَبَدًا.

فَكُنْ مُبَادِرًا، فَاللَّهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يَقُولُ: **﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾** [٣٩] **وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾** [٤٠] **ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجِزَاءَ الْأَوْفَى﴾** [٤١] [النجم: ٣٩ - ٤١].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا جَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ»** (١).

لَا تَدْرِي مَاذَا يَحْصُلُ لَكَ فِي الْغَدِ؛ لِذَا بَادِرِ الْيَوْمَ، وَحَاوِلْ أَنْ تَكْتَبَ بِنَفْسِكَ وَبِيَدِكَ إِنجَازَكَ.

لِذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أَنَسٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عِنْدَ**

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، رقم (١١٨).

أحمد في «مُسْنَدِهِ»: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ إِلَّا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا، فَلْيَفْعَلْ»^(١).

يَرَى السَّاعَةَ رَأْيَ عَيْنٍ، وَيَرَى عِلَامَتَهَا، وَالْفَسِيلَةُ فِي يَدِهِ، وَقَدْ يَقُولُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ سَيَسْتَفِيدُ مِنْ هَذِهِ الْفَسِيلَةِ؟ وَمَنْ سَيَأْكُلُ مِنْ ثَمَرِهَا وَالسَّاعَةُ تَقُومُ؟! لَكِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ لَهُ: «بَادِرْ بِغَرْسِهَا»؛ لِأَنَّ الْعِبْرَةَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ لَيْسَتْ هَذِهِ الْحَيَاةُ، وَإِنَّمَا هُوَ مَا بَعْدَهَا، فَاغْرِسْهَا الْيَوْمَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(٢) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يَرَى^(٣) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى^(٤) [النجم: ٣٩-٤١].

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ»: «فَالْعَبْدُ سَائِرٌ لَا وَاقِفٌ، فِيمَا إِلَى فَوْقَ، وَإِمَّا إِلَى أَسْفَلَ، وَإِمَّا إِلَى أَمَامَ، وَإِمَّا إِلَى وَرَاءَ، فَلَيْسَ فِي الطَّبِيعَةِ، وَلَا فِي الشَّرِيعَةِ وَقُوفًا الْبَتَّةَ»^(٥). انْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَالْمُبَادَرَةُ هِيَ أَنْ تَقْتَنِصَ الْفُرْصَةَ الْحَالِيَةَ الْآنَ، وَلَا تَنْتَظِرَ الْغَدَ، وَلَا الْمَسَاءَ، فَإِذَا كُنْتَ فِي النَّهَارِ فَاغْتَنِمِ الْفُرْصَةَ.

لِذَا قَالَ النَّازِمُ وَمَا أَجْمَلَ مَا قَالَ!:

إِذَا هَبَّتْ رِيَّاحُكَ فَاغْتَنِمِهَا فَإِنَّ لِكُلِّ خَافِقَةٍ سُكُونُ

وَإِنْ دَرَّتْ نِيَّاقُكَ فَاغْتَلِبِهَا فَمَا تَدْرِي الْفَصِيلُ لِمَنْ يَكُونُ^(٦)

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٩١).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٢٧٨).

(٣) الأبيات ذكرها الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص: ٢٠٣)، والقرطبي في التفسير (٥/ ٣٨٤)،

غير منسوبة.

وَكُنْ فاعلاً، أي: خيراً في نفسك، مُوصِلاً للخير للآخرين، لا يكفي أن تكون خيراً في نفسك فقط، فالإسلام لا يُربِّينا على أن نكون صالحين في أنفسنا فحسب؛ لأنَّ المُجتمعات تريد الصالح المصلح الموصِّل خيرَه للناس.

وهذا موجودٌ في كتابِ الله، فقد قال الحقُّ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾** [آل عمران: ١١٠]؛ والسَّببُ: قال تعالى: **﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾** [آل عمران: ١١٠].

فالخيريةُ تعني أن تصلَ بهذا الخيرِ إلى الناسِ، لا أن تقبعَ في مكانك، وتكتفي بخيريتك، بل تحركْ ليلَ نهارٍ.

فقد سَرَّ الصحابيُّ الجليلُ أبو هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قولَ الله تعالى: **﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾** [آل عمران: ١١٠]، قال: خيرِ الناسِ للناسِ ^(١).

وحينما نقرأ أحاديثَ النبي **ﷺ** نرى الخيريةَ التي أرادها النبي **ﷺ**، فقد قال **ﷺ**: **«خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ»** ^(٢)، لم يتكلَّم عن الذي يُصلي، ويصوم، ويؤزكي، فهذا له.

وقال أيضاً: **«خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِيهِ»** ^(٣).

-
- (١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب **﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾**، رقم (٤٥٥٧).
 (٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط رقم (٥٧٨٧)، والبيهقي في شعب الإيمان رقم (٧٢٥٢)، من حديث جابر بن عبد الله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**.
 (٣) أخرجه الترمذي: كتاب المناقب، باب فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، رقم (٣٨٩٥)، من حديث عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**. وأخرجه ابن ماجه: كتاب النكاح، باب حسن معاشره النساء، رقم (١٩٧٧)، من حديث ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**.

وقال: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»^(١).

وقال: «خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ»^(٢).

وقال: «خَيْرُكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً»^(٣).

وكلُّ هذا الخيرٍ مُنتقلٌ إلى الآخرين؛ لذا: كُنْ فاعِلاً، فإنَّ الأمةَ في حاجةٍ إلى فاعليّتك ونشاطك الآن، كُنْ فاعِلاً في أيِّ موقعٍ أنت فيه، في مَوقِعِ المسؤوليّة، أو مَوقِعِ الوالد، أو مَوقِعِ المعلِّم، أو مَوقِعِ المتعلِّم، أو في أيِّ مَوقِعٍ، كُنْ فاعِلاً في بيتك، أو في الطريق، أو في عمَلِك، أو في أيِّ مَيدانٍ.

وكنْ فاعِلاً، بمعنى: كُنْ أنتَ، لا تكُنْ غيرك، فلا تُحاوِلْ أن تعيشَ في ثيابِ غيرك، ولا تُحاوِلْ أن تعيشَ في ظلِّ إنجازِ غيرك، فحدِّثك عن إنجازاتِ والدك، أو عشيرتك، أو قبيلتك هذا لا يَنفعُ، فلا تُقل: أنا ابنُ فلانٍ الَّذي فعَلَ وفعلَ، أو أنا ابنُ العائلةِ الفلانيةِ الَّتِي كانَ لها ولها. فالمجتمعُ يُريدك أنتَ.

قال اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾^(٩٥) [مريم: ٩٥]، أي:

لَنْ تَأْتِيَ بَعْشِيرَتِكَ، وَلَكِنْ سَتَأْتِي بِمُفْرَدِكَ.

وقال اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْعَ رُؤْيَاهُ فِي يَوْمٍ يُؤْتَى الْقِيَامَةَ

كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾^(١٣) أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا^(١٤) مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي

لِنَفْسِهِ^ط وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا^ط [الإسراء: ١٥].

(١) أخرجه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، رقم (٥٠٢٧)، من حديث عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٣٦٨/٢)، والترمذي: كتاب الفتن، رقم (٢٢٦٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الوكالة، باب الوكالة في قضاء الديون، رقم (٢٣٠٦)، ومسلم: كتاب المساقاة، باب من استسلف شيئاً ففقد خيراً منه، رقم (١٦٠١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ مَبْحَاثَهُ وَتَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾
 [الشعراء: ٢١٤]، قَامَ يُنَادِي فِي قَوْمِهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أُغْنِي
 عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَاةٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ
 الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ
 شَيْئًا، يَا فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، سَلِينِي مَا شِئْتَ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا»^(١).
 فَكُتِبَ إِنْجَازَاتِكَ أَنْتَ، فَإِنَّ التَّارِيخَ لَا يَرَحُمُ، سَيَكْتَبُ مَا قَدَّمْتَ وَأَنْجَزْتَ
 أَنْتَ.

وَكُنْ فَاعِلًا: بِمَعْنَى: كُنْ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ، مِغْلَاقًا لِلشَّرِّ، وَلِيَكُنْ هَذَا ذِيْدِنَكَ،
 فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ، مَغَالِيْقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ
 مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ، مَغَالِيْقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ
 لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ»^(٢).

فَكُنْ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ، مِغْلَاقًا لِلشَّرِّ أَيْنَمَا كُنْتَ، فَتَفْتَحْ أَبْوَابَ الْخَيْرِ بِكَلِمَةٍ
 مِنْكَ، أَوْ بِشَفَاعَةٍ، أَوْ بِوَقْتٍ مِنْ وَقْتِكَ، أَوْ بِهَالٍ مِنْ عِنْدِكَ؛ فَإِنَّ الْفُجَّارَ يَعْمَلُونَ
 لَيْلَ نَهَارٍ أَنْ يَكُونُوا مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ، مَغَالِيْقَ لِلْخَيْرِ، فَلَا يَغْلِبُونَكَ!.



(١) أخرجه البخاري: كتاب الوصايا، باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب، رقم (٢٧٥٣)،
 ومسلم: كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، رقم (٢٠٦)، من
 حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه ابن ماجه: المقدمة، باب من كان مفتاحا للخير، رقم (٢٣٧)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



(١٠)

آداب المتعلم



مع بداية عام دراسي جديد، أبعث بهذه النصائح الموجزة، نصائح ملؤها الحب والنصح والشفقة، لجميع أبنائي المقبلين على عام دراسي جديد في شتى مراحلهم الدراسية، وأنواعها المختلفة، سواء كنت في مدرسة، أو جامعة، أو كلية، مدنية أو عسكرية، أبعث لك بهذه النصائح الخمس.

أقول فيها: إن الله تبارك وتعالى لما جاء بهذا الدين العظيم، جعل من أولوياته نشر العلم، وبيان أهميته وفضيلته، في زمن كانت الأمم غارقة في الجهل والخرافة، فنزل أول ما نزل على النبي ﷺ قول الله تعالى: ﴿أَفْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۚ﴾ ﴿٢﴾ ﴿أَفْرَأَ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۙ﴾ ﴿٣﴾ ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۙ﴾ ﴿٤﴾ ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم ۙ﴾ ﴿٥﴾ [العلق: ١-٥].

ثم أقسم سبحانه وتعالى بأعظم أدوات العلم وهو القلم، فقال: ﴿ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ﴿١﴾ [القلم: ١].

فالعلم له شأن عظيم في هذا الدين، ولم ترتق أمة إلا حينما اهتمت بالعلم، ولم ينهض مجتمع إلا حينما اهتم بالعلم، وحث أبناءه على ذلك، فما من مجتمع متخلف اليوم إلا وقد أهمل العلم، وسيطر عليه الجهل والخرافة.

وقد جاء النبي ﷺ بهذا الدين الذي ملؤه الحث على العلم، فها هنا حديثان

عظيمان:

الحديثُ الأوَّلُ: جاءَ في «صحيحِ مُسلمٍ» أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»^(١).

انظُرْ إلى هذا الترابُطِ بينَ العِلْمِ وبينَ طَرِيقِ العِلْمِ وطريقِ الجنةِ.

الحديثُ الثاني: حديثُ أبي الدرداءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عندَ البيهقيِّ في «شُعَبِ الإِيْمَانِ» أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ»^(٢).

أيُّ طالبِ عِلْمٍ، وإن كان طالبُ العِلْمِ الشرعيِّ في المقَدِّمةِ، ولكن لا تُغفلُ بقيَّةَ العِلْمِ الَّتِي فيها نفعٌ للدينِ، وللمُجتمعاتِ، وللإنسانيةِ والبشريةِ، فهذه العِلْمُ إذا تعلَّمها الإنسانُ بمقصدٍ حسنٍ ناله هذا الأجرُ العظيمُ.

فهذه خمسُ وصايا ونصائحٍ أبعثُ بها إليك فاحفظها، ولتكنْ معَكَ:

النصيحةُ الأولى: عليك بتَحسينِ المقصدِ في أيِّ عِلْمٍ تتعلَّمُه أنك تُريدُ بهذا العِلْمِ مَرَضاةَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وأن تُخدمَ دينَكَ، ومجتمَعَكَ، وأن تنهَضَ بلادَكَ بذلك، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ كما جاءَ في «صحيحِ البخاريِّ»: «الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَى»^(٣)، فعملُك هذا مُرتبطٌ بِنِيَّتِكَ، والأجرُ مُتوقِّفٌ على نِيَّتِكَ.

واحذِرْ أن تكونَ مِمَّنْ يتعلَّمُ ليتكبَّرَ على الخلقِ، أو مِمَّنْ يتعلَّمُ وهو يُريدُ الفخرَ والحِيلاءَ، أو يُريدُ أن يُجادلَ غيرهَ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، رقم (٢٦٩٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب رقم (١٥٧٣، ١٥٧٤).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب ما جاء إن الأعمال بالنية والحسبة، رقم (٥٤)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية»، رقم (١٩٠٧)، من حديث عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فَقَدْ جَاءَ عِنْدَ ابْنِ مَاجَهَ، مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «لَا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِتَبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَلَا لِتَهَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ، وَلَا تَخَيَّرُوا بِهِ الْمَجَالِسَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالْتَارُ النَّارُ»^(١).

أي: لا تتعلموا العلم لتفتخروا به على أقرانكم من العلماء، ولا تتعلم وأنتم في قصدك أن تتقدم على غيرك، بل تعلم لتخدم غيرك، ولتكون منقداً لغيرك، لا أن تتكبر عليه.

النصيحة الثانية: استصحب الصبر، فطريق العلم طويل، وسنواته طويلة، وطريق المجد طويل، يحتاج إلى تعب ونصب وجه جهيد، فاستصحب الصبر. واعلم أنك كلما صبرت أجزت، قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي آيَاتِ كَثِيرَةٍ، أَعْظَمُهَا مَا جَاءَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ حِينَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾** [البقرة: ١٥٥].

وقال سبحانه في سورة الأنفال: **﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾** [الأنفال: ٤٦].

وقال سبحانه في سورة آل عمران: **﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾** [آل عمران: ١٤٦].

ثم إذا أردت المجد فلا يمكن أن تبلغ المجد الحقيقي - لا المجد المصطنع، الذي يأتي بطرق ملتوية - إلا بالصبر.

قال الحق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ السَّجْدَةِ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾** [السجدة: ٢٤].

فلما صبروا كانوا هم الأمة الذين يهدون ويهتدى بهم، حتى قال القائل:

(١) أخرجه ابن ماجه: المقدمة، باب الانتفاع بالعلم والعمل به، رقم (٢٥٤).

لَا تَحْسَبِ الْمَجْدَ ثَمْرًا أَنْتَ أَكِلُهُ لَا تَبْلُغِ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبْرًا^(١)

وقال رسول الله ﷺ: «وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»^(٢).

فإذا كدَّ الإنسان وصبرَ، فبقدر الكدِّ ينال العلاء، ومن طلب العلاء سهر الليالي، هكذا قيل.

النصيحة الثالثة: يا طالب العلم، في أيِّ مرحلة كنت أنت: اتق الله يعلمك الله. فكلما زادت تقواك فتحت لك أبواب العلم في أيِّ مجالٍ تتخصَّص فيه.

دليل ذلك قول الحقِّ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُوْرَةِ الْبَقْرَةِ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ ط وَيُعَلِّمَكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾** [البقرة: ٢٨٢]، وليس هناك أوضح من هذه الآية.

وقال شيخُ المفسرين القرطبي **رَحِمَهُ اللهُ** عند هذه الآية: «وعدُّ من الله تعالى بأنَّ من اتقاه علمه. أي: يجعل في قلبه نورًا يفهم به ما يلقي إليه»^(٣).

وجاء الشافعي **رَحِمَهُ اللهُ** إلى شيخه يشتكي إليه سوء الحفظ، قال:

شَكُوْتُ إِلَى وَكَيْعِ سُوءِ حِفْظِي فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي

(١) نسبه أبو تمام في الحماسة لرجل من بني أسد، انظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (ص: ١٠٥٧)، وذكره أبو علي القالي في الأمالي (١/١١٣)، وأبو حيان التوحيدي في أخلاق الوزيرين (ص: ٩٢)، غير منسوب.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، رقم (١٤٦٩)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر، رقم (١٠٥٣)، من حديث أبي سعيد الخدري **رَحِمَهُ اللهُ عَنهُ**.

(٣) تفسير القرطبي (٣/٤٠٦).

وَقَالَ اَعْلَمُ بِأَنَّ الْعِلْمَ نُورٌ وَنُورُ اللَّهِ لَا يُهْدَى لِعَاصِي^(١)

فكَلَّمَا اتَّقَيْتَ اللَّهَ عَلَّمَكَ اللَّهُ، وَتَقَوَى اللَّهَ أَنْ تَفْعَلَ مَا أَمَرَ، وَتَجْتَنِبَ مَا نَهَى .
النَّصِيحَةُ الرَّابِعَةُ: عَلَيْكَ بِاحْتِرَامِ مُعَلِّمِكَ، وَتَوْقِيرِ أَسْتَاذِكَ، وَشُكْرِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، أَيَّا كَانَ هَذَا الْمَعْلَمُ، وَهَذَا الْأُسْتَاذُ، مُحِبُّهُ أَوْ لَا مُحِبُّهُ، رَاقٍ لَكَ أَوْ لَمْ يَرُقْ لَكَ، فَكُونُهُ مُعَلِّمًا لَكَ يَجِبُ عَلَيْكَ تَوْقِيرُهُ، وَاحْتِرَامُهُ، وَشُكْرُهُ وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّكَ بِذَلِكَ تَرْتَفِعُ، وَنَالَكَ مِنَ التَّوْقِيرِ وَالِاحْتِرَامِ فِي حَيَاتِكَ، فَإِنَّ مَنْ وَقَّرَ وَقُرَّ، وَمَنْ شَكَرَ شُكْرًا، وَمَنْ احْتَرَمَ احْتِرَامًا، كَيْفَ لَا أُوقِّرُ مُعَلِّمِي وَرَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ حَتَّى النَّمْلَةُ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوْتُ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ»؟!^(٢)؛ كُلُّ هَؤُلَاءِ يُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ، وَلَا أَحْتَرِمُهُ أَنَا؟! فَهَذَا لَا يَنْبَغِي .

بل قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلِّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمِ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفَ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ»^(٣) .

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ مُحَدَّثًا كَيْفَ كَانَ مَوْقِرًا لِأُسْتَاذِهِ، قَالَ:
«مَا مَدَدْتُ رِجْلِي نَحْوَ دَارِ أَسْتَاذِي حَمَادٍ إِجْلَالًا لَهُ، وَبَيْنَ دَارِي وَدَارِهِ سَبْعُ سِكَكِ،

(١) ديوان الشافعي (ص: ٧١).

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، رقم (٢٦٨٥)، من حديث أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد (٣٢٣/٥)، والطبراني في مكارم الأخلاق رقم (١٤٧)، والحاكم في المستدرک (١٢٢/١)، من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وما صَلَّيْتُ صَلَاةً مُنْذُ مَاتَ حَمَادٌ إِلَّا وَاسْتَغْفَرْتُ لَهُ مَعَ وَالِدِي، وَإِنِّي لِأَسْتَغْفِرُ لِمَنْ
عَلَّمَنِي وَتَعَلَّمْتُ مِنْهُ عِلْمًا»^(١).

هَكَذَا تَنْهَضُ الْأُمَمُ!

وقَد وَصَفَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ كَيْفَ كَانَ مَعَ أَسَاتِذِهِ الْإِمَامِ مَالِكٍ،
فَقَالَ: «كُنْتُ أَقْلِبُ الصَّفْحَةَ بَيْنَ يَدَيْ مَالِكٍ بَرَفِيقٍ لَثَلَا يَسْمَعُ وَقَعَهَا»^(٢). فَهُوَ
يَحْتَرِمُهُ؛ لَثَلَا يَشْغَلُ ذَهَنَهُ بِصَوْتِ وَرَقَةٍ؛ لِذَا لِمَا قِيلَ:

قُمْ لِلْمُعَلِّمِ وَفِيهِ التَّبَجِيلَا كَادَ الْمَعْلَمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولَا
أَعْلِمْتَ أَشْرَفَ أَوْ أَجَلَّ مِنَ الَّذِي يَبْنِي وَيُنْشِئُ أَنْفُسًا وَعُقُولَا؟^(٣)

النَّصِيحَةُ الْخَامِسَةُ: يَا طَالِبَ الْعِلْمِ، فِي كُلِّ مَرَحَلَةٍ تَنْتَقِلُ مِنْهَا إِلَى مَرَحَلَةٍ
أُخْرَى يَطْرَأُ عَلَيْكَ رِفَاقٌ جُدُدٌ، فَاحْذَرِ رِفَاقَ السُّوءِ، وَاحْذَرِ سُرَّاقَ الْوَقْتِ،
فَالْوَقْتُ عَزِيزٌ، وَالطَّرِيقُ طَوِيلٌ، فَلَا تَشْغَلْ بَرَفِيقِ السُّوءِ، وَلَا بِسَارِقِ الْوَقْتِ،
وَادْكُرْ قَوْلَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ
الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾^(٢٧) يَنْوَلَّتْ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانَا خَلِيلًا^(٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي^ط
وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا ﴿﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

وَلَوْ سَأَلْتَ كَثِيرًا مِنَ الَّذِينَ سَقَطُوا وَفَشَلُوا فِي هَذَا الطَّرِيقِ، عَنْ سَبَبِ
السَّقُوطِ وَالْفَشْلِ، سَيَقُولُونَ لَكَ: رَفِيقُ السُّوءِ وَسَارِقُ الْوَقْتِ هُوَ الَّذِي أَسَقَطَنَا؛

(١) الطبقات السنيّة في تراجم الحنفية (١/ ١١٤).

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي (٢/ ١٤٤)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (١٤/ ٢٩٣).

(٣) الشوقيات (١/ ١٨٠).

لذا قال رسول الله ﷺ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»^(١).
فالخيارُ في يدك أنتَ، تغلَّبَ على عاطفتِكَ، واختَرَّ مَنْ يُعِينُكَ على هذا
الطريق:

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسَلْ، وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي
إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبُ خِيَارِهِمْ وَلَا تَصْحَبِ الْأَزْدَى فَتَزْدَى مَعَ الرَّدِّي^(٢)



(١) أخرجه أحمد (٣٠٣/٢)، وأبو داود: كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، رقم (٤٨٣٣)،
والترمذي: كتاب الزهد، رقم (٢٣٧٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد (١٧٩/٢) غير منسوب، ونسبه الماوردي في أدب الدنيا
والدين (ص: ١٦٦) لعدي بن زيد، والبيت الأول في ديوان طرفه (ص: ٣٢).



(١١)

رسائل للمعلمين والمعلمات



التعليم ليس مهنةً فحسب، بل هو رسالة سامية وعمل نبيل، وهو عمل الأنبياء والمرسلين، فالله تبارك وتعالى يقول: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ، وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

ورفع الله شأن العلم وأهله، فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

تحدثنا فيما مضى عن رسائل للمتعلمين، وحدثنا الآن عن رسائل للمعلمين، وحينما أقول للمعلمين، فكلُّ معلمٍ له نصيبٌ من هذه الرسائل، سواءً كان في مدرسة أو جامعة، في مدرسة شرعية، أو مدنية، أو مهنية، أو عسكرية، أو كان مدرساً نظامياً، أو معلماً في بيته، أو معلماً في أيِّ مكانٍ، فهذه الرسائل موجهة لكلِّ معلمٍ قام يعلم الآخريين، ولكنها على وجه الخصوص لإخواني المعلمين.

الوصية الأولى: كُنْ مُخْلِصًا فِي هَذَا التَّدْرِيسِ، وَاحْتَسِبِ الْأَجْرَ، وَانُو الْخَيْرِ؛ لئلا يفوتك الأجر، وإن كنت تأخذ على ذلك راتباً، استحضر الأجر، فأجرك عند الله تبارك وتعالى عظيم، ولكنك لن تنال هذا الأجر حتى تحتسبه، وتضعه بين عينيك، فإن أجر المعلم عظيم جداً - كما سيأتي بعد قليل - ولكن هذه الأجور لا ينالها إلا

المحتسبون الذين قد وضعوا أمام أعينهم هذه الأجور وعملوا لأجلها.
قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عَلَّمَ عَلِمًا فَلَهُ أَجْرٌ مَنْ عَمِلَ بِهِ، لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ
الْعَامِلِ»^(١).

فإن علّمت إنساناً في يومٍ من الأيام الكتابة أو القراءة، فلك أجر ما تعلّمه
منك وعمل به، سنين طويلة وهو يعمل بما علّمته، كل ذلك في موازين حسناتك
إذا احتسبت الأجر. أو علّمت أجيالاً فمنهم المهندس، والطبيب، والعسكري،
وإمام المسجد، وخطيب الجمعة، والقاضي، كل هؤلاء لا يعملون من عملٍ إلا
وهو في موازين حسناتك إذا احتسبت الأجر، فقط انو الخير.

ولما جاء عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «يا أبتَي أَوْصِنِي»،
قَالَ: «يا بُنَيَّ، انو الخير، فإنك لا تزال بخير ما نويت الخير»^(٢).

فانو الخير في ذهابك ومجئك، وانو الخير في هذا النصب والتعب في
تحضيرك وتدريسك وتعليمك، وانو الخير أنك تُقدّم للأمة جيلاً يعمل، ثم يكون
هذا العمل في موازين حسناتك يوم القيامة.

وقد مر بنا فيما مضى أن النبي ﷺ قَالَ كما جاء في حديث أبي أمامة الباهلي
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةُ
فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوْتُ لِيُصَلُّوا عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ»^(٣). أي: يدعون لمعلم

(١) أخرجه ابن ماجه: المقدمة، باب ثواب معلم الناس الخير، رقم (٢٤٠)، من حديث معاذ بن
أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص: ٢٧٤)، والآداب الشرعية لابن مفلح (١/ ١٠٤).

(٣) أخرجه الترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، رقم (٢٦٨٥).

الناسِ الخَيْرِ، فهذه الكائناتُ وهذا الكونُ مِنْ حولِكَ - أيُّها المعلِّمُ - يَتَفَاعَلُ مَعَ مَا تُقَدِّمُهُ لِلأُمَّةِ، فيَدْعُونَ لَكَ بِالخَيْرِ.

الْوَصِيَّةُ الثَّانِيَّةُ: كُنْ عَامِلًا بِعِلْمِكَ الَّذِي تُعَلِّمُهُ لغيرِكَ مَا اسْتَطَعْتَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا. أي: وَأَنْتِ تُعَلِّمِ اعْمَلِ، وَكُنْ قُدْوَةً، فَحِينَمَا تَقُولُ لِطُلَّابِكَ: أَذُوا الصَّلَاةِ، فَكُنْ أَنْتِ إِمَامَهُمْ وَأَمَامَهُمْ، وَحِينَمَا تُرَبِّي طُلَّابَكَ عَلَى الصَّدَقِ فَلْيَرَوْا مِنْكَ الصَّدَقَ وَاقِعًا مَحْسُوسًا، وَحِينَمَا تُعَلِّمُهُمُ الانضِبَاطَ كُنْ مُنضِبِطًا فِي حَيَاتِكَ دَاخِلَ حَرَمِ الْمَدْرَسَةِ وَخَارِجَهَا، أَي: كُنْ عَامِلًا بِمَا تُعَلِّمُ غَيْرِكَ.

وانظُرْ هذا التوجيهَ الرَّبَّانِيَّ كَيْفَ يَتَكَرَّرُ فِي كِتَابِ اللَّهِ؛ لِيُوكِّدَ هَذِهِ الْقَضِيَّةَ، ففِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ يَقُولُ اللَّهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾** [البقرة: ٤٤].

وَفِي سُورَةِ هُودٍ يَقُولُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَكُمُ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾** [هود: ٨٨].

وَفِي سُورَةِ الصَّفِّ يَقُولُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾** [الصف: ٢-٣].

وَإِذَا نَظَرْتَ فِي سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَجَدْتَ هَذَا التَّوْجِيهَ أَيْضًا، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَثَلُ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ مَثَلُ مُصْبَاحٍ يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيُحْرِقُ نَفْسَهُ»** (١).

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢/١٦٥، رقم ١٦٨١، ١٦٨٥)، من حديث جنذب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أي: تتخرَّجُ أجيالاً وتعبُرُ من خلالِ هذا المعلمِ إلى الجنَّةِ، ثم هو يُحرقُ نفسه؛ لأنَّه لم يكنْ عاملاً بها علماً.

وحيثما دخلَ الإمامُ الشافعيُّ رَحِمَهُ اللهُ على هارونَ الرشيدِ، مرَّ في طريقه بمؤدِّبِ أولادِ هارونَ الرشيدِ، أبي عبد الصمدِ، فقيلَ للشافعيِّ رَحِمَهُ اللهُ: «هذا مؤدِّبُ أولادِ أميرِ المؤمنينَ، فلو أوصيته بوصية»، فقالَ له الشافعيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «ليكنْ أوَّلَ ما تَبدأُ به من إصلاحِ أولادِ أميرِ المؤمنينَ إصلاحَ نفسك؛ فإنَّ أعينهم معقودةٌ بعينك، فالحسنُ عندهم ما تستحسنه، والقبيحُ عندهم ما تركته»^(١).

هكذا التربية، فابدأ بنفسك كما قال الأوَّلُ:

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلِّمُ غَيْرُهُ هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ
تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السَّقَامِ وَذِي الضَّنَى كَيْمَا يَصِحُّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمٌ
أَبْدَأُ بِنَفْسِكَ فَأَنْهَى عَنْ غَيْهَا فَإِنْ انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ
لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلُهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ^(٢)

الوصيةُ الثالثةُ: كُنْ مشجِّعاً لطلابك، مُقتنصاً للموهوبين منهم، مُراعياً للفروق الفردية فيهم، فالطلابُ أمامك أفهامهم مُتفاوتةٌ، وذكاؤهم متفاوتٌ،

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٤٧/٩)، والخطيب في تاريخ بغداد (٣٠٦/٤).

(٢) انظر: أدب الدنيا والدين للماوردي (ص: ٣٤)، وجامع بيان العلم لابن عبد البر (١/٦٧٤)، وتاريخ دمشق (١٥٩/٣٤)، وشرح شذور الذهب لابن هشام (ص: ٣١٠)، ونسبها لأبي أسود الدؤلي.

وقدراهم متفاوتة، فلا تُعاملهم على أنهم سواء في الفهم، والإدراك، والحالة النفسية، والحالة الأسرية، بل هم مختلفون.

ولما سأل معاوية رضي الله عنه صعصعة بن صوحان، قال: «يا صعصعة، صف لي الناس»، فقال: «خلق الناس أطوارًا، فطائفة للسيادة والولاية، وطائفة للفقهِ والسنة، وطائفة للباس والنجدة، ورجرجة بين ذلك، يُغلون السَّعر، ويكدِّرون الماء»^(١)، إذا حضروا أضروا، وإذا تفرَّقوا لم يُعرفوا؛ فالناس مُتفاوتون، فعاملهم على هذا التفاوت.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يخطب يومًا من الأيام، فدخل أبو رفاعَةَ -أعرابيٌّ أسلمَ حديثًا، لا يعرف من الإسلام شيئًا- فوقف في وسط المسجد، ثم قال: يا رسول الله، رجلٌ غريبٌ جاء يسأل عن دينه فعلمني، فلا أدري ما ديني، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله، وترك الخطبة، وجاء عند هذا الأعرابي، ووضع له صلى الله عليه وآله كرسيًا، فجلس عند أبي رفاعَةَ، قال أبو رفاعَةَ: فعلمني رسول الله صلى الله عليه وآله مما علَّمه الله، ثم رجَعَ إلى خطبته، فأتمها^(٢).

فكنْ هكذا - أيها المعلِّم - مع تفاوتِ طلابك في الفهم والذكاء.

وانظر كيف كان المعلِّمُ الأوَّلُ رسولُ الله صلى الله عليه وآله يقتنصُ الموهوبين، فليس بالضرورة أن يكون كلُّ طلابك أذكياء، فقد لا يكون أحدُ طلابك ذكيًا، لكنَّه

(١) أمالي القالي (١/٢٥٧)، والبصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي (١/٤٥)، وشرح الشفا لملا

علي القاري (١/٢٥٤).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الجمعة، باب حديث التعليم في الخطبة، رقم (٨٧٦).

مَوْهُوبٌ أَيَّ مَوْهَبَةٍ، فِي الشَّعْرِ، أَوْ الْأَدَبِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.

حِينَمَا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ حُنَيْنٍ، وَالْحَدِيثُ عِنْدَ النَّسَائِيِّ - وَنَعْلَمُ كَيْفَ يَكُونُ الْجَيْشُ وَهُوَ رَاجِعٌ مِنْ غَزْوَةٍ، وَغَزْوَةُ حُنَيْنٍ قَالَ اللَّهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيهَا: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾** [التوبة: ٢٥]، غَزْوَةُ حُنَيْنٍ وَمَا فِيهَا مِنْ أَلْمٍ نَفْسِيَّ وَبَدَنِيَّ - وَقَفُوا لِيُصَلُّوا، وَأَمَرَ ﷺ بِاللَّأَلَا أَنْ يُؤذَّنَ، فَخَرَجَ عَشْرَةُ شَبَابٍ مِنْ مَكَّةَ، وَكَانُوا عَلَى الشَّرْكِ، يُؤذِّنُونَ مِثْلَ أَذَانِهِ مُسْتَهْزِئِينَ بِهِ، فَسَمِعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: **«قَدْ سَمِعْتُ فِي هَؤُلَاءِ تَأْذِينَ إِنْسَانٍ حَسَنِ الصَّوْتِ، أَحْضَرُوهُمْ»**، هَكَذَا يَتَعَامَلُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ النَّاسِ، يَرَى الْجَانِبَ الْإِيجَابِيَّ. فَأَحْضَرُوهُمْ، فَسَمِعَ أَذَانَهُمْ وَاحِدًا تَلَوْا الْآخِرَ حَتَّى سَمِعَ الْآخِرَ، فَإِذَا هُوَ أَبُو مَحْذُورَةَ، فَمَسَحَ رَأْسَهُ ﷺ وَبَرَكَ عَلَيْهِ، وَدَعَا اللَّهَ أَنْ يَشْرَحَ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ، فَأَسْلَمَ هَذَا الشَّابُّ، وَعَيْنَهُ فِي يَوْمِهِ ﷺ مُؤذِّنًا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ^(١)، فَأُذِنَ حَتَّى مَاتَ، وَتَوَارَثَ الْأُذَانَ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدُهُ وَوَلَدُ وَلَدِهِ سِنِينَ طَوِيلَةً؛ لِأَنَّ الْمَعْلَمَ يَتَعَامَلُ مَعَ طُلَابِهِ وَمَعَ مَنْ حَوْلَهُ بِهَذِهِ النِّفْسِ الْعَالِيَةِ.

الْوَصِيَّةُ الرَّابِعَةُ: كُنْ بَشُوشًا مُبْتَسِمًا، وَدَعْ عَنكَ الْغَضَاظَةَ وَالْإِمْلَالَ؛ فَإِنَّ النِّفْسَ جُبِلَتْ عَلَى كِرَاهِيَةِ الْمَادَةِ الْعِلْمِيَّةِ؛ لِأَنَّهَا جَافَةٌ بِطَبْعِهَا، فَطَبُّ جَفَافٍ مَادَّتِكَ الْعِلْمِيَّةِ بَايْتَسَامَتِكَ وَبَشَاشَتِكَ، وَتَذَكَّرْ دَائِمًا قَوْلَ الْحَقِّ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْمُعَلِّمِ**

(١) أخرجه أحمد (٤٠٨/٣)، والنسائي: كتاب الأذان، باب الأذان في السفر، رقم (٦٣٣)، وابن ماجه: كتاب الأذان، باب الترجيع في الأذان، رقم (٧٠٨)، من حديث أبي محذورة رَوَاهُ اللَّهُ عَنَّهُ.

الأول: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] هذا وهو رسول الله ﷺ.

فإذا دخلت على طلابك فسلم، فقد قال عطاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا صَعِدَ الْمَنْبَرَ أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ» ^(١).
 إنَّهَا رِسَالَةٌ سَلَامٍ بَيْنَ يَدَيْكَ - أَيُّهَا الْمَعْلَمُ - وَهَذِهِ الْقُلُوبُ تَمَلُّ كَمَا قَالَ الْخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَدْ قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ، فَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ» ^(٢).

وَلَيْسَ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ تُحْمَلَ طُلَّابُكَ هُمُومَكَ وَمَشَاكِلَكَ الْأُسْرِيَّةَ، وَمَتَاعِبَكَ مَعَ الْإِدَارَةِ وَالْوِزَارَةِ، فَلَيْسَ لَهُمْ شَأْنٌ فِي ذَلِكَ، فَإِذَا دَخَلْتَ عَلَيْهِمْ كُنْ لَهُمُ الْوَالِدَ الْمُحِبَّ الْمَشْفِقَ، وَأَذْكُرْكَ أَنْ تَكُونَ مُحْتَسِبًا لِتِلْكَ الْخُطُواتِ، وَتِلْكَ الْكَلِمَاتِ، فَإِنَّ لَكَ أَجْرًا عَظِيمًا عِنْدَ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ.



(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف رقم (٥٢٨١).

(٢) أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق رقم (٧١٩)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم رقم (٦٥٩).

الصفة الأولى: إذا أذنب تاب في الحال، فالأوَّاب هو الذي إذا وقع في الذنب تاب على الفور، هكذا قال سعيد بن المسيب، كما جاء في «تفسير البغوي»: «الأوَّاب: الذي يُذنب ثم يتوب، ثم يُذنب ثم يتوب»^(١).

ومن منَّا بلا ذنب وبلا خطيئة؟ وقد قال رسول الله ﷺ، كما جاء في سنن الترمذي: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»؟^(٢).

وقال ﷺ كما جاء عند الطبراني في «معجمه الكبير»: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَهُ ذَنْبٌ يَعْتَادُهُ الْفَيْئَةَ بَعْدَ الْفَيْئَةِ، أَوْ ذَنْبٌ هُوَ مُقِيمٌ عَلَيْهِ لَا يُفَارِقُهُ حَتَّى يُفَارِقَ الدُّنْيَا، إِنَّ الْمُؤْمِنَ خُلِقَ مُفْتَنًا تَوَّابًا نَسِيًّا إِذَا ذُكِّرَ ذَكَرًا»؟^(٣)

وأى فتنه أعظم من ذلك التوعد الذي توعدَّه الشيطان أن يُغوي عبادة الله الصالحين؟! جاء في حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الحاكم في «مستدركه»، أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وَعِزَّتْكَ يَا رَبُّ لَا أَبْرُحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ. فَيَقُولُ الرَّبُّ الْكَرِيمُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَغْفِرَنَّ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي»^(٤).

فهؤلاء الذين يستغفرون بعد الذنب هم الأوَّابون؛ لأنهم قد علموا أن الله

(١) تفسير البغوي (٣/١٢٩).

(٢) أخرجه أحمد (٣/١٩٨)، والترمذي: كتاب صفة القيامة، رقم (٢٤٩٩)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، رقم (٤٢٥١)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/٣٠٤)، رقم (١١٨١٠)، والبيهقي في الشعب رقم (٦٧٢٢)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) أخرجه أحمد (٣/٢٩)، والحاكم في المستدرک (٤/٢٦١).

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَغْفِرُ لِمَن آبَ وَرَجَعَ وَتَابَ، كَيْفَ لَا، وَهُمْ يَقْرَأُونَ: ﴿رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي
نُفُوسِكُمْ إِنَّ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٥].

فالأواب هو الذي يسارع إلى التوبة والمغفرة، ويسابق إليها، هكذا أمرنا الله
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فقد قال في سورة آل عمران: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ
عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وهكذا قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في سورة الحديد: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ
عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن
يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

وكيف لا يسارع إلى التوبة والله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ مَنَحَنَا المهلة التي أَخْبَرَ بها
رسول الله ﷺ، حينما قال: «إِنَّ صَاحِبَ الشَّامِلِ»؛ أي: الذي يُسَجِّلُ السيئاتِ
«لِيَرْفَعَ الْقَلَمَ سِتَّ سَاعَاتٍ عَنِ الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ الْمُخْطِئِ أَوْ الْمُسِيءِ، فَإِنْ نَدِمَ وَاسْتَغْفَرَ
اللَّهُ مِنْهَا أَلْقَاهَا، وَإِلَّا كُتِبَتْ وَاحِدَةً»^(١).

إنه كرم الربِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لعباده الأوابين، ويتجلى ذلك في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:
﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ
الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

هذه أبرزُ صفاتِ الأوابين، أنهم إذا وَقَعُوا في الذنب تابوا؛ لأنهم يعلمون أن
الموت يهجم هجوما لا وقت له، كما قال الأَوَّلُ:

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨/ ١٨٥، رقم ٧٧٦٥)، والبيهقي في الشعب رقم (٦٦٥٠)،
من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يَا نَفْسُ تُوْبِي فَإِنَّ الْمَوْتَ قَدْ حَانَ وَأَعْصِي الْهَوَى فَالْهَوَى مَا زَالَ فَتَانَا
 أَمَا تَرَيْنِ الْمَنَايَا كَيْفَ تَلْقَطُنَا لَقَطًا فَتُلْحِقُ أَخْرَانَا بِأَوْلَانَا
 فِي كُلِّ يَوْمٍ لَنَا مَيِّتٌ نُشِيعُهُ نَرَى بِمَضْرَعِهِ آثَارَ مَوْتَانَا^(١)

والعاقِلُ هو الَّذي يُدرِكُ هذه الحقيقةَ فيعملُ بمقتضاها.

الصفةُ الثانيةُ: إذا أذنبَ لم يُجاهِرْ بالذنبِ، فإذا ابتليَ بالذنبِ في السرِّ والخفاءِ سترَ على نفسه ولم يتحدَّثْ بذنبه؛ ليشمله العفو الَّذي أخبرَ عنه رسولُ اللهِ ﷺ. فقد جاء في «صحيح البخاري» من حديثِ أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ»^(٢).

فالَّذي يتحدَّثُ بذنبه مُجاهراً مُفاخرًا ليسَ مِنَ الْأَوَّابِينَ، وفاته أن يتَّصِفَ بهذه الصفةِ.

الصفةُ الثالثةُ: الأَوَّابُ تجدُه مُحافظًا على صلاةِ الضُّحَى، فقد جاء عندَ الحاكمِ في «مُسْتَدْرَكِهِ»، من حديثِ أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يُحَافِظُ عَلَى صَلَاةِ الضُّحَى إِلَّا أَوَّابٌ»^(٣).

(١) ذكرها ابن الجوزي في المدهش (ص: ٣٧٥)، ويوسف بن عبد الهادي في آداب الدعاء (ص: ٢٩٤)، غير منسوبة.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه، رقم (٦٠٦٩)، ومسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه، رقم (٢٩٩٠).

(٣) أخرجه ابن خزيمة رقم (١٢٢٤)، والطبراني في الأوسط رقم (٣٨٦٥)، والحاكم (١/٣١٤).

وقال أيضًا **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، كما جاء في «مُسْنَدُ أَحْمَدَ»: «أَوْصَانِي خَلِيلِي **ﷺ** بِصَوْمِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَبِالْوَتْرِ قَبْلَ النَّوْمِ، وَبِصَلَاةِ الضُّحَى، فَإِنَّهَا صَلَاةُ الْأَوَّابِينَ»^(١).

الصفةُ الرابعةُ: إذا جَلَسَ في مَجْلِسٍ، سَوَاءٌ كَانَ هَذَا الْمَجْلِسُ مَجْلِسَ خَيْرٍ أَوْ مَجْلِسَ شَرٍّ، لَا يَقُومُ مِنْهُ حَتَّى يُكْفَرَ عَمَّا وَقَعَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ، فَقَدْ جَاءَ فِي تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ، عَنِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ **رَحِمَهُ اللَّهُ** قَالَ: «الْأَوَّابُ: الْحَفِيزُ الَّذِي لَا يَجْلِسُ مَجْلِسًا، فَيَقُومُ حَتَّى يَسْتَغْفِرَ اللَّهَ **عَزَّ وَجَلَّ**»^(٢).

فَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنِ كَفَّارَةِ الْمَجْلِسِ، فَإِنَّ لِكُلِّ مَجْلِسٍ كَفَّارَةً، وَالْأَوَّابُ هُوَ الَّذِي يَأْتِي بِكَفَّارَةِ الْمَجْلِسِ.

وَجَاءَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ فِي «سُنَنِهِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أَنَّ النَّبِيَّ **ﷺ** قَالَ: «مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: **سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ**»^(٣)؛ إِنَّهُ كَرَّمَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَسَخَاؤُهُ.

(١) أخرجه أحمد (٢/٢٦٥). وأخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب صلاة الضحى في الحضر، رقم (١١٧٨)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة الضحى، رقم (٧٢١)، دون موضع الشاهد.

(٢) تفسير ابن كثير (٧/٤٠٦).

(٣) أخرجه أحمد (٢/٤٩٤ - ٤٩٥)، وأبو داود: كتاب الأدب، باب في كفارة المجلس، رقم (٤٨٥٨)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من المجلس، رقم (٣٤٣٣).

هذه هي صفات الأوابين، فليس الأواب الذي لا يقع في الخطأ، بل الأواب هو الذي إذا وقع في الذنب محاذ ذنبه في الحال مستعجلاً، وهذا هو الأواب الذي امتدحه الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** في كتابه، ووعده جنته.





(١٣)

الجمعة

آداب وأحكام



هاهنا مسائل لها تعلقٌ مُباشرٌ بيومِ الجمعة، أذكرُها فيما يأتي:

المسألانِ الأولى والثانية: هي عِظْمُ ذلكِ اليومِ، وأنه يومٌ عيدٍ، فقد أخبرَ رسولُ اللهِ ﷺ في حديثِ أبي لُبَابَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كما جاءَ عندَ ابنِ ماجهَ قال: «إِنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَيِّدُ الْأَيَّامِ، وَأَعْظَمُهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَهُوَ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ يَوْمِ الْأَضْحَى وَيَوْمِ الْفِطْرِ، فِيهِ خَمْسُ خِلَالَ: خَلَقَ اللهُ فِيهِ آدَمَ، وَأَهْبَطَ اللهُ فِيهِ آدَمَ إِلَى الْأَرْضِ، وَفِيهِ تَوَفَّى اللهُ آدَمَ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يَسْأَلُ اللهُ فِيهَا الْعَبْدُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، مَا لَمْ يَسْأَلْ حَرَامًا، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، مَا مِنْ مَلِكٍ مُقَرَّبٍ، وَلَا سَمَاءٍ، وَلَا أَرْضٍ، وَلَا رِيَّاحٍ، وَلَا جِبَالٍ، وَلَا بَحْرٍ، إِلَّا وَهَنَ يُسْفِقَنَّ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ»^(١).

هذا بيانُ رسولِ اللهِ ﷺ عن هذا اليومِ، فهو يومٌ عظيمٌ جعله اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عيدًا، فقد جاءَ عندَ الطبرانيِّ في «معجمه الأوسط» من حديثِ أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ جَبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «هَذِهِ الْجُمُعَةُ، يَعْرِضُهَا عَلَيْكَ رَبُّكَ لِتَكُونَ لَكَ

(١) أخرجه أحمد (٣/٤٣٠)، وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في فضل الجمعة،

عِيدًا، وَلِقَوْمِكَ مِنْ بَعْدِكَ، وَلَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ»^(١).

المسألة الثالثة: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَيَّزَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِمِيزَةٍ لَا تَجِدُهَا فِي سَائِرِ الْأَيَّامِ، فَقَدْ جَعَلَ فِيهِ خُطْبَةً مَخْصُوصَةً، وَصَلَاةً مَخْصُوصَةً، وَأَنْزَلَ سُورَةً مِنَ الْقُرْآنِ بِاسْمِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، حَثَّ فِيهَا عَلَى حُضُورِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الجمعة: ٩].

أَمَّا الَّذِي يَتَخَلَّفُ عَنِ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ بِغَيْرِ عُدْرٍ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ كَمَا جَاءَ فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ: «مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمُعٍ تَهَاوُنًا طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ»^(٢)؛ أَي: مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمُعٍ بِغَيْرِ عُدْرٍ مَشْرُوعٍ، طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ بِطَابَعِ النِّفَاقِ، فَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ الْخَيْرُ. وَهِيَ عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ؛ لِذَا أَقُولُ دَائِمًا: لَيْتَ مَا نُحْيِيهِ مِنْ فَعَالِيَاتٍ وَأَنْشِطَةٍ وَمُسَابِقَاتٍ لَا تَعْتَرِضُ مَعَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ؛ لِأَنَّنا بِذَلِكَ نُحَرِّجُ مَنْ يُشَارِكُ فِي هَذِهِ الْمُسَابِقَاتِ وَالْفَعَالِيَاتِ، وَالْقَائِمِينَ عَلَى هَذِهِ الْفَعَالِيَاتِ وَالْمُنظِّمِينَ لَهَا، وَهَذَا الْأَمْرُ خَطِيرٌ، وَكَمْ أَعْجَبُ حِينَمَا نَجِدُ فِي بَعْضِ الدُّوَلِ غَيْرِ الْإِسْلَامِيَّةِ كَيْفَ تُرَاعِي وَقْتَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ إِذَا كَانَ فِي الْمَشَارِكِينَ مُسْلِمًا، فَيُحْيِيهَا بَعْدَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ!

أَمَّا الْمَعْدُورُ -كإخوتنا مِنْ رِجَالِ الْأَمْنِ الْمُرَابِطِينَ عَلَى الثُّغُورِ وَعَلَى

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط رقم (٢٠٨٤).

(٢) أخرجه أحمد (٤٢٤/٣)، وأبو داود: كتاب الصلاة، باب التشديد في ترك الجمعة، رقم (١٠٥٢)، والنسائي: كتاب الجمعة، باب التشديد في التخلف عن الجمعة، رقم (١٣٦٩)، وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة، باب فيمن ترك الجمعة من غير عذر، رقم (١١٢٥)، من حديث أبي الجعد الضمري رَوَاهُ اللَّهُ عَنَّهُ.

الحراسات، أو غيرهم ممن يشغل وظائف حساسة ومهمة - فإنه معذورٌ بذلك، وهو في عبادة يتقربُ بها إلى الله.

المسألة الرابعة: جعل الله ليوم الجمعة استعدادًا خاصًا، ورتب على هذا الاستعداد أجرًا عظيمًا، لو تأملناه بقلوبنا لما قصرنا في ذلك الاستعداد، فيستعدُّ له بالاغتسال، ولبس أحسن ما يجد من اللباس، وبالتطيب، وبالتبكير إلى صلاة الجمعة.

فقد جاء في «سنن أبي داود» من حديث أوس بن أوس الثقفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ غَسَلَ وَاغْتَسَلَ، ثُمَّ بَكَرَ وَابْتَكَرَ، وَمَشَى، وَلَمْ يَرْكَبْ، وَدَنَا مِنَ الْإِمَامِ، وَاسْتَمَعَ، فَلَمْ يَلْغُ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلٌ سَنَةٍ أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا»^(١).

لذا أحزن وأسف على إخواني الذين لا يدخلون الجامع إلا بعد صعود الخطيب؛ لأنهم قد رتبوا دخولهم على وقت محدّد، فكَم يفوتهم من الأجر، وقد دخلت الملائكة الذين كانوا يقفون عند أبواب المساجد، يسجلون الأوّل فالأوّل في صحف الملائكة؟! في صحف الملائكة؟!

المسألة الخامسة: من دخل المسجد يوم الجمعة، يُشرع في حقه أن يُصلي ركعتين، سواء الإمام يخطب، أو المؤذّن يؤذّن الأذان الثاني، فإني أرى بعض

(١) أخرجه أحمد (٩/٤)، وأبو داود: كتاب الطهارة، باب في الغسل يوم الجمعة، رقم (٣٤٥)، والترمذي: كتاب الجمعة، باب ما جاء في فضل الغسل يوم الجمعة، رقم (٤٩٦)، والنسائي: كتاب الجمعة، باب فضل غسل يوم الجمعة، رقم (١٣٨١)، وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في الغسل يوم الجمعة، رقم (١٠٨٧).

الإخوة يَنْتَظِرُ إِذَا دَخَلُوا الْمَسْجِدَ وَالْمُؤَذِّنُ يُؤذِّنُ، وَهَذَا لَيْسَ مِنَ السُّنَّةِ، بَلْ إِذَا دَخَلْتَ الْمَسْجِدَ فَصَلِّ رَكَعَتَيْنِ إِذَا كَانَ الْمُؤَذِّنُ يُؤذِّنُ الْأَذَانَ الثَّانِي.

فَقَدْ جَاءَ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ وَلْيَتَجَوَّزْ فِيهِمَا»^(١). أَي: لَا يُطَوَّلُ، وَلَيْسَ هُنَاكَ أَوْضَحُ مِنْ هَذَا الْبَيَانِ.

المسألة السادسة: إِذَا دَخَلْتَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَلَا تَجْلِسُ فِي آخِرِ الصُّفُوفِ، فَإِنَّهُ يَفُوتُكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ، بَلْ تَقْدَمُ إِلَى الْأَمَامِ، وَنَافِسٌ غَيْرُكَ فِي الصُّفُوفِ الْأُولِ. فَقَدْ جَاءَ فِي «مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ» مِنْ حَدِيثِ سَمْرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَحْضِرُوا الذِّكْرَ»، أَي: أَحْضِرُوا خُطْبَةَ الْجُمُعَةِ الْمَشْتَمِلَةَ عَلَى الذِّكْرِ، «وَادْنُوا مِنَ الْإِمَامِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَزَالُ يَتْبَاعِدُ حَتَّى يُؤَخَّرَ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنْ دَخَلَهَا»^(٢).

بَلْ وَاسْتَقْبَلَ الْخَطِيبَ بِوَجْهِكَ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا جَاءَ فِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ»: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَوَى عَلَى الْمِنْبَرِ اسْتَقْبَلْنَاهُ بِوُجُوهِنَا»^(٣)؛ لِأَنَّهُ أَدْعَى لِلْفَهْمِ، وَوَصُولِ رِسَالَةٍ يُوجِّهُهَا الْخَطِيبُ.

المسألة السابعة، وَهِيَ مُهِمَّةٌ جَدًّا: لَا يَجُوزُ لِمَنْ حَضَرَ الْخُطْبَةَ أَنْ يَتَكَلَّمَ، لَا أَمْرًا بِمَعْرُوفٍ، وَلَا نَاهِيًّا عَنِ مَنكَرٍ، وَلَا يَجُوزُ فِي حَقِّهِ الْعَبْثُ -أَي: الْحَرَكَةُ الَّتِي تُخْرَجُ عَنْ أَجْوَاءِ الْخُطْبَةِ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ التَّهَجُّدِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّطَوُّعِ مَثْنِي مَثْنِي، رَقْمٌ (١١٦٦)، وَمُسْلِمٌ:

كِتَابُ الْجُمُعَةِ، بَابُ التَّحِيَّةِ وَالْإِمَامِ يَخْطُبُ، رَقْمٌ (٨٧٥)، مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١١/٥)، وَأَبُو دَاوُدَ: كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ الدُّنُوِّ مِنَ الْإِمَامِ عِنْدَ الْمَوْعِظَةِ، رَقْمٌ (١١٠٨).

(٣) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ: كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ فِي اسْتِقْبَالِ الْإِمَامِ إِذَا خَطَبَ، رَقْمٌ (٥٠٩).

فَقَدْ جَاءَ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَنْصِتْ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ فَقَدْ لَغَوْتَ»^(١).

لِذَا فَمَنْ يَجْلِسُ فِي مَوْخِرَةِ الصُّفُوفِ، أَوْ فِي الْقِسْمِ الثَّانِي مِنَ الْمَسْجِدِ، وَيَقُولُ لِابْنِهِ: اسْكُتْ. أَوْ يَقُولُ لِفُلَانٍ: حَيَّاكَ اللَّهُ، أَوْ كَيْفَ حَالُكَ يَا فُلَانٌ؟ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ يُذْهَبُ جُمُعَتَهُ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ، فَمَنْ جَاءَ إِلَى الْجُمُعَةِ فَلَا يَتَكَلَّمُ، وَإِنَّمَا يُنصِتُ لِلْخَطِيبِ، وَلَا يَعْثُ كَمَنْ يَكْتُبُ الْخُطْبَةَ، أَوْ يُصَوِّرُ، أَوْ يَقْرَأُ بَعْضَ الرِّسَالِ الَّتِي تَأْتِيهِ، فَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَجُوزُ.

فَقَدْ جَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «وَمَنْ مَسَّ الْحَصَا فَقَدْ لَغَا»^(٢).

الْمَسْأَلَةُ الثَّامِنَةُ: إِذَا شَعَرْتَ وَأَنْتَ فِي خُطْبَتِكَ بِالنَّعَاسِ، وَلَمْ تُعَدِّ تَسْتَوْعِبُ مَا يَقُولُ الْخَطِيبُ، فَإِنَّهُ يُشْرَعُ لَكَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ، وَتُغَيِّرَ مَكَانَكَ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ. هَكَذَا أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَوْلِهِ: «إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَلْيَتَحَوَّلْ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ»^(٣)؛ لِأَنَّ الْخُطْبَةَ مَقْصُودَةٌ، وَالرِّسَالِ الَّتِي تُوجَّهُ فِيهَا مَقْصُودَةٌ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الْجُمُعَةِ، بَابُ الْإِنْصَاتِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ، رَقْمُ (٩٣٤)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الْجُمُعَةِ، بَابُ فِي الْإِنْصَاتِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي الْخُطْبَةِ، رَقْمُ (٨٥١)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: كِتَابُ الْجُمُعَةِ، بَابُ فَضْلِ مَنْ اسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ فِي الْخُطْبَةِ، رَقْمُ (٢٧/٨٥٧)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣٢/٢)، وَأَبُو دَاوُدَ: كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ الرَّجُلِ يَنْعَسُ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ، رَقْمُ (١١١٩)، وَالتِّرْمِذِيُّ: كِتَابُ الْجُمُعَةِ، بَابُ فِيمَنْ نَعَسَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَنَّهُ يَتَحَوَّلُ مِنْ مَجْلِسِهِ، رَقْمُ (٥٢٦)، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

المسألة التاسعة: هل لصلاة الجمعة سنة قبلية، أو بعدية؟ أمّا السنن القبليّة لصلاة الجمعة فلا يوجد لها سنة قبلية مخصوصة، فإذا دخل المصلّي يوم الجمعة صلى ما شاء أن يصليّ -ركعتين أو أكثر- حتّى يدخل الخطيبُ.

أمّا السنن البعدية فنعم، للجمعة سنة بعدية، فقد جاء في «صحيح مسلم» أن النبيّ ﷺ قال: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُصَلِّيًا بَعْدَ الْجُمُعَةِ فَلْيُصَلِّ أَرْبَعًا»^(١).

هذا إن صلاها في المسجد، وإن صلاها في بيته صلاها ركعتين، هكذا قال ابن تيمية - رَحِمَهُ اللهُ - كما نقل عنه تلميذه ابن القيم في كتابه «زاد المعاد» قال: إن صلى في المسجد صلى أربعاً، وإن صلى في بيته صلاها ركعتين^(٢).

المسألة العاشرة: متى تُدرِك الجمعة؟ أقول: مَنْ أَدْرَكَ رُكْعَةً وَاحِدَةً مَعَ الْإِمَامِ، فَقَدْ أَدْرَكَ الْجُمُعَةَ، وَمَنْ فَاتَتْهُ الرُّكْعَتَانِ وَجَبَ فِي حَقِّهِ أَنْ يُصَلِّيَهَا أَرْبَعًا ظَهْرًا. قال ابن مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَنْ أَدْرَكَ الرُّكْعَةَ فَقَدْ أَدْرَكَ الْجُمُعَةَ، وَمَنْ لَمْ يُدْرِكِ الرُّكْعَةَ فَلْيُصَلِّ أَرْبَعًا»^(٣).

هذه عشر مسائل لها تعلقٌ مباشرٌ بيوم الجمعة وصلاة الجمعة وخطبتها، ولا تقل: إنني أعرف ذلك، فالعبرة ليست في المعرفة، ولا في العلم، وإنما العبرة بتطبيق ما نعلم، وتطبيق ما نعرف.



(١) أخرجه مسلم: كتاب الجمعة، باب الصلاة بعد الجمعة، رقم (٨٨١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) زاد المعاد (١/٤٢٥).

(٣) أخرجه عبد الرزاق، رقم (٥٤٧٧)، والطبراني في الكبير (٩/٣٠٩)، رقم (٩٥٤٦).



(١٤)

رفع الدرجات باليسير من الطاعات

•• ❁ ••

كما أنَّ الناس في دُنْيَاهُمْ يَتَفَاوَضُونَ وَتَخْتَلِفُ دَرَجَاتُهُمْ، فَكَذَلِكَ هُمْ فِي
الْآخِرَةِ يَتَفَاوَضُونَ وَتَخْتَلِفُ دَرَجَاتُهُمْ، حَتَّىٰ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ اخْتَلَفَتْ
دَرَجَاتُهُمْ، وَفُضِّلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ.

ودليل اختلاف الدرجات في الجنة قول الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ**

مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رُبُّكَ يَعْلَمُ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿[الأنعام: ١٣٢].

وقوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَيُوفِّيهِمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** ﴿

[الأحقاف: ١٩].

وقوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** في سورة طه: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مَوْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ

الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتٌ عِدْنُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ ﴿[طه: ٧٥-

[٧٦].

وقول النبي ﷺ كما جاء في «سنن الترمذي» من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:**

«فِي الْجَنَّةِ مِائَةٌ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ مِائَةٌ عَامٌ»^(١).

(١) أخرجه أحمد (٢/٢٩٢)، والترمذي: كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة درجات الجنة، رقم

بل قال ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالْفِرْدَوْسُ أَعْلَى الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُهَا، وَفَوْقَ ذَلِكَ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهَا» أي: مِنَ الْفِرْدَوْسِ، «تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ، فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ»^(١).
وقال ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والجنة درجاتٌ مُتفاضلاتٌ تفاضلاً عظيماً، وأولياءُ الله المؤمنين المتقون في تلك الدرجات بحسبِ إيمانهم وتقواهم»^(٢).
فالذي يُحدِّدُ منزلتك في أيِّ درجة أنت في الجنة هو العملُ الصالح، لا علاقة بالنسب، ولا علاقة بالثراء، ولا علاقة بالمنصب، ولا أيُّ شيءٍ من ذلك، بل عملك الصالح، وشفاعة الشافعين، وعلى رأسهم سيِّدُ الخلق ﷺ هو الذي يرفعك في أعلى الدرجات.

وقال سُبحَانَهُ وَتَعَالَى في سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطِ مَنِ اللَّهِ وَمَأْوَهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾
[آل عمران: ١٦٢ - ١٦٣].

وقَدْ بَيَّنَّ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ مشهداً مِنَ المشاهدِ الَّتِي تَكُونُ فِي الْجَنَّةِ؛ لِيُبَيِّنَ لَنَا عِظَمَ هَذَا التَّفَاوُتِ فِي الدَّرَجَاتِ، فَقَالَ ﷺ كَمَا جَاءَ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدَّرِّيَّ الْعَابِرَ فِي الْأَفْقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يُبْلَغُهَا غَيْرُهُمْ. قَالَ: بَلَى، رِجَالٌ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، رقم (٢٧٩٠)،

من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) مجموع الفتاوى (١١/١٨٨).

أَمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ»^(١).

فما هي هذه الأعمال التي ترفع درجات العبد في الجنة؟
أذكر لكم أيسر الأعمال وأسهلها، ولكننا لا نعمل بها:
الطاعة الأولى: النية الصالحة الصادقة، فبينت ترفع درجاتك بالجنة، حتى
ولو لم تلحق هذه النية عملاً ظاهراً، لكنّها نية صادقة، حال بينك وبين تطبيقها
العذر، قال رسول الله ﷺ كما جاء في «صحيح مسلم»: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ
بِصِدْقٍ بَلَغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشَّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»^(٢).

أي: ترفع درجاته في الجنة حتى يكون في مصاف الشهداء، وإن لم يكن
شهيداً في الدنيا، ومات على فراشه، والسبب في ذلك نية الخير، فهو ينوي الخير،
ويُلحِقُ هذه النية بعمل، فإذا حال بينه وبين تطبيق هذه النية عذر كتب الله له أجر
نيته، فإن نوى أن يحفظ القرآن، وعمل جاهداً على ذلك، أو نوى أن يتصدق، أو
أن يصلي الضحى، أو أن يقوم فيصلي قيام الليل وصلاة الفجر في جماعة، ثم حال
بينه وبين ذلك عذر، ارتفعت درجاته كمن عمل هذا العمل.

لذا قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ حينما قال له ابنه عبد الله، قال:
«أَوْصِنِي يَا أَبَتِ» قال: «أَنْوَ الْخَيْرَ، فَإِنَّكَ لَا تَزَالُ بِخَيْرٍ مَا نَوَيْتَ الْخَيْرَ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة، رقم (٣٢٥٦)، ومسلم: كتاب

الجنة وصفة نعيمها، باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف، رقم (٢٨٣١).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى، رقم (١٩٠٩)،

من حديث سهل بن حنيف رَحِمَهُ اللَّهُ عَنَّهُ.

(٣) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص: ٢٧٤)، والآداب الشرعية لابن مفلح (١/ ١٠٤).

الطاعة الثانية: إتمام الوضوء على المكاره، وكثرة الخطأ إلى المساجد وإلى صفوف الصلاة، وانتظار الصلاة بعد الصلاة يرفع الدرجات، قال رسول الله ﷺ كما جاء في «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: **«أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟»** قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: **«إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكَ الرَّبَاطُ، فَذَلِكَ الرَّبَاطُ»** ^(١).

فالعبد إذا أتمَّ وضوءه في حال بردٍ، أو حال ماءٍ حارٍّ، وتعدَّر عليه ذلك، ولكنَّه حاول حتى أتمَّ وضوءه، ارتفعت درجته في الجنة، وهو عملٌ يسيرٌ، وكذلك كثرة الخطأ إلى المساجد، وأوصيك ألاَّ تحتقر خطوةً إلى صلاةٍ أو إلى مسجدٍ، أو إلى فرجةٍ أمامك، لا تحتقرها، فقد قال رسول الله ﷺ والحديث عند الطبراني في «معجمه الأوسط» من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: **«مَنْ سَدَّ فُرْجَةً فِي صَفٍّ»**، خطوةً واحدةً أو ربَّما خطوتان إلى الصفِّ الذي أمامك، **«رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَبَنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»** ^(٢).

وكما ذكرت هو عملٌ يسيرٌ، ولكنَّ من يعمل به قليلٌ.

ولا تحتقر هذه الخطوة؛ فإنَّ النبي ﷺ قال كما جاء في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عند الطبراني أيضًا في «معجمه الأوسط»: **«وَمَا مِنْ خُطْوَةٍ أَعْظَمُ**

(١) أخرجه مسلم: كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره، رقم (٢٥١).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط رقم (٥٧٩٧). وأخرج بعضه أحمد (٦/٨٩)، وابن ماجه: كتاب

إقامة الصلاة، باب إقامة الصفوف، رقم (٩٩٥).

أَجْرًا مِنْ خُطْوَةٍ مَشَاهَا رَجُلٌ إِلَى فُرْجَةٍ فِي صَفٍّ فَسَدَّهَا»^(١) بهذا ترتفع الدرجات.

الطاعة الثالثة: كثرة السجود، فكلما سجدت وانخفصت وارتفعت؛ ارتفعت في درجات الجنة، أخبرنا بذلك رسول الله ﷺ، فقد جاء في «سُنن الترمذي» من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ»^(٢).

فحينئذ تسجد ترتفع في الدنيا، وترتفع درجاتك في الجنة.

الطاعة الرابعة: حفظ القرآن، والإكثار من قراءته، فإنك كلما مررت على آيات الله قارئاً أو حافظاً ارتفعت، فقد جاء في «مسند أحمد» من حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «ثُمَّ يُقَالُ لَهُ» أي: لصاحب القرآن «اقْرَأْ» أي: يوم القيامة، «وَأَصْعَدُ فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ وَعُغْرُفِهَا، فَهُوَ فِي صُعُودٍ مَا دَامَ يَقْرَأُ، هَذَا كَانَ أَوْ تَرْتِيلاً»^(٣).

فعلى قدر ما كان يقرأ هنا يرقى هناك، علاقة واضحة بين القراءة والرقى، هكذا جاء في نص حديث آخر رواه الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُقَالُ لَهُ»، أي: لصاحب القرآن، «اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتَّلْ كَمَا كُنْتَ تَرْتَّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنَزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا»^(٤).

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط رقم (٥٢١٧).

(٢) أخرجه أحمد (٢٨٠/٥)، والترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء في كثرة الركوع، رقم (٣٨٨)، والنسائي: كتاب التطبيق، باب ثواب من سجد لله عز وجل سجدة، رقم (١١٣٩)، وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في كثرة السجود، رقم (١٤٢٣).

(٣) أخرجه أحمد (٣٤٨/٥)، وابن ماجه: كتاب الأدب، باب ثواب القرآن، رقم (٣٧٨١).

(٤) أخرجه أحمد (١٩٢/٢)، وأبو داود: كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة، رقم (١٤٦٤)، والترمذي: كتاب فضائل القرآن، رقم (٢٩١٤).

الطاعةُ الخامسةُ: الكلمةُ الطيبةُ لأيِّ أحدٍ، حتَّى لو قُلتها بمُفردك وهي في الذِّكرِ، فإنَّكَ تَرْتَفِعُ دَرَجَاتٍ، فقد جاءَ في «صحيح البخاريِّ» من حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»^(١).

الطاعةُ السادسةُ: الذِّكْرُ، فأعظمُ الكلماتِ هي ذكْرُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فأكثرُ منَ الذِّكْرِ تَرْتَفِعُ، فقد جاءَ عندَ ابنِ حبانٍ من حديثِ أبي أيُّوبَ الأنصاريِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ»، أي: ذُبِرَ صلاةَ الفجرِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ». كَتَبَ اللهُ لَهُ مِنْ عَشْرِ حَسَنَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ مِنْ عَشْرِ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ مِنْ عَشْرِ دَرَجَاتٍ، وَكُنَّ لَهُ عَدَلٌ عَتَاقَةٌ أَرْبَعِ رِقَابٍ، وَكُنَّ لَهُ حَرَسًا مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى يُمْسِيَ»^(٢).

هذا الذِّكْرُ اليسيرُ كلِّما قاله العبدُ تَرْتَفِعُ درجتهُ عندَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى في أعلى جنانِ الخلدِ.

الطاعةُ السابعةُ: وهي طاعةٌ تُساهمُ بها في رفعِ دَرَجَاتِ غيرِك، فإنَّكَ حينما تدعو لوالدك أو غيره، وقد ماتَ تَرْتَفِعُ درجائهُ، فقد جاءَ في «سُنن ابنِ ماجه» أنَّ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، رقم (٦٤٧٨). وأخرجه مسلم بنحوه:

كتاب الزهد والرقائق، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار، رقم (٢٩٨٨).

(٢) أخرجه أحمد (٤١٥/٥)، والنسائي في السنن الكبرى رقم (٩٨٧٧)، وابن حبان في صحيحه

رقم (٢٠٢٣).

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: أَنَّى هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِاسْتِغْفَارٍ وَلَدِكَ لَكَ»^(١).

هو استغراب هذه الدرجة، فلم يعمل من العمل ما يرقيه إلى هذه المنزلة، فيقول: أنى هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك. فلا تفرط في هذا العمل اليسير الذي يرفع درجة ولدك في الجنة.

الطاعة الثامنة: قال أبو طلحة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا طَيِّبَ النَّفْسِ، يُرَى فِي وَجْهِهِ الْبَشْرُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَصْبَحْتَ الْيَوْمَ طَيِّبَ النَّفْسِ، يُرَى فِي وَجْهِكَ الْبَشْرُ. قَالَ: «أَجَلٌ، أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ فَقَالَ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ مِنْ أُمَّتِكَ صَلَاةً كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَهَا»^(٢).

بصلاة واحدة على النبي ﷺ ترتفع هذه الدرجات، فكم فرطنا في حق أنفسنا، فإنك حينما تُصلي عليه ﷺ ترتفع عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى. هذه بعض الطاعات والعبادات اليسيرة التي من أخذ بها صادقًا مُخْلِصًا ارتفع مقامه ومنزلته ودرجته عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.



(١) أخرجه أحمد (٥٠٩/٢)، وابن ماجه: كتاب الأدب، باب بر الوالدين، رقم (٣٦٦٠)، من

حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٢٩/٤). وأخرجه النسائي بنحوه: كتاب السهو، باب فضل التسليم على النبي

ﷺ، رقم (١٢٨٣).



(١٥)

أُمْنِيَاتُ الرَّاحِلِينَ



قال رسول الله ﷺ بعدما مرَّ على قبرٍ دُفِنَ حديثًا، وهو يُشيرُ إلى صاحبِ القبرِ: «رَكَعَتَانِ خَفِيفَتَانِ مِمَّا تَحْقِرُونَ وَتَنْفُلُونَ يَزِيدُهُمَا هَذَا فِي عَمَلِهِ، أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ بَقِيَّةِ دُنْيَاكُمْ»^(١).

إنَّ النبيَّ ﷺ يُبَيِّنُ لَنَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا رَحَلَ مِنَ الدُّنْيَا تَجَدَّدَتْ عِنْدَهُ الْأُمْنِيَّةُ أَنْ يَعْمَلَ صَالِحًا، فيقولُ هَذَا الْإِنْسَانُ الَّذِي فِي قَبْرِهِ بَعْدَ أَنْ رَحَلَ مِنْ دَارِ الدُّنْيَا -وهي دارُ العملِ- إِلَى دَارِ الْآخِرَةِ -وهي دارُ الجزاءِ- وعَيْنَ مَا كَانَ يُوعَدُ عَلَى الْحَقِيقَةِ، يَتَمَنَّى أَنَّهُ لَوْ عَادَ إِلَى الدُّنْيَا، فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ مِنَ الرُّكْعَاتِ الَّتِي تَنْفُلُ بِهَا وَنَحْتَقِرُهَا، وَنَدْعُهَا فِي حَيَاتِنَا.

إنَّهَا رِسَالَةٌ لَنَا نَحْنُ الْأَحْيَاءُ الَّذِينَ لَمْ نَرَحَلْ بَعْدُ، رِسَالَةٌ لَنَا قَبْلَ أَنْ تَكُونَ أُمْنِيَّةً لَيْسَ دُونَهَا عَمَلٌ.

فَالرَّاحِلُونَ لَهُمْ أُمْنِيَّةٌ!

جاءَ فِي كِتَابِ «ذَمِّ الْهَوَى» لِابْنِ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَزِيدَ الْعَبْدِيُّ: أَنَا نِي رِيَاخِ الْقَيْسِيِّ فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ، قُمْ وَانطَلِقْ مَعِي إِلَى أَهْلِ الْآخِرَةِ

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق (١/١٠، رقم ٣١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

نُحَدِّثُ بِقُرْبِهِمْ عَهْدًا. قَالَ: فَانطَلَقْتُ مَعَهُ إِلَى الْمَقَابِرِ، فَجَلَسْنَا بَيْنَ الْقُبُورِ، فَقَالَ لِي: يَا أَبَا إِسْحَاقَ، مَا تَرَى هَذَا مَتَمِنِيًّا لَوْ مُنِّي؟ قَالَ: أَنْ يُرَدَّ وَاللَّهِ إِلَى الدُّنْيَا فَيَسْتَمْتِعَ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَيُصْلِحَ. فَقَالَ: فَهِيَ نَحْنُ^(١)؛ أَي: هَا نَحْنُ فِي الدُّنْيَا، دَارِ الإِمَهَالِ.
كَمَا قَالَ الأَوَّلُ:

اغْتَنِمْ فِي الفَرَاغِ فَضْلَ رُكُوعٍ فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مَوْتُكَ بَغْتَةً
كَمْ صَاحِحٍ رَأَيْتَ مِنْ غَيْرِ سُقْمٍ ذَهَبَتْ نَفْسُهُ الصَّحِيحَةَ فَلْتَةً^(٢)

و كَمَا أَنَّ لِلصَّالِحِينَ أَمَانِيًّا إِذَا رَحَلُوا، كَذَلِكَ لِلطَّالِحِينَ أَمَانِيٌّ إِذَا رَحَلُوا:
فَأَمَانِيُّ الصَّالِحِينَ إِذَا رَحَلُوا مِنَ الدُّنْيَا، فَكَمَا قَالَ اللَّهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ**
يس عَنِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ، الَّذِي قَامَ فِي قَوْمِهِ دَاعِيًا مُحِبًّا مُشْفِقًا يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَمَا كَانَ مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَتَلُوهُ، قَالَ اللَّهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** حِينَهَا سَأَلَ دَمُهُ
مِيثًا: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ بِمَا عَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ
المُكْرَمِينَ﴾ [يس: ٢٦-٢٧].

هَذِهِ أُمْنِيَّةٌ مِنَ أَمَانِيِّ الصَّالِحِينَ، أَنَّهُمْ إِذَا انْتَقَلُوا إِلَى دَارِ الآخِرَةِ فَمِنْ أَمَانِيَّتِهِمْ
أَنْ يَعْلَمَ قَوْمُهُمْ أَنَّهُمْ حِينَمَا كَانُوا يَدْعُونَهُمْ إِلَى الصَّلَاحِ، أَنَّ هَذَا هُوَ جَزَاءُ
الصَّالِحِينَ، الرَّائِعِينَ، السَّاجِدِينَ، الْمُسْتَقِيمِينَ، عَايَنُوا ذَلِكَ عَلَى الْحَقِيقَةِ فَتَمَنَّوْا أَنَّ
قَوْمَهُمْ قَدْ عَلِمُوا بِذَلِكَ.

(١) ذم الهوى (ص: ٥٩٧).

(٢) نسبها أبو عبد الله الحاكم في تاريخه للبخاري، انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٢/ ٢٣٥)، وهدى الساري لابن حجر (ص: ٤٨١).

كذلك من أمانيتهم أنهم يريدون أن يُبشروا أهلهم بما لا قوفاً، جاء في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه في «مسند الإمام أحمد» في حديث طويل، قال في أوله رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا**» ثم قال عن العبد المؤمن في قبره: «**فَيَقُولُ لَهُ الْمَلَكُ: انظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ الَّذِي كَانَ لَكَ فِي النَّارِ، قَدْ أَنْجَاكَ اللَّهُ مِنْهُ، وَأَبْدَلَكَ بِمَقْعَدِكَ الَّذِي تَرَى مِنَ النَّارِ، مَقْعَدَكَ الَّذِي تَرَى مِنَ الْجَنَّةِ. فَيَرَاهُمَا كِلَاهُمَا، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: دَعُونِي أَبْشُرْ أَهْلِي. فَيُقَالُ لَهُ: اسْكُنْ**»^(١).

هذه أمنية ثانية: أن يعودَ إلى أهله الذين ألمهم الحزن، وآلتهم الحسرة على فواته وموته. يقول: دعوني أبشروهم أنني بخير، وأنتي في جنة عرضها السموات والأرض، وأنتي في أنهار وأشجارٍ في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدرٍ، هذه أميئة. ومن أمانيتهم أيضاً تلك التي حكاها رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن يُردوا إلى الدنيا فيزدادوا صلاحاً على صلاحهم؛ خاصةً في شأن الشهيد، الذي قدّم روحه لله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أخبر عبد الله بن مسعود؛ إذ سئل ابن مسعود رضي الله عنه عن آية في كتاب الله في سورة آل عمران، سأله عن قول الحق **سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾** [آل عمران: ١٦٩].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: أما إننا قد سألنا عن ذلك فأخبرنا -أي: أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم -: «**أَنَّ أَرْوَاحَهُمْ فِي طَيْرٍ خَضِرٍ تَسْرُحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مُعَلَّقَةٍ بِالْعَرْشِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ اطَّلَاعَةً، فَقَالَ: هَلْ تَسْتَزِيدُونَ شَيْئًا فَأَزِيدُكُمْ؟ قَالُوا: رَبَّنَا وَمَا نَسْتَزِيدُ وَنَحْنُ فِي الْجَنَّةِ نَسْرُحُ حَيْثُ شِئْنَا. ثُمَّ اطَّلَعَ**

(١) أخرجه أحمد (٣/٣٤٦).

إِلَيْهِمُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ: هَلْ تَسْتَزِيدُونَ شَيْئًا فَازِيدُكُمْ؟ فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَمْ يَتَرَكَوْا قَالُوا: تُعِيدُ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فنُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى»^(١).

هذه أمانى الصالحين إذا رحلوا، وقد أجملها رسول الله ﷺ في حديثٍ عظيمٍ قال فيه: «لَوْ أَنَّ رَجُلًا يَخْرُ عَلَى وَجْهِهِ، مِنْ يَوْمٍ وُلِدَ إِلَى يَوْمٍ يَمُوتُ، هَرَمًا فِي مَرَضَةٍ اللَّهِ، لَحَقَّرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

هو في طاعةٍ من يومٍ وُلِدَ إِلَى يَوْمٍ يَمُوتُ هَرَمًا، كُلُّ هَذِهِ طَاعَةٌ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ فَإِذَا عَايَنَ النِّعِيمَ، وَعَايَنَ الْجَزَاءَ حَقَّرَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَوَدَّ أَنَّهُ رُدَّ إِلَى الدُّنْيَا كَيْمَا يَزِدَادَ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ، هَذَا الَّذِي لَمْ يُفَوِّتْ يَوْمًا، وَلَا سَاعَةً، وَلَا لِحِظَةً، يَتَمَنَّى أَنَّهُ لَوْ رُدَّ إِلَى الدُّنْيَا فَيَزِدَادَ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ.

أَمَّا أَمَانِي الطَّالِحِينَ إِذَا رَحَلُوا فَهِيَ أَيْضًا أَنْ يَعُودُوا إِلَى الدُّنْيَا فَيَزِدَادُوا خَيْرًا، فَإِذَا أُدْخِلَ الْعَبْدُ الْفَاجِرُ إِلَى قَبْرِهِ وَعَايَنَ الْمَوْتَ، أَوْ نَزَلَتْ بِهِ مَلَائِكَةُ الْمَوْتِ؛ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

هذه أمنيتهُم، وَلَكِنَّهَا أَمَانِي فَقَطْ لَيْسَ فِيهَا عَمَلٌ.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ بَلَى قَدْ جَاءَ تَكَءِ أَيْتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزمر: ٥٨-٥٩].

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإمامة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، رقم (١٨٨٧)، والترمذي:

كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة آل عمران، رقم (٣٠١١).

(٢) أخرجه أحمد (٤/١٨٥)، من حديث عتبة بن عبد السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذه الآية تُتلى علينا إلى اليوم ولا يزال بعض الناس لا يُصلي، ولا يزال بعض الناس يأكل الربا، ويقع في الزنا، هذه لا تزال تُقرأ علينا ونحن أحياء، ولا يزال بعضنا يظلم بعضاً، ويأكل مال بعض، لن يستفيد يوم القيامة حينما يقول: ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٥٨] انقطعت هذه الأمانى.

أيضاً من أمانى الطالحين أنهم يتمنون ألا يروا أعمالهم، ولا يروا كتبهم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّخَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحذرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كُنْبَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلْتَنِنِي لِمَ أُوتِيَ كِتَابِي﴾ [٣٥] ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِي﴾ [٣٦] يَلْتَنِنِي كَأَنَّ الْقَاضِيَةَ﴾ [٣٧] [الحاقة: ٢٥-٢٧].

يتمنى أحدهم إذا عاين الأمر على الحقيقة أنه لو كان تُراباً لا قيمة له؛ لأنه يرى الدواب يوم القيامة وبعضها يقتص له من بعض، ثم يُقال لها: كوني تُراباً. قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلْتَنِنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبا: ٤٠].

هذه أمنيات الصالحين، وأمنيات الطالحين، فالعاقل هو الذي يعمل ما دام في دار العمل، ودار الإمهال، والعاقل من استفاد من هذه الدقائق، واللحظات، والساعات، والأيام، والشهور، والسنين، وعمل قبل أن يرحل. وخاطب نفسك يا عبد الله، قل لها:

يَا نَفْسُ تُوْبِي فَإِنَّ الْمَوْتَ قَدْ حَانَ وَأَعْصِي الْهُوَى فَالْهُوَى مَا زَالَ فَتَانَا

أَمَّا تَرَيْنَ الْمَنَايَا كَيْفَ تَلْقَطُنَا لَقَطًّا وَتُلْحِقُ أُخْرَانَا بِأَوْلَانَا
فِي كُلِّ يَوْمٍ لَنَامَيْتٍ نُشِيعُهُ نَرَى بِمَضْرَعِهِ آثَارَ مَوْتَانَا^(١)



(١) ذكرها ابن الجوزي في المدهش (ص: ٣٧٥)، ويوسف بن عبد الهادي في آداب الدعاء (ص: ٢٩٤)، غير منسوبة.



(١٦)

قبل أن تأخذ دينًا



بينما رسول الله ﷺ جالسٌ مع أصحابه ذات يوم، رفع رأسه إلى السماء، ثم وضع راحته على جبهته ثم قال: «سُبْحَانَ اللَّهِ! مَاذَا نُزِّلَ مِنَ التَّشْدِيدِ؟» فَسَكَّتْنَا وَفَزَعْنَا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ سَأَلْتُهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذَا التَّشْدِيدُ الَّذِي نُزِّلَ؟ فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَوْ أَنَّ رَجُلًا قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أُحْيِيَ، ثُمَّ قُتِلَ، ثُمَّ أُحْيِيَ، ثُمَّ قُتِلَ، وَعَلَيْهِ دَيْنٌ مَا دَخَلَ الْجَنَّةَ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ دَيْنُهُ»^(١).

إنَّ الدَّيْنَ هُمُّ يُرْبِكُ الْفَوَادِ، وَيُجْرِحُ الْعِبَادَ، وَيُكَدِّرُ الْحَالَ، وَيَشْغَلُ الْبَالَ، وَهُوَ كَمَا قِيلَ: هُمُّ بِاللَّيْلِ، وَذُلٌّ بِالنَّهَارِ.

وما مِنَّا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ تَوَرَّطَ فِي الدِّيُونِ، وَالذَّيْنِ جَائِزٌ، وَمَشْرُوعٌ، وَلَكِنْ يَكُونُ لِلْمُضْطَّرِّ وَالْمُحْتَاجِ، أَمَّا دِيُونُ التَّرَفِ وَاللَّعِبِ فَلَيْسَ ثَمَّ إِلَّا مَا سَبَقَ.

وهناك خمسة ضوابط أذكرك بها قبل أن تأخذ دينًا:

الضابطُ الأوَّلُ: تذكُرْ حُرْمَةَ أَمْوَالِ الْآخَرِينَ، وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ السُّطُوُّ عَلَيْهَا إِلَّا

بِرِضَاهُمْ، قَالَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ

(١) أخرجه أحمد (٥/٢٨٩ - ٢٩٠)، والنسائي: كتاب البيوع، باب التغليظ في الدين، رقم

(٤٦٨٤)، من حديث محمد بن عبد الله بن جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بَيْنَكُمْ بِالْبَطْلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيه نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ [النساء: ٢٩ - ٣٠].

وفي هذه الأزمنة المتأخرة يبرزُ على السطح خُلُقُ اللامبالاة، يأخذُ المالُ من حرامٍ أم من حلالٍ، ولقد أخبرنا النبي ﷺ كما جاء في «صحيح البخاري» قال: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ مِنَ الْمَالِ، أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ»^(١).
وقد حدّثنا النبي ﷺ من أخذ القليل من المالِ مما ليس لنا، فقد جاء في «صحيح مسلم» من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَإِنْ قَضِيًّا مِنْ أَرَاكَ»^(٢).
فقبل أن تأخذ دينًا تذكرُ حرمةَ أموالِ الآخرين.

الضابطُ الثاني: تذكرُ ما نُزِلَ من التشديدِ في شأنِ الديونِ، فقد نُزِلَ في موضوعِ الديونِ أحاديثٌ كثيرةٌ، أذكرُ منها ثلاثةً:

الحديثُ الأوَّلُ: حديثُ جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ الْحَاكِمِ فِي «مُسْتَدْرِكِهِ» أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَجُلٌ مَاتَ؛ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَجَاءَ ﷺ يَخْطُو فَلَمَّا وَقَفَ عِنْدَ الْجَنَازَةِ، التفت إلى الصحابةِ وقال: «لَعَلَّ عَلَى صَاحِبِكُمْ دَيْنًا؟» قالوا: نعم يا رسول الله

(١) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الذَّبَابُ فَأَمْنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا﴾

أَضْعَفًا مُضْعَفَةً ﴿٢٠٨٣﴾، رقم (٢٠٨٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم، رقم (١٣٧).

ديناران، «فَتَخَلَّفَ ﷺ وَقَالَ: صَلُّوا عَلَيَّ صَاحِبِكُمْ». فقال له رجلٌ من الصحابة يُقالُ له: أبو قتادة: هُما عليٌّ يا رسولَ الله، أنا أدفعُها، فتقدَّم فصلَّى عليه ﷺ. قال جابرٌ: فجعلَ رسولُ الله ﷺ كلما لقيَ أبا قتادة قالَ له: «مَا صَنَعْتَ الدِّينَارَانِ؟» حتَّى كانَ آخرُ ذلكَ قالَ له: يا أبا قتادة، ما صنعتَ الدينارانِ؟ قالَ: قد قَضَيْتُهُمَا يا رسولَ الله. قالَ: «الآنَ حِينَ بَرَدَتْ عَلَيْهِ جِلْدُهُ»^(١).

الحديثُ الثاني: جاءَ في «سُنن الترمذِي» منَ حديثِ أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدِينِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ»^(٢).

الحديثُ الثالثُ: جاءَ في «مُسند الإمام أحمد» منَ حديثِ سَمرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: صَلَّى رسولُ الله ﷺ بنا صلاةَ الفجرِ، فلَمَّا فرَغَ منَ صلاتِهِ قالَ: «هَاهُنَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي فُلانٍ؟» قالَ له رجلٌ: أنا يا رسولَ الله. قالَ: «إِنَّ صَاحِبِكُمْ مُحْتَبَسٌ عَلَيَّ بِأَبِ الجَنَّةِ فِي دِينِ عَلَيْهِ»^(٣).

الضابطُ الثالثُ: قاعدةٌ عُمريَّةٌ، تَضْبِطُ لَنَا هذا الضابطُ، فَقَدْ جاءَ في «تفسير الوسيط» للواحدِي رَحِمَهُ اللهُ أَنْ الفاروقَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَقِيَ في الطريقِ جابِرَ بنَ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وفي يَدِهِ قِطْعَةٌ لَحْمٍ اشْتَرَاهَا مِنَ السُّوقِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: ما هَذَا يا

(١) أخرجه أحمد (٣/٣٣٠)، والحاكم في المستدرک (٢/٥٨).

(٢) أخرجه أحمد (٢/٥٠٨)، والترمذِي: كتاب الجنائز، باب ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «نفس المؤمن معلقة بدِينِهِ»، رقم (١٠٧٨)، وابن ماجه: كتاب الصدقات، باب التشديد في الدين، رقم (٢٤١٣).

(٣) أخرجه أحمد (٥/١١)، وأبو داود: كتاب البيوع، باب في التشديد في الدين، رقم (٣٣٤١).

جابر؟ قال: يا أمير المؤمنين، اشتهيت لحمًا فاشتريته. فقال عمر: أوكلما ما اشتهيت يا جابر اشتريته؟! (١)

إنها قاعدة تضبط لنا الاستهلاك اللاأخلاقي، كثيرة هذه الأشياء التي نشتهيها، وأكثر ما أوقع الناس في هذه الديون المتراكمة هو هذا الترف، وتتبع الأسواق، والمراكب العالمية، والموضات، وشراء ما لا حاجة منه، يتزوج الرجل فيحمل عاتقه ديونًا، فإذا قيل له، قال: هذه ليلة العمر. ويغفل أنه قد وضع على عاتقه ديون العمر في أشياء لا حاجة لها.

وهي قاعدة مختصرة من قوله تعالى في سورة طه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا

بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا لِنَفْسِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].

الضابط الرابع: إذا أخذت دينًا عليك بنية الوفاء، أي: إذا أخذت دينًا وقد أُلحِئت له إلقاء فخذه وأنت تحمل في نفسك وقلبك نية الوفاء؛ لأن النبي ﷺ قال: «أَيُّ رَجُلٍ تَدِينُنَا، وَهُوَ مُجْمَعٌ أَنْ لَا يُؤَفِّيَهُ إِيَّاهُ، لَقِيَ اللَّهَ سَارِقًا» (٢).

بعض الناس يظن أنها شطارة، ويأخذ من البقالة دينًا، وإذا سافر إلى البلد الفلاني أخذ دينًا، ويضع ثيابه عند هذه المغسلة ويأخذ دينًا، ولا يسدّد الديون، ويظن أن هذا من الذكاء، وصدق حينما ظن أن ذلك من الشطارة، فالشاطر في لغة العرب هو السارق، يشطر أموال الناس.

(١) التفسير الوسيط للواحيدي (٤/ ١١٢).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٣٣٢)، وابن ماجه: كتاب الصدقات، باب من ادان ديناً لم ينو قضاءه، رقم

(٢٤١٠)، من حديث صهيب رضي الله عنه.

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ»^(١).

هذه أربعة ضوابط، إذا أُجِئْتَ واضطُررت إلى أخذ الديون فتذكر هذه الأربع، فإذا أخذت دينًا وأرهقت هذا الدين فتذكر ما أرشدنا إليه رسول الله ﷺ من دعاء فيه لجوء إلى الله، واستعانة بالله.

جاء رجل إلى أمير المؤمنين، الخليفة الراشد علي بن أبي طالب - رضي الله عنه وأرضاه - يشتكي ديونًا عليه قد أعجزته، فقال: يا أمير المؤمنين، ديونٌ أرهقتني فأعني عليها، فقال علي رضي الله عنه: «أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمَنِيَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلٍ صَبْرٌ دَيْنًا آدَاهُ اللَّهُ عَنْكَ - جَبَلٌ صَبْرٌ: مِنْ جِبَالِ طَبِيبَةٍ. وَفِي لَفْظٍ: جَبَلٌ صَبِيرٌ. جَبَلٌ عَظِيمٌ مِنْ جِبَالِ الْيَمَنِ - قَالَ: بَلَى. قَالَ: قُلْ: «اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ»^(٢).

فيا صاحب الدين ردّد في صباحك ومساءلك: «اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ».

وردّد أيضًا دعاء آخر ذكره النبي ﷺ كما جاء عند الطبراني في «معجمه» من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: جاء رجل إلى النبي ﷺ ضيفًا عنده، ففتش في البيت فلم يجد طعامًا لهذا الضيف، فأرسل إلى بيوته يسأل: هل عندكم

(١) أخرجه البخاري: كتاب في الاستقراض، باب من أخذ أموال الناس، رقم (٢٣٨٧)، من

حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (١/١٥٣)، والترمذي: كتاب الدعوات، رقم (٣٥٦٣).

مِنْ طَعَامٍ؟ فَلَمْ يَجِدْ فِي وَاحِدٍ مِنْ بُيُوتِهِ طَعَامًا لِهَذَا الضَّيْفِ، فَقَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ، فَإِنَّهُ لَا يَمْلِكُهَا إِلَّا أَنْتَ»، فَأُهِدِيَتْ لَهُ شَاةٌ مَصْلِيَّةٌ فَقَالَ: «هَذِهِ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ»^(١).

فَمَنْ أُلْجِيَ إِلَى الدَّيْنِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى السَّمَاءِ، وَيُخَاطَبَ الرَّبَّ الْكَرِيمَ مُبْحَاثَةً وَتَعَالَى، وَأَنْ يَلْجَأَ إِلَيْهِ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَدْعِيَةِ وَغَيْرِهَا، وَيَقُولَ: اللَّهُمَّ خَلِّصْنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ، وَأَعِنِّي عَلَى مَا أَنَا فِيهِ.



(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/١٧٨، رقم ١٠٣٧٩)، وأبو نعيم في الحلية (٣٦/٥)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



(١٧)

ثمرات الخوف من الله

• • ❁ • •

الخوف من الله شعار المؤمنين، ولواء المتقين، وزاد السائرين، وحديث العارفين، والخوف من الله في الدنيا سبيل وطريق للأمن في الآخرة، وهو علامة على صفاء القلوب ونقاء النفوس وطهارة الأرواح.

وقد امتدح الله تبارك وتعالى أهل الخوف والحشية فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧ - ٦٠].

والخوف من الله لازم من لوازم الإيمان، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ. فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥]. وهو كما قيل: «هو سراج في القلب به يُبصر ما فيه من الخير والشر، وكلُّ أحدٍ إذا خفته هربت منه إلا الله عز وجل إذا خفته هربت إليه»^(١).

وصدق الله: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكَرِّمٌ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الذاريات: ٥٠].

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١/٥٠٩).

وهو عبادة العباد، وهي مقام عظيم، جعل الله لها ثماراً في الدنيا وثماراً في الآخرة.

وهناك ثمرات للخوف من الله في الدنيا والآخرة، أمّا ثمرات الخوف من الله في الدنيا، فهي:

أولاً: أنه يجعلك -أيها الخائف- مخلصاً في أداء عبادتك، فإذا صليت صليت لله، وكذا إذا تصدقت وأطعمت وسقيت، فإنك لا تجعل شيئاً من ذلك لغير الله، فالخائف أكثر الناس إخلاصاً في عمله، دليل ذلك قول الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكَ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ (١) ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٩-١٠].**

فالذي دفعهم للإخلاص أن يكون إطعامهم وإحسانهم لوجه الله، فهم لا يتحرّكون في هذه الدنيا ولا يُقدّمون قدماً ولا يؤخّرونها، إلا لوجه الله. فلا تتصور أنه يطعمك من أجل صوتك، أو يُحسن إليك من أجل صوتك، أو يتردد على مجلسك من أجل صوتك، أو يُمطرُك بوابلٍ من السلام في الصباح والمساء من أجل صوتك، فالخائف يبتغي الأجر من الله، وهذا ديدنه ليس في مناسبات يتطلع فيها إلى الدنيا.

ثانياً: أنه يدفع إلى العمل الصالح، فالذي يخاف الله ويخاف مقامه وعذابه؛ تجده دائماً في سعي إلى عمل صالح، يحرص على عبادته، قال الحق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فِي مِوْتٍ أَدْنَى اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (٣٦) ﴿رَجَالٌ لَا نُلَيْهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَابِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يُخَافُونَ يَوْمًا نُنْقَلِبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (٣٧) ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ **وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٣٨) [النور: ٣٦-٣٨].****

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ» أي: تحرَّكَ وسارَ في أولِ الليلِ «وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ»^(١).

فالخائفون من الله يدفعهم خوفهم للإخلاص، ويدفعهم للعبادة. ثالثاً: أنه يحول بينه وبين المعصية، فإذا أراد أن يعصي الله وحدثته نفسه وتاقت للمعصية تذكَّر الله وعظمتته فخافه، فلا يقع في غيبه، ولا تمتدُّ يده إلى الحرام، ولا ينتهك أعراض المؤمنين والمؤمنات؛ لأنه يخاف الله.

وتدبر ما قصه الله سبحانه وتعالى علينا في قصة ابني آدم في شأن هابيل وقايل حينما قال هابيل: ﴿لَيْنُ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٨].

فالخوف من الله حال بينه وبين المعصية، وكم تتطلع نفوسنا إلى فعل المعصية، لكنها تتذكر الله، وتذكر القبر، والصراط، والوقوف بين يدي الله؛ فتخاف. وقد يمكن الإنسان أحياناً من المعصية، أو أن يأخذ من المال، أو أن يقع في الذنب، لكنه يخاف الله، أي: تكون عنده فرص لفعل المعصية لكنه يقع عليه قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥].

رابعاً: أنه يكدر لذة المعصية، فالمعاصي لها لذة، نعم هي لذة قليلة، ولكن لها لذة، والخوف من الله يكدر لذة المعصية حتى لو وقع الإنسان في المعاصي، لا يتلذذ بها؛ لأنه يشعر برقابة الله، ويشعر باطلاعه عليه.

لهذا يقول ابن قدامة رحمه الله في «مختصر منهاج القاصدين»: «ومن ثمرات

(١) أخرجه الترمذي: كتاب صفة القيامة، رقم (٢٤٥٠)، من حديث أبي هريرة رَوَاهُ اللَّهُ عَنْهُ.

الخوف أن يجمع الشهوات، ويكدر اللذات، فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة»^(١).

خامساً: أن يمكن الخائف ويرتفع شأنه ويعلو قدره في الدنيا والآخرة، ولنا في يوسف **عَلَيْهِ السَّلَامُ** حينما خاف الله ودعته امرأة العزيز كيف ارتفع شأنه وعلا قدره، ومكن في الأرض.

قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ١٣ - ١٤].

فمن خاف مقام الله وخاف الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** مكن في الأرض وفاز بهذه الثمار في الدنيا.

أمّا ثمرات الخوف من الله في الآخرة فهي كثيرة جداً، أذكر بعضها:

أولاً: أن الخائف من الله في الدنيا يفوز بظل العرش يوم القيامة، وما أعظمه من ظل! الناس في الدنيا يفرحون بهذا الظل وهم يرونه بعد الحر والشمس، فكيف إذا كان الظل في يوم القيامة؟! وكيف إذا كان هذا ظل العرش؟! وكيف إذا جلس هذا العبد في ظل العرش وهو يعاين أولئك الذين لم يخافوا الله في الدنيا كيف تلهبهم حرارة الشمس التي تدنو من رؤوس العباد يوم القيامة؟!

قال رسول الله **ﷺ**: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**». وذكر من

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص: ٣٠٣).

السبعة: «وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ، وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ»^(١).

فإذا دعتك شهوة الفرج، أو شهوة المال، أو شهوة الكلام، فقل: إني أخاف الله. ولا تتردد أو تحجل، وإذا دعاك أصحاب السوء من رفقائك لفعل المعصية، فقل لهم: إني أخاف الله، ولا تأت بعذرٍ آخر، فلا تقل: لا أشتهيهِ. بل قل: إني أخاف الله. يرفعك الله بهذه الكلمة حتى يجعل مقامك في يوم القيامة تحت ظل العرش.

ثانياً: أن الذي يخاف هنا يحصل الأمن هناك، فقد جاء في «صحيح ابن حبان» أن رسول الله ﷺ قال: يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «وَعَزَّيْ لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ؛ إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا أَمَّنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

ثالثاً: إنها الفوز بالجنة.. وما أعظمها من ثمرة! وليس قبلها وبعدها ثمرة، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ ق: ﴿وَأَزَلَفَتْ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾^(٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ^(٣٢) مَن خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ^(٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ^(٣٤) هُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ^(٣٥) [ق: ٣١-٣٥].

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، رقم (٦٦٠)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، رقم (١٠٣١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه ابن حبان، رقم (٦٤٠)، والبيهقي في الشعب رقم (٧٥٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿جَزَأَوْهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٨].

هذا النعيم الذي تقدم لمن خشي ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فاللهم اجعلنا من أهل الخشية الذين هم بآيات ربهم مُشْفِقُونَ، والذين هم بآيات ربهم يُؤْمِنُونَ، والذين هم برَبِّهم لا يُشْرِكُونَ.





(١٨)

رمضان شهر الخيرات



الموفق من وفقه الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** إذا أدرك شهر رمضان أن يستغل ما فيه من الخيرات والبركات، فرمضان شهر الخيرات، كيف لا وربنا **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** يقول: **﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** (البقرة: ١٨٤)؟!!

كيف لا والمُنَادِي يُنَادِي فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ؟! (١)

فرمضان كله خيرات من أول ليلة فيه إلى آخر ليلة، لكن أين من يستغل هذه الخيرات، ويمد يديه نحو هذا النداء الذي يقول: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ؟! ووجوه الخيرات في رمضان كثيرة، أذكر بعضها:

الخير الأول: في رمضان تُفْتَحُ الأبواب، أبواب الرحمة، وأبواب السماء، وأبواب الجنان، فقد جاء في سنن الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: **«إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتِ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ**

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الصوم، باب ما جاء في فضل شهر رمضان، رقم (٦٨٢)، وابن ماجه: كتاب الصيام، باب ما جاء في فضل شهر رمضان، رقم (١٦٤٢)، من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ»^(١).

وفي «صحيح البخاري» قال رسول الله ﷺ: «إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فَتُحَّتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلِسِلَتِ الشَّيَاطِينُ»^(٢).

وفي «صحيح مسلم» قال رسول الله ﷺ: «إِذَا كَانَ رَمَضَانُ فَتُحَّتْ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ وَسُلِسِلَتِ الشَّيَاطِينُ»^(٣).

فأبواب الرحمة، وأبواب السماء، وأبواب الجنة، تُفتح لك في شهر رمضان، وهي فرصة لك أن تلج من هذه الأبواب، الأبواب المفتوحة.

الخير الثاني: في رمضان تُغفر الذنوب، ومن منّا بلا ذنب، أو خطيئة، أو سيئة؟! فوالله لو كانت للخطايا والسيئات رائحة لما جلس أحدنا مع الآخر، ولكن ستر الله ولطفه بنا يأتي رمضان ليكون سبباً لمغفرة الذنوب.

قال الله ﷻ **سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ يَا أَعْلَى الْعَرْشِ عَظِيمِ** في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّانِعِينَ وَالصَّانِعَاتِ

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الصوم، باب ما جاء في فضل شهر رمضان، رقم (٦٨٢)، وابن ماجه: كتاب الصيام، باب ما جاء في فضل شهر رمضان، رقم (١٦٤٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الصوم، باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان، رقم (١٨٩٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الصيام، باب فضل شهر رمضان، رقم (١٠٧٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ [الأحزاب: ٣٥]؛ فاستبشِرْ أيتها الصائم، وارفع رأسك فرحًا وقل: الحمد لله أن بلغني شهر رمضان.

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(١)؛ فافرح بشهر رمضان، واحمد الله تبارك وتعالى أن بلغك إياه.

الخبر الثالث: أن من صام رمضان وقاه الله النار، وأعتقه من النار، وجعله في حصن حصين من النار، فقد جاء في «مسند أحمد» من حديث جابر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: قال ربنا عز وجل: «الصَّيَامُ جُنَّةٌ، يَسْتَحِنُّ بِهَا الْعَبْدُ مِنَ النَّارِ»^(٢). والجنة: هي الدرع الحصينة التي يتدرع بها ويتحصن بها المقاتل، فأنت حينما تصوم تحصن نفسك من النار.

وقال أيضًا رسول الله ﷺ: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَاعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»^(٣).

بل إن الله تبارك وتعالى يتفضل علينا في كلِّ نهارٍ وفي كلِّ ليلةٍ، فيعتق من عباده

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب صوم رمضان احتساباً من الإيمان، رقم (٣٨)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح، رقم (٧٦٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (٣/٣٤١).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل الصوم في سبيل الله، رقم (٢٨٤٠)، ومسلم: كتاب الصيام، باب فضل الصيام في سبيل الله لمن يطيقه، رقم (١١٥٣/١٦٨)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

مَنْ يَشَاءُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عُتِقَاءَ مِنَ النَّارِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَلِكُلِّ مُسْلِمٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ»^(١).

الخيرُ الرابع: وليسَ شيءٌ أفضلَ مِن هذا الخيرِ ولا أعظمَ، وهو الفوزُ بالجنةِ، فافرحُ أيها الصائمُ ولا تتصجّرْ بصيامك واحمدِ اللهَ سُبحانَهُ وتعالى أن بلغَكَ شهرَ رمضانَ فصُمتَه.

جاء أبو أمانة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسولَ الله، أخبرني بعملٍ إذا عملتهُ دخلتُ الجنةَ. فقال رسولُ الله ﷺ: «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَا عَدَلَ لَهُ» أَوْ قَالَ: «لَا مِثْلَ لَهُ»^(٢).

وجعلَ اللهُ سُبحانَهُ وتعالى في الجنةِ بابًا لا يدخلُ منه إلا الصائمونَ وهو بابُ الرِّيانِ، فقد جاء في «موطأ الإمام مالكٍ» رَحِمَهُ اللهُ أَنْ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يُنَادَى وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيانِ»^(٣).

بل قال ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرِّيانُ. يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيُّنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ

(١) أخرجه أحمد (٢/٢٥٤)، من حديث أبي هريرة أو أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. وأخرجه ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله رقم (١٥٠)، والطبراني في الأوسط رقم (٦٤٠١)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٥/٢٥٥)، والنسائي: كتاب الصيام، باب ذكر الاختلاف على محمد بن أبي يعقوب في حديث أبي أمانة، في فضل الصائم، رقم (٢٢٢٠ - ٢٢٢٣).

(٣) أخرجه مالك في الموطأ (٢/٤٦٩)، رقم (٤٩)، والبخاري: كتاب الصوم، باب الريان للصائمين، رقم (١٨٩٧)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب من جمع الصدقة وأعمال البر، رقم (١٠٢٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ، فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ»^(١).

بل جعل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في الجنةِ عُرفًا للصائمين، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ عُرفًا يَرَى ظَاهِرَهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنَهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللهُ لِمَنْ أَلَانَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَتَابَعَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»^(٢).

وجاء أعرابيُّ إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ. قَالَ ﷺ: «تَعْبُدُ اللهُ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ». قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا. فَلَمَّا وُلَّى، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا»^(٣).

الخيرُ الخامس: أَنْ مَنْ خْتَمَ لَهُ بِصِيَامٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ، قَالَ حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَسْنَدْتُ النَّبِيَّ ﷺ إِلَى صَدْرِي فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ صَلَّى صَلَاةً ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٤).

الخيرُ السادس: أَنْ الصَّائِمَ يُعَدُّ فِي جُمْلَةِ الصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ، وَهُوَ مَقَامٌ رَفِيعٌ أَعَدَّ اللهُ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصوم، باب الريان للصائمين، رقم (١٨٩٦)، ومسلم: كتاب الصيام،

باب فضل الصيام، رقم (١١٥٢)، من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (١٧٣/٢)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم (١٣٩٧)، ومسلم: كتاب الإيمان،

باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة، رقم (١٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه أحمد (٣٩١/٥).

جاء في «صحيح ابن حبان» أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن شهدتُ ألا إله إلا الله، وأنتك رسول الله، وصلَّيتُ الصلوات الخمس وأديتُ الزكاة، وصُمتُ رمضان وقُمتُه فَمِمَّنْ أنا؟ قال: **«مِنَ الصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ»** (١).

الخيرُ السابعُ: أنه يُصنِّفِي القلبَ مِن سُموومِ الأحقادِ، وسَيِّئِ الطباعِ، وانظُرْ إلى حالِ الناسِ في رمضانَ، كيفَ تَهْدأُ نُفوسُهُم وتطمئنُّ، وتُحسِنُ أخلاقُهُم، وتُستقيمُ ألسنتُهُم! والسببُ أنَّ في عمومِ الصيامِ سرًّا عَجيبًا أنه يُصنِّفِي القلوبَ مِنَ الأحقادِ والضغائنِ، فقد قال رسولُ الله ﷺ: **«صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ وَثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صَوْمُ الدَّهْرِ، وَيُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ»** (٢).

ووحْرُ الصدرِ: هو ما فيه شوائبُ الأحقادِ، والضغائنِ، والحسدِ، والغِلِّ. فاستبشِرْ أيها الصائمُ، واحمدِ الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، فإن كُنْتَ تَرَى نَفْسَكَ صائِمًا فَإِنَّ هُنَاكَ أَعْدَادًا كَثِيرَةً قَدْ أَعْرَضُوا عَنِ الصِّيَامِ، فَقَدْ وَفَّقَكَ اللهُ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** أَنْ تَكُونَ فِي عِدَادِ الصَّائِمِينَ، فَلْيَلْهَجْ لِسَانُكَ بِحَمْدِ اللهِ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، واستغَلِّ هذه الأيامَ المباركةَ، وحافظْ على هذه الخيراتِ، فإنَّها كنزٌ عظيمٌ.



(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم (٣٤٣٨)، من حديث عمرو بن مرة الجهني **رَوَى اللَّهُ عَنْهُ**.
 (٢) أخرجه البيهقي في الشعب رقم (٣٥٧٤)، من حديث أبي العلاء بن الشخير، عن أعرابي سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله. وأخرجه بنحوه أحمد (١٥٤/٥)، من حديث أبي ذر الغفاري **رَوَى اللَّهُ عَنْهُ**.



(١٩)

حَقِيقَةُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ

•• ❁ ••

التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ هُوَ عِبَادَةُ الْأَتْقِيَاءِ وَسَبِيلُ الْأَنْقِيَاءِ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهَا، فَقَالَ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الشعراء: ٢١٧].

والتَّوَكُّلُ هُوَ صِدْقُ اعْتِمَادِ الْقَلْبِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي اسْتِجْلَابِ الْمَصَالِحِ، وَدَفْعِ الْمَضَارِّ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كُلِّهَا، وَهُوَ الثَّقَّةُ بِمَا عِنْدَ اللَّهِ، وَالْيَأْسُ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى صِحَّةِ إِسْلَامِ الْعَبْدِ؛ إِذْ يَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمُ إِن كُنتُمْ آمَنتم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

والتَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ شَرْطٌ فِي تَحْقِيقِ إِيْمَانِ الْعَبْدِ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَانْكَبُوا عَلَيْهِمْ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وَهُوَ لَا يُنَافِي الْأَخْذَ بِالْأَسْبَابِ، فَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ مِنَ الدِّينِ، وَالْأَخْذُ بِالْأَسْبَابِ مِنَ الدِّينِ.

فَقَدْ جَاءَ فِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ

ﷺ وناقته بيده، قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعْقِلْهَا وَاتَّوَكَّلْ، أَوْ أَطْلِقْهَا وَاتَّوَكَّلْ؟ قَالَ ﷺ: «اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ»^(١)؛ وذلك لأنَّ الأخذ بالسببِ دينٌ وشرعٌ شرَّعه اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ولا يُنافي التوكلُ أبدًا.

وجاء في «صحيح البخاري» عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ أَهْلُ الْيَمَنِ يَحْجُونَ وَلَا يَتَزَوَّدُونَ، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ الْمُتَوَكِّلُونَ. فَإِذَا قَدِمُوا مَكَّةَ سَأَلُوا النَّاسَ، فَأَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَتَسَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧]^(٢).

قال معاوية بن قرة: «لَقِيَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ الْمُتَوَكِّلُونَ. قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ الْمُتَوَاكِلُونَ، إِنَّهُمُ الْمُتَوَكِّلُ الَّذِي يُلْقِي حَبَّهُ فِي الْأَرْضِ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(٣).

عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الَّذِي فَهِمَ مَعْنَى التَّوَكَّلِ عَلَى حَقِيقَتِهِ، وَأَنَّهُ لَا يُنَافِيهِ الْأَخْذُ بِالْأَسْبَابِ، وَالَّذِي قَالَ مَقُولَتَهُ الشَّهِيرَةَ: «لَا يَقْعُدُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ عَن طَلَبِ الرِّزْقِ، وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ ارزُقْني. فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ السَّيِّئَ لَا تُمْطِرُ ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً»^(٤).

وَلَكِنَّ الْأَخْذَ بِالْأَسْبَابِ لَا يَعْنِي الرُّكُونَ إِلَيْهَا، وَلَا الْاعْتِمَادَ عَلَيْهَا. فَلَا يُرْكَنُ إِلَّا إِلَى اللهِ، وَلَا يُعْتَمَدُ إِلَّا عَلَى اللهِ، فَهُوَ مُسَبِّبُ الْأَسْبَابِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَقَدْ جَاءَ عِنْدَ

(١) أخرجه الترمذي: كتاب صفة القيامة، رقم (٢٥١٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب قول الله تعالى: ﴿وَتَسَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾، رقم (١٥٢٣).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في التوكل على الله رقم (١٠)، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم رقم (٣٠٢٧).

(٤) إحياء علوم الدين للغزالي (٢/٦٢).

أبي داود من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ، لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِاللَّهِ، أَوْشَكَ اللَّهُ لَهُ بِالْغِنَى»^(١).

فالأخذ بالسبب لا يُنْأَى التوكُّل على الله، وإلا فكيف يقول الحقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لمريم عَلَيْهَا السَّلَامُ، وقد ضعفت في نفسها، وفي بدنها: ﴿وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥] فلو أراد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أن يسقط عليها الرطب، أو أن يوجده بين يديها صنوف الطعام؛ لفعل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولكن أراد أن يُرَبِّي الأُمَّة مع توكلها عليه أن تأخذ بالأسباب.

تَوَكَّلْ عَلَى الرَّحْمَنِ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ
وَلَا تَرْغَبْ فِي الْعَجْزِ يَوْمًا عَنِ الطَّلَبِ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ قَالَ لِمَرْيَمَ
وَهَزَى إِلَيْكَ الْجِذْعَ يَسَاقِطُ الرُّطْبُ
وَلَوْ شَاءَ أَنْ تُجْنِبَهُ مِنْ غَيْرِ هَزَّهُ
جَنَّتُهُ وَلَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ لَهُ سَبَبٌ^(٢)

ومن توكل على الله حتى توكله ظفر بأمرٍ عظيمة، وفاز بأمرٍ عديدة على

رأسها:

الأمر الأول: أنه يُحَقِّقُ النصرَ في نفسه، فإنَّ المتوكل على الله منصورٌ على المستوى الفردي، والمستوى الجماعي، والمجتمعات إذا توكلت على الله نصرت، فقد قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي

(١) أخرجه أحمد (٤٠٧/١)، وأبو داود: كتاب الزكاة، باب في الاستعفاف، رقم (١٦٤٥)،

والترمذي: كتاب الزهد، باب ما جاء في الهم في الدنيا، رقم (٢٣٢٦)، من حديث عبد الله بن

مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي (ص: ٣٠٨)، غير منسوب.

يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١٠﴾ [آل عمران: ١٦٠]. علاقة طردية بين النصر وتحقيق التوكل.

الأمر الثاني: أن المتوكل يُحصن نفسه بالتوكل من شرّ شياطين الإنس والجن، والدليل على ذلك: أن الحق سبحانه وتعالى قال: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾ [المجادلة: ١٠].

وقال تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [النحل: ٩٨-٩٩].

وقد علمنا رسول الله ﷺ حديثاً نقوله إذا خرجنا من بيوتنا، قال: «إِذَا خَرَجَ الْعَبْدُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. تَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: هُدَيْتَ وَكُفَيْتَ وَوُقِيْتَ، وَتَنْحَى عَنْهُ الشَّيَاطِينُ، وَيَقُولُ شَيْطَانٌ لِشَيْطَانٍ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ»^(١)؛ لأنه توكل على الله، وفوض أمره إلى الله سبحانه وتعالى.

الأمر الثالث: من توكل على الله ظفر بالرزق الحلال الوفير، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۗ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٢-٣]. وقال رسول الله ﷺ في حديث عمر رضي الله عنه عند ابن ماجه: «لَوْ أَنَّكُمْ

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب ما يقول إذا خرج من بيته، رقم (٥٠٩٥)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا خرج من بيته، رقم (٣٤٢٦)، من حديث أنس رضي الله عنه.

تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»^(١).
لِذَا قَالَ الْأَوَّلُ:

تَوَكَّلْتُ فِي رِزْقِي عَلَى اللَّهِ خَالِقِي وَأَيْقَنْتُ أَنَّ اللَّهَ لَا شَكَّ رَازِقِي
وَمَا يَكُ مِنْ رِزْقٍ فَلَيْسَ يَفُوتُنِي وَلَوْ كَانَ فِي قَاعِ الْبِحَارِ الْعَوَامِقِ
سَيَأْتِي بِهِ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنِّي اللِّسَانُ بِنَاطِقِ
فَفِي أَيِّ شَيْءٍ تَذْهَبُ النَّفْسُ حَسْرَةً وَقَدْ قَسَمَ الرَّزَاقُ رِزْقَ الْخَلَائِقِ^(٢)

الأمْرُ الرَّابِعُ: المتوكِّلُ عَلَى اللَّهِ يظْفَرُ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ**
اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فَهَلْ تُرِيدُ دَلِيلًا أَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَإِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ أَحَبَّكَ اللَّهُ،
فَإِذَا أَحَبَّكَ اللَّهُ فَأَيُّ شَيْءٍ يَفُوتُكَ!.

الأمْرُ الْخَامِسُ: يظْفَرُ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى اللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بِالْجَنَّةِ وَهِيَ ثَمَرَةٌ عَظِيمَةٌ،
بَلْ هِيَ أَعْظَمُ الثَّمَارِ، قَالَ اللَّهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**
لَنُؤْتِيَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرٍ الْعَمَلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا
وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ [العنكبوت: ٥٨ - ٥٩].

الأمْرُ السَّادِسُ: أَنَّ الْمُتَوَكِّلَ عَلَى اللَّهِ يظْفَرُ بِمَطْلُوبِهِ. فَإِذَا طَلَبَ شَيْئًا وَقَدْ
تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** فِي تَحْقِيقِهِ؛ ظَفَرَ بِهِ.

(١) أخرجه أحمد (٣٠ / ١)، والترمذي: كتاب الزهد، باب في التوكل على الله، رقم (٢٣٤٤)، وابن

ماجه: كتاب الزهد، باب التوكل واليقين، رقم (٤١٦٤).

(٢) ديوان الشافعي (ص: ٨٤).

قال ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ** في كتابه في «مدارج السالكين»: «ومن صدق توكله على الله في حصول شيء ناله»^(١). ثم قال: «فالتوكل من أحسن الأسباب التي يحصل بها المطلوب ويندفع بها المكروه»^(٢). وقد قال: «ولو توكل العبد على الله حتى توكله في إزالة جبل من مكانه، وكان مأمورًا بإزالته لأزاله»^(٣).

وجاء في مسند أحمد أن رجلاً من الطفاوة قدم المدينة على النبي **ﷺ**، فلما أراد أن ينصرف أشار **ﷺ** إلى بيت وهو يجاطب هذا الرجل، قال: «**فِي هَذَا الْبَيْتِ كَانَتْ امْرَأَةٌ، وَهِيَ لَا تَزَالُ مَوْجُودَةً، خَرَجَتْ فِي سَرِيَّةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَتَرَكَتْ فِي بَيْتِهَا ثِنْتَيْ عَشْرَةَ عَنَزًا وَصِيصِيَّتَهَا** - أي: المغزل - **كَانَتْ تَنْسِجُ بِهَا وَخَرَجَتْ، قَالَ: فَلَمَّا رَجَعَتْ فَقَدَتْ عَنَزًا مِنْ غَنَمِهَا وَفَقَدَتْ صِيصِيَّتَهَا**؛ فلائها قد توكلت على الله في خروجها ودخولها، إذا بها تناشد الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الَّذِي تَوَكَّلْتُ عَلَيْهِ**. قال: «**فَقَالَتْ: يَا رَبِّ، إِنَّكَ قَدْ ضَمِنْتَ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِكَ أَنْ تُحْفَظَ عَلَيْهِ، وَإِنِّي قَدْ خَرَجْتُ فِي سَبِيلِكَ فَقَدْتُ عَنَزًا مِنْ غَنَمِي وَصِيصِيَّتِي، وَإِنِّي أَنْشُدُكَ عَنَزِي وَصِيصِيَّتِي**؛ لأن التوكل هو الثقة بما عند الله، وصدق اعتماد القلب على الله. قال **ﷺ** لهذا الرجل: «**فَنَاشَدْتُ رَبِّي أَشَدَّ الْمُنَاشَدَةِ، فَلَمَّا أَصْبَحَتْ فَإِذَا عَنَزُهَا وَمِثْلُهَا، وَصِيصِيَّتُهَا وَمِثْلُهَا**»^(٤).

إنه حسن التوكل على الله، يظفر المتوكل بالمطلوب، حتى لو كان في نظره مستحيلًا صعبًا عسيرًا، إذا حسن توكله على الله حقق مطلوبه.



(١) مدارج السالكين (٢/ ١١٤).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ١٢٠).

(٣) مدارج السالكين (١/ ١٠٣).

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٦٧).



(٢٠)

حائنا مع القرآن في رمضان

• • ❁ • •

القرآن العظيم حبلُ الله المتين، من استمسك به رشد وظفر وفاز، ومن تركه فليس ثم إلا الخسران، قال رسول الله ﷺ كما جاء في «صحيح ابن حبان»: «إني تارك فيكم كتاب الله، هو حبلُ الله، من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة»^(١).

فالقرآن العظيم كتاب هداية، كما قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

وهو كتاب نورٍ يخرج صاحبه من الظلمات، كما قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [١٥] يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [١١] [المائدة: ١٥-١٦].

وهو كتاب شفاءٍ لعلل النفوس والأبدان، قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف رقم (٣٠٧٠١)، والنسائي في السنن الكبرى رقم (٨١١٩)، وابن حبان في صحيحه رقم (١٢٣)، من حديث زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

شهر رمضان؛ كيف لا والله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يقول: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ٣].

ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وشهر رمضان هو الشهر الذي تنزلت فيه الصحف؛ صحف إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، والتوراة، والإنجيل، والزبور.

قال رسول الله ﷺ كما جاء عند الطبراني من حديث واثلة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أُنزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَأُنزِلَتِ التَّوْرَةُ لَيْسَتْ مَضِيئًا مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنزِلَ الْإِنْجِيلُ لثَلَاثَ عَشْرَةَ مَضَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنزِلَ الزَّبُورُ لِثَمَانِي عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنزِلَ الْقُرْآنُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ»^(١).

ورمضان يُمَيِّزُهُ الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ، فَتَمَيَّزَ فِي رَمَضَانَ وَاجْعَلْ فِي نَيْتِكَ مِنَ الْآنَ أَنْ تَتَمَيَّزَ فِي رَمَضَانَ بِصِيَامٍ وَقِرَاءَةٍ لِلْقُرْآنِ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيُّ رَبِّ مَنَعْتَهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفَّعْنِي فِيهِ. وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتَهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفَّعْنِي فِيهِ، فَيُشَفَّعَانِ»^(٢).

فإذا قلبت صفحات الماضي، ونظرت إلى سيرة السلف الصالح، كيف كانوا

(١) أخرجه أحمد (٤/١٠٧)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٢/٧٥، رقم ١٨٥).

(٢) أخرجه أحمد (٢/١٧٤)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

في رمضان؟ وكيف كانت عنايتهم بالقرآن في رمضان؟
فهذا الزهري **رَحِمَهُ اللهُ** إذا دخل رمضان، قال: إنما هو قراءة قرآن، وإطعام
طعام^(١).

وهذا سُفيانُ الثوري **رَحِمَهُ اللهُ** إذا دخل رمضان ترك جميع العبادات، وأقبل
على قراءة القرآن^(٢).

وهذا العالمُ الجليلُ المربيُّ، الفقيهُ المسدّدُ، محمدُ بنُ إدريسَ الشافعي **رَحِمَهُ اللهُ**،
يُحدِّثُ عنه الربيعُ بنُ سليمانَ **رَحِمَهُ اللهُ**، يقولُ: «كانَ مُحَمَّدُ بنُ إدريسَ الشافعيُّ إذا
دخلَ رَمَضانَ خَتَمَ سِتِّينَ خَتْمَةً، خَتَمَةً في الليلِ، وخَتْمَةً في النهارِ»^(٣).

وقبله أستاذه ومعلمه، إمامُ دارِ الهجرة، مالكُ **رَحِمَهُ اللهُ**؛ إذ قيلَ عنه أنه: «إذا
دخلَ رَمَضانَ فرَّ مالِكُ مِنَ الحديثِ ومجالسةِ أهلِ العلمِ، وأقبلَ على تلاوةِ القرآنِ
مِنَ المصحفِ»^(٤).

يختمُ أحدهم في الليلِ خَتْمَةً، وفي النهارِ خَتْمَةً، والخَتْمَةُ الواحدةُ تأخذُ من
قارئها من ثمانٍ إلى عشرٍ ساعاتٍ. أي: يقضون قريباً من عشرين ساعةً يقرؤون
القرآنَ، ولا يتبقي لهم إلا هذه الساعاتُ الأربعُ.

فلا تقل كما قال ذلك المسكينُ: أولئك فارغون، أو ليس عندهم عملٌ.

(١) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (٦/١١٠ - ١١١).

(٢) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٧١).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٩/١٣٤)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٢/٤٠٢)،
والبيهقي في مناقب الشافعي (١/٢٧٩ - ٢٨٠).

(٤) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٧١).

أقول: سبحان الله! وهل الشافعي ومالك فارغان ليس عندهم عمل! فماذا نقول نحن؟! إنهم عرفوا من أين تؤخذ الحسنات، وكيف تُستثمر الأوقات، فاهتموا بكتاب الله، أعظم كتاب؛ لأنه يحتوي كلام الخالق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

إنهم اهتموا بهذا الاهتمام؛ لأنهم يعلمون حقيقة القرآن، وما فيه من الأجر والثواب، وما فيه من الرفعة والتقدير، ويعلمون أن القرآن من أخذ به - كما مر - حصن نفسه من ظلمات الحياة، وما فيها من منغصات.

قال الحق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥]؛ فسماه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** نورًا.

وقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في نهاية الآية: ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [المائدة: ١٦].

وقد جاء أبو ذرٍّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** إلى النبي **ﷺ** وقال: يا رسول الله، أوصني. فقال رسول الله **ﷺ**: «أوصيك بتقوى الله»، قال: يا رسول الله، زدني. قال: «عليك بتلاوة القرآن، فإنه نور لك في الأرض، ودُخْرٌ لك في السماء»^(١).

ويعلمون أن القرآن فيه شفاء لما في هذه الصدور من أوهام وسُموم ومضار، قال الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وتدبر دعاء النبي **ﷺ** حينما دعا بالدعاء الذي يزيل الهم، فقال: «أَنْ تَجْعَلَ

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم (٣٦١).

القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهب همي»^(١).
 إنَّ القرآنَ يجعلُ من قلبك ربيعاً، فإذا رُبِّعَ قلبك نُورَ صدرك، وانجلى
 حزنك، وذهب همك.

والقرآن يرفع صاحبه، فاعقد النية أن تجعل بينك وبين القرآن صحبةً، وفرغ
 نفسك من الشواغل التي يمكن أن تُفرِّغَ نفسك منها، فإنَّ لك في ذلك رفعةً
 وتقديرًا، ليس في الدنيا وحسب، بل تُرفع في الدنيا وفي الآخرة، فقد جاء في
 «صحيح مسلم» من حديث عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«إنَّ الله يرفعُ
 بهذا الكتابِ أقوامًا، ويضعُ بهِ الآخرين»^(٢).**

فمن استمسك به ارتفع ذكره وشأنه في الدنيا، أمَّا الآخرة فأمرها آخر، فقد
 جاء في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عند أبي داود في «سننه» أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال: **«يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ، كَمَا كُنْتَ تُرْتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ
 مَنَزَلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُهَا»^(٣).**

وحيثما أذكر هذه النماذج من عناية سلف الأمة بكتاب الله، لا تتصور أن
 هذه الصور محصورة في ذلك الزمان فقط، بل يعيش معنا اليوم في مجتمعاتنا، وفي
 زماننا من يهتم القرآن في كل يوم ختمةً.

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٩١)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، رقم
 (٨١٧).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ١٩٢)، وأبو داود: كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة، رقم
 (١٤٦٤)، والترمذي: كتاب فضائل القرآن، رقم (٢٩١٤).

فلا تتصوّر أنّي أتحدّثُ عن زمنٍ مضى، بل ما يزالُ يعيشُ معنا خيارُ الناسِ
الذينَ عرفوا كيفَ يستثمرون أوقاتهم.

لذا وصيّتي لك أن تُعدّ لرمضانَ عدته، وأعظمُ ما يُستعدُّ له قراءةُ القرآنِ
بعدَ الصيام، فنظّم جدولك من الآن، واعلم أن ما يعلنُ عنه من مسابقاتٍ؛ في
كرة القدم، أو الكرة الطائرة، أو غيرهما؛ لا تُجدي لك نفعًا، وليسَ هذا وقتها
الآن، وليست ليالي رمضان المباركة لها بوقتٍ، إنّها وقتها قد يكون غير ذلك، أمّا
هذا الوقت فهو وقتٌ عزيزٌ.

فإذا أخذتَ وظيفتك منكَ ثماني ساعاتٍ، وصلتك لأقاربك وأحبائك
وأرحامك ساعاتٍ، فاجعل للقرآن أيضًا ساعاتٍ، وفرِّغ نفسك من الآن بأن
تُدوّن لك جدولًا، وتأخذ على نفسك عهدًا أن تكون لك ختماتٌ في رمضان، ولا
تكنُ كذاك الذي ينشط بعد خطبة يسمّعها، أو موعظة تصل إليه، فيقرأ في يومه
الأول خمسة، أو ستة أجزاء، ثم ما يلبثُ هذا النشاط أن يفتر، وينقضي رمضان ولم
يختم ختمًا واحدةً. بل ضع بين عينيك أن هذا القرآن سيأتي لك شفيعًا في الآخرة
إذا أحسنت صحبتَه في الدنيا.





(٢١)

كيف تثقل ميزانك؟

•• ❁ ••

درج كثيرٌ من الناسِ في شهرِ رمضانَ على تخفيفِ أوزانهم بالتقلُّلِ مِنَ الطعامِ والشرابِ، وممارسةِ أنواعِ مِنَ الرياضةِ، ودرج آخرون غيرهم على تثقيلِ أوزانهم، ورأوا في رمضانَ فرصةً عظيمةً لتثقيلِ أوزانهم، ولكن بالحسنةِ وفعلِ الصالحاتِ.

فالعبدُ إنما يرجحُ وينجو يومَ القيامةِ إذا ثقلَ ميزانه، قال اللهُ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبِينَ﴾** [الأنبياء: ٤٧].

وقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** [٨] **وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾** [الأعراف: ٨-٩].

فالعاقلُ والراشدُ مَنْ يَسْتَفِيدُ مِنْ أَيَّامِ عُمُرِهِ وَلِيَالِيهِ، بَلْ يَسْتَفِيدُ مِنْ أَنْفَاسِهِ هَذِهِ الَّتِي تَرَادُّ؛ لِيُثْقَلَ بِهَا مِيزَانُ حَسَنَاتِهِ.

والنبيُّ ﷺ كَانَ حَرِيصًا غَايَةَ الْحَرِصِ عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ، يَقُولُ: **«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَاحْسَأْ شَيْطَانِي، وَفَكَ رِهَانِي، وَثَقِّلْ**

مِيزَانِي، وَاجْعَلْنِي فِي النَّدِيِّ الْأَعْلَى^(١)؛ فغايةُ وهدفُ عندِ النبي ﷺ، أَنْ يُثَقَّلَ مِيزَانُهُ. وأعمارُنَا متقاربةٌ، كما أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ السِّتِينَ وَالسَّبْعِينَ، وَقَلِيلٌ مَّنْ يُجَاوِزُ ذَلِكَ، وَالْعَاقِلُ مَن يَعْرِفُ كَيْفَ يَسْتَثْمِرُ الْفُرْصَ، فَيَتَّجِهُ إِلَى الْعِبَادَاتِ الَّتِي حَسَنَاتُهَا أَكْثَرُ، وَيَنْشِطُ فِي الْأَوْقَاتِ الَّتِي تَكُونُ فِيهَا الْحَسَنَاتُ أَكْثَرَ. وَهُنَا أَذْكَرُ بَعْضِ الْأَمْثَلَةِ فِي تَحْقِيقِ جَوَابِ كَيْفَ تُثَقَّلُ مِيزَانُكَ:

البَابُ الْأَوَّلُ: حُسْنُ الْخَلْقِ، فَقَدْ جَاءَ فِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الدَّرْدَاءِ تُحَدِّثُ عَنْ زَوْجِهَا أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ»^(٢)، زَادَ فِي رِوَايَةٍ أَيْضًا عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ، قَالَ: «وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ»^(٣).

فَالْعَاقِلُ هُوَ الَّذِي يَمَلَأُ مِيزَانَ حَسَنَاتِهِ مِنْ هَذَا الْبَابِ، أَنْ تَحْسُنَ أَخْلَاقَهُ مَعَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، أَمَامَ النَّاسِ وَبِمُفْرَدِهِ.

البَابُ الثَّانِي: الصَّلَاةُ، وَهِيَ بَابٌ وَاسِعٌ، لَكِنْ فِي هَذَا الْبَابِ أَبْوَابٌ اسْتِثْنَاهَا أَوْلَى مِنْ غَيْرِهَا، فَالْحَسَنَاتُ فِيهَا أَكْثَرُ، وَأَذْكَرُ بَعْضُ الْأَمْثَلَةِ:

المَثَالُ الْأَوَّلُ: الصَّلَاةُ فِي الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ تَخْتَلِفُ، فَقَدْ جَاءَ عِنْدَ ابْنِ مَاجَهَ،

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ: كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ مَا يُقَالُ عِنْدَ النَّوْمِ، رَقْمٌ (٥٠٥٤)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي مَسْنَدِ

الشَّامِيِّينَ رَقْمٌ (٤٣٥)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي الْأَزْهَرِ الْأَنْهَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ: كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ فِي حَسَنِ الْخَلْقِ، رَقْمٌ (٤٧٩٩)، وَالتِّرْمِذِيُّ: كِتَابُ الْبِرِّ

وَالصَّلَاةِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي حَسَنِ الْخَلْقِ، رَقْمٌ (٢٠٠٢).

(٣) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ: كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي حَسَنِ الْخَلْقِ، رَقْمٌ (٢٠٠٣).

مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيهَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيهَا سِوَاهُ»^(١).

فَتَصَوَّرَ هَذَا الْإِنْسَانَ الَّذِي يُصَلِّي فِي مَدِينَتِهِ وَفِي حَيَّهِ، وَصَلَاةٌ وَاحِدَةٌ تُعَادِلُهَا صَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِمِئَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ، لَذَا أُذَكِّرُ الَّذِينَ يَذْهَبُونَ إِلَى الْعُمْرَةِ، أَوْ الَّذِينَ يُعِدُّونَ الْعُدَّةَ لِلْحَجِّ، لَا تُفَوِّتْ عَلَى نَفْسِكَ، فَإِذَا كُنْتَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَأَكْثِرْ مِنَ الرُّكْعَاتِ، فَبِكُلِّ رُكْعَةٍ مِئَةَ أَلْفِ رُكْعَةٍ، كَمْ نَحْتَاجُ مِنَ السَّنَوَاتِ حَتَّى نُصَلِّيَ مِئَةَ أَلْفِ رُكْعَةٍ، تُؤَدِّيهَا فِي دَقِيقَةٍ أَوْ دَقِيقَتَيْنِ.

المثال الثاني: صلاة الجماعة تختلف عن صلاة الفرد، فهذا الإنسان الذي يُصَلِّي مُفْرَدًا، تختلف صَلَاتُهُ إِذَا صَلَّى فِي جَمَاعَةٍ، جَاءَ فِي «مُوطَأَ الْإِمَامِ مَالِكٍ» مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ الْفَرْدِ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً»^(٢).

فَلَوْ تَصَوَّرْنَا إِنْسَانًا يُصَلِّي سَنَةً كَامِلَةً بِمُفْرَدِهِ، وَآخَرَ يُصَلِّي سَنَةً كَامِلَةً فِي جَمَاعَةٍ، فَهَذَا أَفْضَلُ مِنْهُ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً.

(١) أخرجه أحمد (٣/٣٤٣)، وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في فضل الصلاة في المسجد الحرام، رقم (١٤٠٦).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١/١٢٩)، رقم (١)، والبخاري: كتاب الأذان، باب فضل صلاة الجماعة، رقم (٦٤٥)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة، رقم (٦٥٠).

فالعاقل هو الذي يستثمر هذه الحسنات، هل تعلم أن الذي يُصلي في المسجد المكتوبة كم أعد الله له من الأجر؟
 جاء في «سنن أبي داود» من حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ مُتَطَهِّرًا إِلَى صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ، فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْحَاجِّ الْمُحْرِمِ»^(١).
 وفي يوم الجمعة، هل تدري كم يجمع الإنسان من الحسنات، إذا جاء إلى الجمعة بأدائها؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ غَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاعْتَسَلَ»، هذا الأدب الأول،
 «ثُمَّ بَكَرَ وَابْتَكَّرَ»، أي: جاء مبكرًا، «وَدَنَا مِنَ الْإِمَامِ، فَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ
 خُطْوَةٍ عَمَلٌ سَنَةٍ أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا»^(٢) فلا يستوي ميزان هذا وذلك.
 الباب الثالث: الصدقات، وهو أيضًا بابٌ كبيرٌ، وفيه من المسائل الشيء الكثير،
 ولكن أذكر واحدة تتناسب مع هذا الحال الذي نحن بصدده، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
 «مَنْ فَطَرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ»^(٣).

(١) أخرجه أحمد (٢٦٨/٥)، وأبو داود: كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل المشي إلى الصلاة، رقم (٥٥٨).

(٢) أخرجه أحمد (٩/٤)، وأبو داود: كتاب الطهارة، باب في الغسل يوم الجمعة، رقم (٣٤٥)،
 والترمذي: كتاب الجمعة، باب ما جاء في فضل الغسل يوم الجمعة، رقم (٤٩٦)، والنسائي:
 كتاب الجمعة، باب فضل غسل يوم الجمعة، رقم (١٣٨١)، وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة،
 باب ما جاء في الغسل يوم الجمعة، رقم (١٠٨٧)، من حديث أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد (١١٤/٤)، والترمذي: كتاب الصوم، باب ما جاء في فضل من فطر صائمًا، رقم (٨٠٧)،
 وابن ماجه: كتاب الصيام، باب في ثواب من فطر صائمًا، رقم (١٧٤٦)، من حديث
 زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه.

فإذا صمَّتْ شهرًا، صامَ المتصدِّقُ شهرًا بصيامِهِ، وشهرًا بصيامِ مَنْ فطَّرَ،
فيأتي بشهرين، وتأتي بشهرٍ واحدٍ.

وهناك مَنْ يعيشُ معنا، ويُصليُّ بيننا يُفطرُ يومياً أكثرَ مِنَ الْفَيِّ صائمٍ، عرفَ
كيفَ يَستثمرُ، نأتي نحنُ بشهرٍ، ويأتي هوَ بِالْفَيِّ شهرٍ.

البابُ الرابعُ: حسنُ تلاوتِكَ للقرآنِ الكريمِ، الَّذي لا تَنقُضي عَجائِبُهُ، قالَ
رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا
أَقُولُ: ﴿التَّ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَا مٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»^(١).

وَكَمْ فِي كِتَابِ اللهِ مِنَ الْحَسَنَاتِ؟ فاملاً ميزانَ حَسَنَاتِكَ بِحُسْنِ تِلَاوَتِكَ،
واعرفَ مِنْ أَيْنَ تُؤَكِّلُ الْكِتْفَ.

خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ على الصَّحَابَةِ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ فَقَالَ: «أَيَعِجْزُ أَحَدُكُمْ أَنْ
يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟»، قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ:
«قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ» ﴿تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ﴾^(٢).

كَمْ مِنَّا مَنْ يَعْرِفُ هَذِهِ الْمَعْلُومَةَ وَاسْتِفَادَ مِنْهَا؟
فإنَّ قَالِ قَائِلٌ: إِذَنْ نُكْثِرُ. قُلْنَا: اللهُ أَكْثَرُ. قالها قبلكَ عمرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَدْ قَالَ
رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَدِيثٍ: «مَنْ قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ عَشْرَ مَرَّاتٍ حَتَّى يَخْتِمَهَا؛

(١) أخرجه الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر،
رقم (٢٩١٠)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، رقم (٨١١)، من
حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

بَنَى اللَّهُ لَهُ قَصْرًا فِي الْجَنَّةِ»، وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَالِسٌ يَسْمَعُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا نَسْتَكْثِرُ، قَالَ: «اللَّهُ أَكْثَرُ وَأَطْيَبُ»^(١).

فالعاقل هو الذي يَمَلَأُ ميزانَ حَسَنَاتِهِ، ويستغلُّ مثلَ هذهِ النِّفحاتِ المباركاتِ.

البابُ الخَامِسُ: ثَقُلَ مِيزَانُ حَسَنَاتِكَ بِأَذْكَارِكَ، فَالذُّكْرُ بَابٌ عَظِيمٌ مِنْ أَبْوَابِ الحَسَنَاتِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَلِمَتَانِ حَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ»^(٢).

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ: «بَخٍ بَخٍ»، وَأَشَارَ بِيَدِهِ «بِحَمْسٍ» قَالَ: «مَا أَنْقَلَهِنَّ فِي المِيزَانِ»، أَي: تَخْتَلَفُ عَنْ بَقِيَةِ الحَسَنَاتِ «سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَالوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى لِلْمَرْءِ المُسْلِمِ فَيَحْتَسِبُهُ»^(٣).

وَذَاتَ يَوْمٍ جَلَسَ الصَّحَابِيُّ الجَلِيلُ أَبُو أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ ﷺ فَأَبْصَرَهُ ﷺ يُحَرِّكُ شَفْتَيْهِ، فَقَالَ: «يَا أَبَا أَمَامَةَ، مَا تَقُولُ؟»، قَالَ: أَذْكَرُ اللَّهُ. قَالَ: «أَفَلَا أَذْكَرُكَ عَلَى مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْ ذِكْرِكَ اللَّهُ اللَّيْلَ مَعَ النَّهَارِ؟»، أَي: ذَكَرْتُ وَاحِدًا أَكْثَرُ مِنْ ذِكْرِكَ اللَّهُ اللَّيْلَ مَعَ النَّهَارِ «تَقُولُ: الحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِلءَ مَا

(١) أخرجه أحمد (٤٣٧/٣)، من حديث معاذ بن أنس الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾، رقم (٧٥٦٣)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم (٢٦٩٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد (٤٤٣/٣)، من حديث أبي سلام، عن مولى رسول الله ﷺ - ولم يسمه. وأخرجه ابن حبان في صحيحه رقم (٨٣٣)، وسماه: أبا سلمى راعي رسول الله ﷺ.

خَلَقَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِْلَاءٌ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِْلَاءٌ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِْلَاءٌ كُلِّ شَيْءٍ، وَتُسَبِّحُ اللَّهُ مِثْلَهُنَّ، تُعَلِّمُهُنَّ وَعَلَّمَهُنَّ عَقِبَكَ مِنْ بَعْدِكَ»^(١).

ذِكْرٌ لَوْ حَفِظَهُ الْإِنْسَانُ وَرَدَّدَهُ كَمَا يَكُونُ لَهُ مِنَ الْحَسَنَاتِ!

وَذَاتَ مَرَّةٍ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْفَجَرَ وَدَخَلَ بَيْتَهُ، فَوَجَدَ جُوَيْرِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَدْ صَلَّتِ الْفَجَرَ وَتَذَكَّرُ اللَّهَ، تُرَدِّدُ ذِكْرًا، ثُمَّ خَرَجَ عَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ فِي حَوَائِجِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى مَضَى الضُّحَى، ثُمَّ رَجَعَ فَوَجَدَ جُوَيْرِيَةَ فِي مَكَانِهَا، لَا زَالَتْ تَذَكَّرُ اللَّهَ، وَقَدْ تَنَاصَفَ النَّهَارُ، فَقَالَ: «لَا زَلَّتْ عَلَيَّ الْحَالِ الَّتِي تَرَكْتِكِ عَلَيْهَا؟»، قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ ﷺ: «لَقَدْ قُلْتِ بَعْدَكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مِنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضًا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمَدَادَ كَلِمَاتِهِ»^(٢).

فَالْعَاقِلُ هُوَ الَّذِي يَعْرِفُ هَذِهِ الْأَذْكَارَ وَيَمْلَأُ بِهَا مِيزَانَ حَسَنَاتِهِ.

وَقَالَ أَيضًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً»^(٣).

هَكَذَا يَسْتَثْمِرُ الرَّاشِدُونَ أَوْقَاتَهُمْ، وَأَيَّامَهُمْ، وَلِيَالِيَهُمْ، بِمِْلَاءِ مَوَازِينِ

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه رقم (٧٥٤)، وابن حبان في صحيحه رقم (٨٣٠)، والطبراني

في المعجم الكبير (٨/٢٣٨، رقم ٧٩٣٠)، وأخرجه بنحوه أحمد (٥/٢٤٩).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التسييح أول النهار وعند النوم،

رقم (٢٧٢٦).

(٣) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين رقم (٢١٥٥)، من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حَسَنَاتِهِمْ بِمَا يَنْفَعُهُمْ حِينَمَا يَقُومُونَ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِمْ.

الباب السادس: ثَقُلَ مِيزَانُ حَسَنَاتِكَ بِاتِّبَاعِ جَنَازَةِ مَنْ مَاتَ مِنْ إِخْوَانِكَ، فَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَالصَّلَاةُ عَلَيْهَا تُمَلَأُ بِهَا الْمَوَازِينُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَبِعَ جَنَازَةً حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَيْهَا وَيُفْرَغَ مِنْهَا؛ فَلَهُ قِيرَاطَانِ، وَمَنْ تَبِعَهَا حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ»، ثُمَّ قَالَ ﷺ، وَهَذَا هُوَ الشَّاهِدُ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لُهو أَثْقَلُ فِي مِيزَانِهِ مِنْ أَحَدٍ»^(١).

وَإِذَا كُنْتَ تَعْرِفُ جِبَلٌ أَحَدٌ تَصَوَّرْتَ هَذَا الثَّقَلَ، فَجِبَلٌ أَحَدٌ يَمْتَدُّ طَوْلُهُ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعَةِ كِيلُو مِترَاتٍ، وَعَرْضُهُ تَقْرِيبًا ثَلَاثَةَ كِيلُو مِترَاتٍ، يَأْتِي هَذَا كُلُّهُ فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِكَ، بَلْ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ إِذَا اتَّبَعْتَ جَنَازَةً، فَإِذَا اتَّبَعْتَهَا وَصَلَّيْتَ عَلَيْهَا وَفُرِّغَ مِنْ دَفْنِهَا جِئْتَ بِقِيرَاطَيْنِ مِنَ الْأَجْرِ، كُلُّ ذَلِكَ فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِكَ. فَإِذَا فَعَلْتَ هَذَا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا تُرِيدُ بِهِ ثَنَاءً مِنْ أَحَدٍ، وَلَا رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً، أَبَشِرْ بِهَذَا الْخَيْرِ الَّذِي ذُكِرَ.



(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٥/١٣١)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



(٢٢)

حقيقة الصوم



الصيامُ له معنى في لغة العرب، وهو الإمساكُ عن فعلِ الشيء، فإذا أمسَكَ أحدٌ عن فعلِ شيءٍ قالوا: صائمٌ. سواءً أمسَكَ عن الحركة، أو عن القول، أو عن الأكل؛ لذا نقرأ في قولِ مريمَ **عَلَيْهَا السَّلَامُ** في قولِ الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾** [مريم: ٢٦].

فحينما نذرتِ الصيامَ لم تقصِدْ بذلك الإمساكَ عن الطعام، وإنما قصدتِ الإمساكَ عن الكلام، وهذا معروفٌ ومشهورٌ في لغة العرب، فالخيلُ المتحركة يُقالُ لها: غيرُ صائمةٍ. والخيلُ التي في مربطها لا تتحركُ يقولون عنها: صائمةٌ. وهكذا أنشدَ النابغةُ قال:

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ تَحْتَ الْعَبَاجِ وَأُخْرَى تَعْلِكُ اللَّجْمًا^(١)

واللهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أرادَ مِنَّا بالصيامِ الإمساكُ، ولكن ليسَ الإمساكُ عن الطعام، والشرابِ فحسبُ، وإنما إمساكنا عن الطعامِ والشرابِ مرتبةً أولى إلى مراتبٍ مُتقدمة، أذكرُ لكم بعضَ الأمورِ التي أرادنا اللهُ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** أن نُمسِكَ عنها،

(١) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٦/٢)، وتفسير الطبري (٣/١٥٢)، والصحاح للجوهري (١٩٧٠/٥).

وجعل من شهر الصيام دورة نتدرب فيها، وميداناً نروض فيه نفوسنا:
النوع الأول: الإمساك عن إيذاء الآخرين، سواء كان هذا الآخر والدك، أو والدتك، أو زوجتك، أو أولادك، أو زملاءك، أو كانوا من الإنس، أو من الجن، أو من البهائم.

دل على ذلك حديث أورده الإمام البخاري **رَحِمَهُ اللهُ** في كتابه «الأدب المفرد»: **«قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ فُلَانَةً تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ، وَتَفْعَلُ وَتَصَدِّقُ»**.
أربع فضائل، كل فضيلة أعظم من الأخرى، قائمة، صائمة، فاعلة للخير، مُتَصَدِّقَةٌ، وفي عرفنا هذه يُشار إليها بالتدئين، هذا في كفة؛ **«وَتُوذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا؟»** هذا في الكفة الأخرى، قال رسول الله **ﷺ**: **«لَا خَيْرَ فِيهَا، هِيَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»**^(١).

أين القيام، والصيام، وفعل الخيرات، والصدقات؟ جاء هذا اللسان وهذا الفعل المؤذي فأذهب كل هذا.

فحينئذ نمسك عن الطعام والشراب فهي مرتبة أولى لمراتب مُتَقَدِّمَةِ فَأَمْسِكُ عَنْ إِيْذَاءِ الْآخَرِينَ، بأي نوع من الإيذاء، سواء الإيذاء البدني، أو النفسي، أو العقلي، فقد قال الحق **سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا**
اَكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

يأتون يوم القيامة قد حملوا البهتان، والإثم، فقد جاء في «سنن الترمذي» أن

(١) أخرجه أحمد (٤٤٠/٢)، والبخاري في الأدب المفرد رقم (١١٩)، من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

ابن عمر رضي الله عنهما قال: صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فنأدى بصوت رفيع فقال: «يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيروهم، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله»^(١).

وجاء في «صحيح مسلم»، أن أبا ذر رضي الله عنه قال: يا رسول الله، أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ أي: شرائع الدين كثيرة، وأبواب الخيرات والإحسان كثيرة، وبعضها لا أستطيع أن آتيه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك»^(٢).

وكم من البيوت اليوم يتأذى أهلها من راعي البيت، فإذا دخل البيت تعودت الزوجة والأولاد بالله من شره، وكم نعرف من المصلين من إذا دخل المسجد تعود المصلون من شره! فهو مؤذٍ، فما الفائدة من صيامه؟ وكم نعرف من الناس أن هذا طبعه؟ وكم نعرف من الجيران من لا شغل له إلا إيذاء جاره؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره»^(٣).

(١) أخرجه الترمذي: كتاب البر والصلوة، باب ما جاء في تعظيم المؤمن، رقم (٢٠٣٢).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، رقم (٨٤).

وأخرجه بنحوه البخاري: كتاب العتق، باب أي الرقاب أفضل، رقم (٢٥١٨).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، رقم

(٦٠١٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، رقم (٧٥ / ٤٧)، من

حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد يكونُ هذا الأذى أبعدَ مما نتصورُ:

ففي «سُنن أبي داود» من حديثِ أبي سعيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «اعْتَكَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، وَكَانَتْ عَادَتُهُ إِذَا اعْتَكَفَ فِي الْمَسْجِدِ بُنِيَ لَهُ خِيبَاءٌ» أَي: خِيْمَةٌ صَغِيرَةٌ تَسَعُهُ بِمُفْرَدِهِ، «فَاعْتَكَفَ الصَّحَابَةُ مَعَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَسَمِعَهُمْ يَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ بِالْقِرَاءَةِ، فَكَشَفَ السُّتْرَ ﷺ وَقَالَ: «أَلَا إِنَّ كَلَّكُمْ مُنَاجِ رَبِّهِ، فَلَا يُؤْذِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَلَا يَرْفَعَنَّ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْقِرَاءَةِ»^(١).

فحينما ترفعُ صوتك بالقرآنِ فتشغِبُ على مَنْ هُوَ بِجَانِبِكَ هذا نوعٌ من الأذى، فكيفَ بالَّذي يُؤْذِي جَارَهُ، وصاحِبَهُ بأشياءٍ أُخرى!؟

وكذلكَ إمامُ المسجدِ، حينما يَنْصَحُهُ جيرانُهُ أن يَخْفِضَ صوتَ مُكَبِّرِ الصوتِ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْنُونَ بِذَلِكَ كَرَاهِيَتَهُمَ لِلْقُرْآنِ، لَكِنْ هَذَا نَوْعٌ مِنَ الْأَدْبِ، فكيفَ بالَّذي يرفعُ صوتَ الموسيقى، أو يَغْسُلُ سيارتَهُ على الأغانِي أو على قرآنٍ!؟ هذا نوعٌ مِنَ الْأَذَى وَحَرِيٌّ بِكَ أَنْ تَرْتَفِعَ عَن ذَلِكَ.

وقَدْ قَالَ الْفَارُوقُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَيْسَ الصِّيَامُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَحْدَهُ، وَلَكِنَّهُ مِنَ الْكُذْبِ، وَالْبَاطِلِ، وَاللَّغْوِ وَالْحَلْفِ»^(٢).

وقال جابرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِذَا صُمْتَ فَلْيَصُمْ سَمْعُكَ، وَبَصْرُكَ، وَلِسَانُكَ عَنِ الْكُذْبِ وَالْمَائِثِمْ، وَدَعْ أَذَى الْخَادِمِ، وَلْيَكُنْ عَلَيْكَ وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ يَوْمَ صِيَامِكَ،

(١) أخرجه أحمد (٣/٩٤)، وأبو داود: كتاب الصلاة، باب في رفع الصوت بالقراءة، رقم (١٣٣٢).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف رقم (٨٩٧٥)، والبيهقي في الشعب رقم (٣٣٧٣).

وَلَا تَجْعَلْ يَوْمَ فَطْرِكَ وَيَوْمَ صِيَامِكَ سَوَاءً»^(١).

النوع الثاني: الإمساكُ عن قولِ الباطلِ، فقد قالَ لنا رسولُ الله ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلِ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»^(٢).

فاللهُ في غنى عن طاعتنا، ولا تضرُّه معصيتنا، ولكنَّ المقصودَ بقوله: «فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ» أنَّ مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلِ بِهِ عَمَلُهُ غَيْرٌ مَقْبُولٌ، وَكَمْ نَعْرِفُ مِنَ الصَّائِمِينَ مِمَّنْ يَقُولُ الْبَاطِلَ وَالْكَذِبَ، وَالْبُهْتَانَ، وَيَحْمِلُ النَّمِيمَةَ، وَيَقُولُ الْغَيْبَةَ، وَيَفْتَرِي عَلَى فُلَانٍ، وَعَلَى فُلَانٍ، وَيَدْخُلُ هَذَا الْمَجْلِسَ فَيَتَكَلَّمُ فِي فُلَانٍ، وَيَدْخُلُ ذَاكَ الْمَجْلِسَ فَيَتَكَلَّمُ فِي فُلَانٍ، وَيَرْمِي هَذَا بِالْبُهْتَانِ، وَهَذَا بِالْكَذِبِ.

وَكَمْ نَعْرِفُ مِمَّنْ اسْتَعْلَلَ وَسَائِلَ التَّوَأُّصِلِ وَطَعَنَ فِي سُمْعَةِ الْآخِرِينَ، وَاتَّهَمَهُم بِالْبَاطِلِ، وَرَوَّجَ فِي حَقِّهِم الْأَبَاطِيلَ؟ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١١٢].

وقال رسولُ الله ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمٌ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَجْهَلْ، وَإِنْ جَهِلَ عَلَيْهِ أَحَدٌ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ»^(٣)، أي: أحلِّق في فضاءٍ غيرِ فضائك.

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرفائق (١/٤٦١، رقم ١٣٠٨)، وابن أبي شيبة في المصنف رقم (٨٩٧٣)، والبيهقي في الشعب رقم (٣٣٧٤).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور، رقم (١٩٠٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد (٢/٢٨٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأخرجه بنحوه البخاري: كتاب الصوم، باب فضل الصوم، رقم (١٨٩٤)، ومسلم: كتاب الصيام، باب حفظ اللسان للصائم، رقم (١١٥١).

كَمَا قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:
 يُحَاطِبُنِي السَّفِيهُ بِكُلِّ قُبْحٍ فَأَكْرَهُ أَنْ أَكُونَ لَهُ مُجِيبًا
 يَزِيدُ سَفَاهَةً فَأَزِيدُ حِلْمًا كَعُودٍ زَادَهُ الْإِحْرَاقُ طِيبًا^(١)

وحيثما يدخل شهر رمضان يريد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنَّا أَنْ نَتَرَبَّى فِيهَا عَلَى أَنْ نَكُونَ نَحْنُ أَسْيَادَ هَذَا اللِّسَانِ، لَا يَكُونُ عَلَيْنَا سَيِّدًا.

النوع الثالث: الإمساك عن الشهوة المحرمة، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ»^(٢).

فالصوم يحول بينك وبين الشهوة، واجعل هذا ديدنك في رمضان، وغيره من الشهور، وأمسك -بمعنى الصيام اللغوي عن الشهوات كما تمسك عن حليلتك في نهار رمضان، فحليلتك بجانبك ست ساعات ولا تمتد إليها يدك؛ لئلا تجرح صيامك وتفسده، فكيف تفسد دينك بعد ذلك؟! وكيف يفسد العبد دينه حينما يقع في فاحشة الزنا الذي قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيهِ: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(٣) [الإسراء: ٣٢]!؟

(١) ديوان الشافعي (ص: ٣٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج»، رقم (٥٠٦٥)، ومسلم: كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تآقت نفسه إليه ووجد مؤنه، رقم (١٤٠٠)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فالإسلام يُربينا أن نتحكّم في غرائزنا، وإلا فقد قال الأوّل، وتُنسبُ هذه الأبياتُ للشافعيّ رَحِمَهُ اللهُ:

عُفُوا تَعَفَّ نِسَاؤُكُمْ فِي الْمَحْرَمِ وَتَجَنَّبُوا مَا لَا يَلِيقُ بِمُسْلِمٍ
 إِنَّ الزَّانَا دَيْنٌ فَإِنْ أَقْرَضْتَهُ كَانَ الْوَفَا مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ فَاعْلَمْ
 مَنْ يَزِنُ يُزَنَ بِهِ وَلَوْ بِجِدَارِهِ إِنْ كُنْتَ يَا هَذَا لَبِيبًا فَافْهَمْ
 مَنْ يَزِنُ فِي قَوْمٍ بِالْفِي دِرْهَمٍ فِي أَهْلِهِ يُزْنَى بِرُبْعِ الدَّرْهَمِ^(١)

النوعُ الرابعُ: الإمساكُ عن أكلِ الحرامِ، ففي رمضانَ تُمسكُ عن أطايبِ الطعامِ، وتَحَسَّسُ مِنْ قِطْرَةٍ دَخَلَتْ فِي جَوْفِنَا بِغَيْرِ قَصْدٍ، فَتَذْهَبُ نَسْتَفْتِي عَنْهَا الدُّعَاةَ وَالْعُلَمَاءَ، وَلَا نَسْتَفْتِي عَنْ لُقْمِ الْحَرَامِ! وهذا إشكالٌ كبيرٌ، فرمضانُ يُربِّي فينا أن تُكفَّ أيدينا عن الحرامِ، فلا نُدخِلُ في أجوافنا ولا أجوافِ أبنائنا سُحتًا، قال اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِيَتِمِّ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

وقال رسولُ اللهِ ﷺ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لَا يُبَالِي الْمَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ» أي: مِنْ الْمَالِ، «أَمِنَ الْحَلَالَ أَمْ مِنْ الْحَرَامِ»^(٢)؛ فأهْمُ شَيْءٍ أَنْ يُدْخَلَ أَمْوَالًا، وَيَرْتَفَعَ رَصِيدُهُ، وَأَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ كَذَا وَكَذَا!!

(١) ديوان الشافعي (ص: ٩٤)، وكشف الخفاء للعجلوني (٢/ ٧١).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب من لم يبال من حيث كسب المال، رقم (٢٠٥٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وقال رسول الله ﷺ: «كُلُّ جَسَدٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ» أي: من حرام، «فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ»^(١).

وليس بالضرورة أكل الحرام أن تَسْرَقَ مَتَجَرًّا أو أن تَسْرَقَ مِنْ جَيْبِ صَاحِبِكَ، لَكِنْ أَكُلَ الحرامِ لَهُ صُورٌ مُتَعَدِّدَةٌ، وَهِيَ حَيْلٌ.

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ» سِوَاءُ بِيَمَانِهِ، أَوْ بِيَمِينِهِ الَّتِي يَحْلِفُ بِهَا هُنَاكَ فِي المَحْكَمَةِ حِينَما يَشْهَدُ شَهَادَةَ الزورِ وَيَقُولُ: نَعَمْ رَأَتْ عَيْنِي. وَعَيْنُهُ لَمْ تَرَ. أَوْ يَقُولُ: أَعْلَمُ أَنَّ هَكَذَا حَصَلَ. وَهُوَ لَا يَعْلَمُ «فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا، يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَإِنْ قَضِيًّا مِنْ أَرَاكَ»^(٢).

فَرَمَضَانُ يُرَبِّينَا عَلَى الإِمْسَاكِ عَنِ إِذْيَاءِ الآخَرِينَ، وَقَوْلِ الباطِلِ، وَشَهْوَةِ فِي حَرَامٍ، وَتَقْمَةِ حَرَامٍ.



(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٤/١٢٧)، وأبو نعيم في الحلية (١/٣١)، والبيهقي في الشعب رقم (٥٣٧٥)، من حديث أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم، رقم (١٣٧)، من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.



(٢٣)

انتبهوا من مصيدة المسكرات وفخ المخدرات



إِنَّ مِنَ الْمَصَائِدِ وَالْفِخَاخِ الَّتِي يَصْطَادُ بِهَا أَهْلُ الشَّرِّ أَبْنَاءَنَا وَبَنَاتِنَا مَصِيدَةَ الْمُسْكَرَاتِ وَفَخِّ الْمَخْدُرَاتِ، فَكَمْ نَعْرِفُ مِمَّنْ وَقَعَ فِي هَذِهِ الْمَصَائِدِ وَالْفِخَاخِ، فَكَانَتْ نَتِيجَةُ ذَلِكَ الْوُقُوعِ دَمَارًا شَامِلًا فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، فِي حَيَاتِهِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَةِ؟ وَكَمْ نَعْرِفُ مِمَّنْ وَقَعَ فِي آفَةِ الْخَمْرِ وَالْمَخْدُرَاتِ فَدَمَّرَ حَيَاتَهُ وَحَيَاةَ أُسْرَتِهِ حَتَّى أَنْهَاهَا بِالطَّلَاقِ، وَتَشَتَّتَ الْأَوْلَادُ، أَوْ هُوَ الْآنَ مُغَيَّبٌ فِي غِيَاهِبِ السُّجُونِ، فَخَسِرَ أَهْلَهُ، وَسُمِعَتْهُ، وَكَرَامَتَهُ، وَحُرَيْتَهُ، أَوْ فَقَدَ عَقْلَهُ، وَمُرُوءَتَهُ، وَكَرَامَتَهُ فَآتَى مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ مَا يَنْدَى لَهُ الْجَبِينُ؟

وَكََمْ تَعْرِفُونَ مِنْ شَابٍّ مَاتَ فِي حَادِثٍ أَوْ فِي غَيْرِهِ وَهُوَ سَكَرَانٌ، أَوْ مُتَعَاظٍ لِلْمَخْدُرَاتِ، ثُمَّ قُدَّمَ بَيْنَ يَدَيْ الْمَغْسَلِ، فَغَسَّلَهُ وَكَفَّنَهُ ثُمَّ قَدَّمَهُ لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَدْخَلَ قَبْرَهُ وَبَطْنَهُ مَمْلُوءَةً بِالْخَمْرِ، وَفِي عُرُوقِهِ أَثْرٌ مَا شَرِبَ مِنَ الْمَخْدُرَاتِ؟! وَلَمَّا سُئِلَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هَلْ شَرِبْتَ خَمْرًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ. قَالُوا: وَلَمْ ذَاكَ؟ قَالَ: أَصُونُ عِرْضِي، وَأَحْفَظُ مُرُوءَتِي؛ لِأَنَّهُ مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ كَانَ لِعِرْضِهِ وَمُرُوءَتِهِ مُضَيِّعًا»^(١).

(١) أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (١/٣٣)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٠/٣٣٣).

إِنَّهَا مَصِيدَةُ الْأَعْدَاءِ، وَفِخَاخُ الشَّرِّ، قَالَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩٠].

وإني أذكرُ هذا ليحمدَ المعافى من هذه الآفةِ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى على هذه النعمة، أمّا من وقع في هذه الآفة، فأبعث إليه بهذه الرسائل، وهي رسائلُ محبِّ، ناصِح، مُشفق:

الرسالة الأولى: اجتنبوا الخمرَ فإنَّها مفتاحُ كلِّ شرٍّ، وهي أمُّ الفواحشِ، وأمُّ الخبائثِ، وأكبرُ الكبائرِ، أربعُ صفاتٍ ذكرها رسولُ اللهِ ﷺ ومَن جاء بعده، فقد قال رسولُ اللهِ ﷺ في حديثِ أبي الدرداءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عِنْدَ ابْنِ مَاجَهَ: «لَا تَشْرَبِ الْخَمْرَ فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ»^(١).

وهي البابُ الأوَّلُ لبقيةِ أبوابِ الشرورِ، فإذا فتحتَ البابَ الأوَّلَ انفتحتَ عليك بقيةُ الأبوابِ، وفي حديثِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عِنْدَ الطبرانيِّ في «معجمه الكبير» قال رسولُ اللهِ ﷺ: «الْخَمْرُ أُمُّ الْفَوَاحِشِ، وَأَكْبَرُ الْكِبَائِرِ، مَنْ شَرِبَهَا وَقَعَ عَلَى أُمَّهِ وَحَالَتِهِ وَعَمَّتِهِ»^(٢)؛ لآنه فاقدٌ للعقل.

وقال عثمانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ؛ فَإِنَّهَا أُمُّ الْخَبَائِثِ»^(٣).

(١) أخرجه ابن ماجه: كتاب الأشربة، باب الخمر مفتاح كل شر، رقم (٣٣٧١).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/١٦٤، رقم ١١٣٧٢)، والدارقطني في السنن (٢٤٧/٤).

(٣) أخرجه النسائي: كتاب الأشربة، باب ذكر الآثام المتولدة عن شرب الخمر، رقم (٥٦٦٦).

فالعاقل من يتدبر هذه الأحاديث الثلاثة التي تذكر الصفات الحقيقية للخمر والمخدرات وغيرها، ويعرف أن كل ما أسكر فهو من أم الخبائث، وأم الفواحش وأكبر الكبائر، وهو مفتاح كل شر.

الرسالة الثانية: اعلم أن الخمر تمنع من دخول الجنة، وهذا أمر عظيم وخطير جسيم حينما يقول النبي ﷺ: «وثلثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن على الخمر، والمنان بما أعطى»^(١).

فالعاق لوالديه، ومدمن الخمر، والمنان يتوعددهم رسول الله ﷺ بعدم دخول الجنة.

وفي حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة مدمن خمر»^(٢).

فهذا الذي يموت ولم يحقق توبة من تعاطيه للخمر والمخدرات قال عنه رسول الله ﷺ كما جاء عند الطبراني في «معجمه الأوسط» من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «ما من أحد يشربها فتقبل له صلاة أربعين ليلة» وهي المدة الكافية لبقاء مادة الخمر والمخدرات في الجسم، تجب عليه الصلاة ويصلي، لكن صلاته غير مقبولة. الشطر الثاني: «ولا يموت وفي مثنائه منها شيء إلا حرمت عليه الجنة» الشطر الثالث: «وإن مات في الأربعين مات ميتة جاهلية»^(٣).

(١) أخرجه أحمد (١٣٤/٢)، والنسائي: كتاب الزكاة، باب المنان بما أعطى، رقم (٢٥٦٢)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أحمد (٤٤٠/٦)، وابن ماجه: كتاب الأشربة، باب مدمن الخمر، رقم (٣٣٧٦).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط رقم (٣٦٣)، والحاكم في المستدرک (١٤٧/٤).

فإن كنت قد عافاك الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** من هذه الآفة فاحمد الله، وادع لمن ابتلاه الله بهذه الآفة وبلي نفسه بذلك، وإن كنت ممن وقع في هذه الآفة فاعلم أن الأمر خطيرٌ وجللٌ.

الرسالة الثالثة: لا تقل كما يقول بعض الناس: «إن مت وأنا على هذه الحال قام أهلي من بعدي بينون لي مسجداً، أو يحفر أصحابي لي بئراً». فأنت الآن في مرحلة الإمهال، وباب التوبة مفتوح، ولا يدري العبد، فلعله يسلب منه الإيمان. قال ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: «لَمَّا حُرِّمَتِ الْخَمْرُ مَشَى الصَّحَابَةُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ يَقُولُونَ: حُرِّمَتِ الْخَمْرُ وَجُعِلَتْ عَدْلًا لِلشُّرْكِ»^(١).

لأن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** قَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة: ٩٠].

وكذلك قال رسول الله **ﷺ** في حديث ابن عباس عند الطبراني في «معجمه الكبير»: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَشْرِبِ الْخَمْرَ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلَا يَجْلِسُ عَلَى مَائِدَةٍ يُشْرَبُ عَلَيْهَا الْخَمْرُ»^(٢). لأن هذا يتنافى مع الإيمان، ولا يقل: هذا غداء رسمي أو عشاء رسمي، ويفترض علي أن أشرب مع الحاضرين!

بل قال رسول الله **ﷺ** كما جاء في «صحيح البخاري» من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرِبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرِبُ وَهُوَ

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣٧/١٢)، رقم (١٢٣٩٩)، والحاكم في المستدرک (٤/١٤٤).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/١٩١)، رقم (١١٤٦٢).

مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ»^(١).

وقال أيضًا ﷺ: «مُدْمِنُ الْخَمْرِ كَعَابِدِ الْوَتَنِ، وَمُدْمِنُ الْخَمْرِ كَعَابِدِ اللَّاتِ وَالْعُزَّى»^(٢)، فلا يدري الإنسان إذا مات وهو على هذه الحالة، أينفعه ما يفعل له من بعده.

فالعاقل هو الذي يتنبه ما دام في ساعة الإمهال، فلا يدري لعلها تكون هذه اللحظة الأخيرة، أو الساعة الأخيرة، أو اليوم الأخير الذي يكون له في الدنيا وهو يتعاطى الخمر أو المخدرات.

الرسالة الرابعة: اجتنبوا الخمر؛ فبسببها تنزل اللعنات، فقد جاء عند أبي داود من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لَعَنَ اللَّهُ الْخَمْرَ، وَشَارِبَهَا، وَسَاقِيَهَا، وَبَائِعَهَا، وَمُبْتَاعَهَا، وَعَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ»^(٣).

كل هؤلاء ملعونون على لسان رسول الله ﷺ، فالعاقل هو الذي يُبعد نفسه عن هذه اللعنات، فالذي لعن هو رسول الله ﷺ ولعنته دعاء، ودعاؤه مُستجاب؛ فتُنزل عليه اللعنات.

(١) أخرجه البخاري: كتاب المظالم والغصب، باب النهي بغير إذن صاحبه، رقم (٢٤٧٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب نقصان الإيمان بالمعاصي، رقم (٥٧).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف رقم (١٧٠٦٤)، والخلال في السنة رقم (١٣١٣)، عن مسروق بن الأجدع، من قوله.

(٣) أخرجه أحمد (٩٧/٢)، وأبو داود: كتاب الأشربة، باب العنب يعصر للخمر، رقم (٣٦٧٤)، وابن ماجه: كتاب الأشربة، باب لعنت الخمر على عشرة أوجه، رقم (٣٣٨٠).

فلا تَكُنْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْعَشْرَةِ، لَا شَارِبَهَا، وَلَا سَاقِيَهَا، وَلَا بَائِعَهَا -بِأَيِّ صُورَةٍ
 مِنْ صُورِ الْبَيْعِ، فَلَا يَكُنْ لَكَ عَقَارٌ مُؤَجَّرٌ يُبَاعُ فِيهِ الْخَمْرُ، أَوْ يُدَارُ فِيهِ، أَوْ يُتَعَاطَى
 فِيهِ - أَوْ مُبْتَاعَهَا، أَوْ عَاصِرَهَا، أَوْ مُعْتَصِرَهَا، أَوْ حَامِلَهَا، أَوْ مَحْمُولَةً إِلَيْهِ، أَوْ آكَلَ
 ثَمَنِهَا.

هَذِهِ وَصَايَا وَنَصَائِحُ بَعَثَتْ بِهَا مِنْ قَلْبٍ نَاصِحٍ مَحَبِّ مَشْفِقٍ، أَسْأَلُ الْمَوْلَى
 تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ لَهَا الْقَبُولَ فِي كُلِّ قَلْبٍ.





(٢٤)

حلاوة الطاعة



قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَأِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[النحل: ١٨].

ونعم الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** علينا كثيرة، والآؤه تترى، وإن من نعم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** علينا نعمة قد لا نشعر بها، ولا يشعر بها إلا الخُلص من الناس والمقربون منهم، وهي أن تجد للطاعة لذة، وللإيمان طعمًا، وللعمل الصالح حلاوة وانسراحًا في صدرك؛ فحينما تُصلي تُصلي وأنت تتلذذ بهذه الصلاة، وحينما تُزكي وتُخرج مالك تجد انسراحًا في قلبك، وهذه نعمة من أعظم النعم، وحينما تَجتهد في اجتناب المنكر وتصرف نفسك صرفًا عن المعاصي إذا وجدت في نفسك انسراحًا وحلاوة ولذة فاعلم أنك قد نعمت بأعظم النعم.

قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ

حَيَوَةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ** في تفسير هذه الآية: «قال ابن عباس: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوَةً

طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] إنها السعادة». ثم قال: «وقال الضحَّاك **رَحِمَهُ اللَّهُ**: هي العمل

بالطاعة والانسراحِ بها»^(١).

وهي التي قال الله فيها في سورة الأنعام: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وقد أخبرنا رسول الله ﷺ أن للإيمان طعمًا يتذوق، وللعملِ الصالحِ حلاوة، فقد قال ﷺ: «ذاق طعمَ الإيمانِ من رضىِ باللهِ ربًّا، وبالإسلامِ دينًا، وبمحمَّدٍ رسولًا»^(٢).

وقال ﷺ: «ثلاثٌ من كُنَّ فيه وجدَّ بهنَّ حلاوةَ الإيمانِ: من كان اللهُ ورسولُهُ أحبَّ إليه مما سواهما، وأنَّ يحبَّ المرءَ لا يُحِبُّه إلا اللهُ، وأنَّ يكرهَ أنْ يعودَ في الكُفْرِ بعدَ أنْ أنقذه اللهُ منه، كما يكرهُ أنْ يُقذَفَ في النارِ»^(٣).

وقد أخذ الصحابةُ رضيَ اللهُ عنهم هذه المفاهيم؛ فقال عبادةُ بنُ الصامتِ رضيَ اللهُ عنه لابنه يوصيه: «يا بُنَيَّ، إنَّك لَن تجدَ طعمَ حقيقةِ الإيمانِ حتَّى تعلمَ أنَّ ما أصابك لم يكنْ ليخطئك، وما أخطأك لم يكنْ ليصيبك»^(٤).

والشاهدُ في ذلك: أنَّه ما من عملٍ صالحٍ تتقربُ به إلى اللهِ إلا ويحدثُ

(١) تفسير ابن كثير (٤/٦٠١).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً، رقم (٣٤)، من حديث العباس بن عبد المطلب رضيَ اللهُ عنه.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، رقم (١٦)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، رقم (٤٣)، من حديث أنس رضيَ اللهُ عنه.

(٤) أخرجه أحمد (٥/٣١٧)، وأبو داود: كتاب السنة، باب في القدر، رقم (٤٧٠٠).

فِيُوضَاتِ رَبَانِيَّةٍ عَلَى قَلْبِكَ فَتَشْعُرُ بِالرَّاحَةِ وَالْإِنْشِرَاحِ، وَهَذِهِ هِيَ اللَّذَّةُ، فَإِذَا لَمْ تَجِدْ ذَلِكَ فَاتِّمِّمْ قَلْبَكَ.

هَكَذَا يَقُولُ ابْنُ الْقَيْمِ **رَحِمَهُ اللَّهُ** نَقْلًا عَنْ شَيْخِهِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ **رَحِمَهُ اللَّهُ**، قَالَ: «إِذَا لَمْ تَجِدْ لِلْعَمَلِ حَلَاوَةً فِي قَلْبِكَ وَانْشِرَاحًا فَاتِّمِّمْهُ»^(١).

فَإِذَا رَأَيْتَ نَفْسَكَ دَاخِلَ الصَّلَاةِ وَخَارَجَ الصَّلَاةَ سَوَاءً، وَإِذَا فَاتَّتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلَّيْتَ لَمْ تَشْعُرْ بِشَيْءٍ فِي قَلْبِكَ، فَاتِّمِّمْ هَذَا الْقَلْبَ.

وَالْتَكَالِيفُ الشَّرْعِيَّةُ وَالْمَشَاقُّ الَّتِي تَكُونُ عَلَى إِثْرِ ذَلِكَ، إِذَا حَصَلَتْ اللَّذَّةُ ذَهَبَ الشَّعُورُ بِالتَّعَبِ، وَذَهَبَ الشَّعُورُ بِالْغَبَنِ؛ لِهَذَا انْظُرْ إِلَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بِمُجَاهِدَةِ الْعَدُوِّ وَمُصَاوَلَتِهِ، وَهُمْ يَرُونَ حَجَمَ الْمَشَاقِّ.

قِيلَ لِبَلَالٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وَقَدْ كَانَ يُعَذَّبُ فِي رَمَضَانَ مَكَّةَ عَلَى يَدِ سَيِّدِهِ الَّذِي يُرِيدُ مِنْهُ أَنْ يُصْرَفَ عَنِ دِينِهِ، وَيُنزَلُ عَلَيْهِ أَشَقُّ وَأَرْهَقُ الْعَذَابِ، يُقَالُ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِسَنَوَاتٍ: يَا بَلَالُ، كَيْفَ كُنْتَ تَحْتَمِلُ الْعَذَابَ؟ قَالَ: مَرَجْتُ حَلَاوَةَ الْإِيْمَانِ بِمَرَارَةِ الْعَذَابِ، فَطَغَتْ حَلَاوَةُ الْإِيْمَانِ عَلَى مَرَارَةِ الْعَذَابِ، فَلَمْ أَشْعُرْ بِذَلِكَ^(٢).

إِنَّهَا حَلَاوَةُ الطَّاعَةِ وَلَذَّةُ الْإِيْمَانِ، فَاحْرِصْ عَلَيْهَا، وَحَتَّى يُمَكِّنَكَ الْوَصُولُ إِلَى تَحْرِيكِ هَذِهِ الْأَحَاسِيْسِ فِي قَلْبِكَ وَتَقْوِيَّتِهَا - حَتَّى تَتَلَدَّدَ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَبِالصَّلَاةِ، وَتَشْعَرَ بِحَلَاوَةِ الطَّاعَةِ -؛ عَلَيْكَ بِالْإِكْثَارِ مِنْ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ:

(١) مدارج السالكين (٢/٦٨).

(٢) انظر: شرح القسطلاني على صحيح البخاري (١/١٠٤)، والسيرة الحلبية لنور الدين الحلبي

(١/٤٢٢).

الأمر الأول: أكثر من مجاهدة نفسك على فعل الطاعة واجتناب المعصية، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٩) [العنكبوت: ٦٩]. أي: جاهد نفسك على فعل الطاعة، وترك المعصية؛ تهد السبيل.

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس: ٧-٨]، ثم قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٩-١٠].

قال أبو يزيد رحمه الله: «سُتِّتْ نَفْسِي إِلَى اللَّهِ» أي: جاهدتها جهادًا إلا أن تذهب إلى الله وإلى سبيل الله، قال: «وهي تبكي، فما زلت أسوقها حتى انسافت إليه وهي تضحك» (١).

وقال عبد الله الرازي رحمه الله: «إِنْ سَرَّكَ أَنْ تَجِدَ حَلَاوَةَ الْعِبَادَةِ وَتَبْلَغَ ذُرْوَةَ سَنَامِهَا، فَاجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا حَائِطًا مِنْ حَدِيدٍ» (٢).

وهذا هو الذي ردده ابن المبارك رحمه الله حينما قال:

رَأَيْتُ الدُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِدْمَانُهَا
وَتَرَكَ الدُّنُوبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عَضْيَانُهَا (٣)

وقد قال عالم من علماء بني إسرائيل: يا ربّي، كيف أعصيك ولا تُعاقبني؟ فقيل له: كنت أعاقبك ولكنك كنت لا تدري، أليس قد حرمتك لذة مناجاتي؟! (٤)

(١) طريق الهجرتين لابن القيم (ص: ٣٢١).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الزهد رقم (١٦٥)، والدينوري في المجالسة رقم (١١٥١).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في التوبة رقم (٩)، وابن المقريء في المعجم رقم (١٢٠٥)، وأبو نعيم في الحلية (٢٧٩/٨)، والبيهقي في الشعب رقم (٦٩١٨).

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٦٨/١٠).

فإذا لم تشعر بهذه اللذة وبهذه الحلاوة، فاعلم أنك محرومٌ، فأكثر من مجاهدة نفسك على فعل الطاعة وترك المعصية.

الأمر الثاني: أكثر من صلاتك، نفلها وفرضها؛ فإنها تقوي عندك الإحساس بلذة الطاعة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنِ الصَّلَاةَ تَنهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وكان رسول الله ﷺ، إذا أراد أن يرتاح قال لبلال: «يَا بِلَالُ، أَقِمِ الصَّلَاةَ، أَرِحْنَا بِهَا»^(١)، فهو ﷺ يجد لذته إذا قام يُناجي ربه.

إنها نعمة، بل هي من أجل نعم الله تبارك وتعالى على العبد: أن يجد للطاعة لذة وللعمل الصالح انشراحًا.

الأمر الثالث: أكثر من ذكر الله؛ فإن الإكثار من الذكر يجلو القلوب، ويجلأ صدأها، ويزيح الشيطان عنها، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [٤١] وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا [٤٢] [الأحزاب: ٤١-٤٢].

فليكن لك وردٌ، بل أوراُدٌ في يومك؛ في صباحك، ومساءك، وما بين ذلك، فكلما ذكرت الله أكثر قويت حاسة هذه النعمة في قلبك، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة، رقم (٤٩٨٥) من حديث سالم بن أبي الجعد، عن رجل من خزاعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقَد حَذَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَقَالَ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا
وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

يُصَلِّي وهو يعيش في ضنك، وَيَصُوم وهو يصوم في ضنك، وَيَتَصَدَّق وهو يتصدق في ضنك، والذكرُ يجلو هذه القلوب، فتراه يتلذذ وهو يصلي، أو يتصدق، وينشرح صدره للعملِ الصالح.

وقد جاء رجلٌ للحسنِ البصريِّ رَحِمَهُ اللهُ، فقال: «يا أبا سعيد، جئتُك أشكو قسوةَ قلبي. قال: أذبه بالذكرِ». وفي لفظٍ قال: «أذبه بالذكرِ»^(١).

وهو القائل -أي: الحسنُ البصريُّ رَحِمَهُ اللهُ-: «تَفَقَّدُوا الحلاوةَ في ثلاثةِ أشياء: في الصلاة، وفي الذكرِ، وقراءةِ القرآنِ، فإن لم تجدوا فاعلموا أنَّ البابَ مُغْلَقٌ»^(٢).

أي: إذا لم تجدِ اللذةَ هاهنا في خيرِ العباداتِ: صلاةٍ وذكورٍ وقراءةٍ للقرآنِ، فاعلم أنَّ هناك حُجْبًا حجبَتْكَ من الوصولِ إلى هذه اللذة، وإلى هذه الحلاوة، وإلى هذه الحالِ من انشراحِ الصدرِ.



(١) أخرجه البيهقي في الشعب رقم (٦٩١)، وانظر: الوابل الصيب لابن القيم (ص: ٧١).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ١٧١)، والبيهقي في الشعب رقم (٦٨٣٤).



(٢٥)

كسب القلوب لا كسب الأصوات



جاءَ هذا الدِّينُ العَظِيمُ بِتَشْرِيعَاتٍ عَظِيمَةٍ؛ وَمِنْ هَذِهِ التَّشْرِيعَاتِ: أَنَّهُ أَكَّدَ عَلَى كَسْبِ الْقُلُوبِ، وَمَوَدَّتِهَا، وَتَقَارُّهَا، وَمَحَبَّتِهَا، وَحَدَّرَ فِي الْمَقَابِلِ التَّحْذِيرَ الشَّدِيدَ مِنْ تَنَافُرِ الْقُلُوبِ، وَبُغْضِهَا، وَتَبَاعُدِهَا.

وَامْتَنَّ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ فَجَعَلَ تَأْلِيفَ الْقُلُوبِ بِيَدِهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا قَارَبَ بَيْنَ الْقُلُوبِ لَمْ يُزَحِزْهَا شَيْءٌ أَبَدًا»^(١).

وَكَسْبُ الْقُلُوبِ عِبَادَةٌ لَا يَفْعَلُهَا إِلَّا الْعَاقِلُونَ، قَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالْتَوَدُّ إِلَى النَّاسِ نِصْفُ الْعَقْلِ»^(٢).

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق (١/١٢٣)، رقم (٣٦٢)، وعبد الرزاق في جامع معمر رقم (٢٠٢٣٣)، والحاكم في المستدرک (٢/٣٠١).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في العقل وفضله رقم (٧١)، والبيهقي في الشعب رقم (٤٣٦٣). وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط رقم (٦٧٤٤)، والبيهقي في الشعب رقم (٦١٤٨)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، مرفوعاً.

وقَدْ أَرشَدَنَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ورسوله ﷺ إلى وسائل شرعية، من أخذ بها وُضِعَ له القبولُ في الأرض، ووُضِعَتِ مَحَبَّتُهُ في قلوبِ الخلق، وهذه الوسائلُ خمسةٌ:

الوسيلةُ الأولى: احرص على كسبِ محبةِ الله يُحِبُّكَ اللهُ.

إذا كُنْتَ تُرِيدُ أن تَكْسِبَ قُلُوبَ المَخْلُوقِينَ فَاكْسِبْ مَحَبَةَ اللهِ أَوَّلًا، ولا يَمَكُنُ أن يَنَالَ العَبْدُ مَحَبَةَ اللهِ إِلَّا إذا حَقَّقَ الإِيمَانَ وَالتَّقْوَى وَالعَمَلَ الصَّالِحَ وَحُسْنَ الاتِّبَاعِ لِلنَّبِيِّ ﷺ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ مَرْيَمَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (١١) [مريم: ٩٦].

فلا تَحْمِلْ هذا الهمَّ، ولا تُتَعِبْ نَفْسَكَ في دُخُولِ دَوْرَاتِ في التَّنْمِيَةِ البَشَرِيَّةِ وَغَيْرِهَا لِتَكْسِبَ قُلُوبَ الآخَرِينَ، فَقطْ أَصْلِحْ ما بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ، وَأَقْبِلْ بِقَلْبِكَ على اللهِ يُقْبِلِ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِقُلُوبِ الآخَرِينَ عَلَيْكَ.

وقال زيد بن أسلم رَحِمَهُ اللهُ: «قيل: مَنْ اتَّقَى اللهُ أَحَبَّهُ النَّاسُ» (١).

وبالفعل أنت ترى الناسَ أحيانًا يُكثِرُونَ مِنْ مَحَبَةِ فلانٍ، ولم يَلْتَقُوا بِهِ مرةً، ولم يَتَعَامَلُوا مَعَهُ بالدينارِ وَالدَّرْهَمِ، لَكِنْ إذا سَأَلْتَ أَحَدَهُمْ لِمَاذَا تُحِبُّهُ؟ قال: لا أدري. وما ذلك إِلَّا لِأَنَّهُ أَصْلَحَ ما بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ.

وقال هَرْمٌ بنُ حَيَّانَ رَحِمَهُ اللهُ: «ما أَقْبَلَ عَبْدٌ بِقَلْبِهِ إلى اللهِ إِلَّا أَقْبَلَ اللهُ عَزَّجَلَّ

بِقُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ حَتَّى يَرْزُقَهُ مَحَبَّتَهُمْ وَمُودَتَهُمْ» (٢).

(١) الفوائد لابن القيم (ص: ٥٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١/ ٥٣٤) للأصبهاني.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٦٤٣ - ٦٤٤)، والبيهقي في الزهد الكبير رقم (٧٩٩)، وانظر

التفسير البسيط للواحدى (١٤/ ٣٤٠).

فحينما تُصلحُ في الدنيا ما بينك وبين الله تحدثُ أحداثٌ في الملكوتِ الأعلى، وتحدثُ أمورٌ في السمواتِ العلى، وقد أخبرنا بذلك الصادقُ المصدوقُ رسولُ الله ﷺ، فقد جاء في «صحيح مسلم» أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: **«إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ، فَقَالَ: يَا جِبْرِيلُ، إِنِّي أَحْبُّ فُلَانًا؛ فَأَجِبْهُ. قَالَ: فَيَجِبُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَجِبُوهُ، فَيَجِبُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ. قَالَ: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ»**^(١) فَيَحِبُّهُ اللَّهُ، وَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ؛ لِأَنَّهُ حَقَّقَ الْوَسِيلَةَ الْأُولَى: كَسَبُ مَحَبَّةِ اللَّهِ.

الوسيلةُ الثانيةُ: احرصْ على أن تزهدَ فيما في أيدي الناسِ. فلا تُنازعِ الناسَ على ما في أيديهم، حتى لو كنتَ أقربَ الناسِ إليهم أبغضوك؛ فإذا نازعتَ أخاك على شيءٍ من الدنيا أبغضتك وأبعدك ونفرتَ منه قلبك، هكذا الدنيا.

وقد جاء في سنن ابن ماجه، من حديث سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتَهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: **«ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ»**^(٢).

أي: لا تُنافِسْهُ، فَإِنَّكَ إِذَا نَافَسْتَهُ عَلَى كُرْسِيِّ، أَوْ مَالٍ، أَوْ صَوْتٍ؛ كَرِهَكَ، فَلَا تُنَافِسْهُ عَلَى الدُّنْيَا، وَدَعَهُ، وَخُذْ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكَ، وَدَعَكَ مِنَ النَّظَرِ إِلَى الَّذِي فِي أَيْدِي النَّاسِ؛ حَتَّى يُحِبَّكَ النَّاسُ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم (٣٢٠٩)، ومسلم: كتاب البر والصلة

والآداب، باب إذا أحب الله عبدا حبه لعباده، رقم (٢٦٣٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه ابن ماجه: كتاب الزهد، باب الزهد في الدنيا، رقم (٤١٠٢).

وقد مرَّ أعرابيٌّ على مدينةِ البصرة، فوقفَ على أطرافِها وسألَ: مَنْ سيِّدُ هذه القرية؟ قالوا: الحسنُ. قال: بَمَ سادَهُمْ؟ قالوا: احتاجَ الناسُ إلى عِلْمِهِ، واستغنى هوَ عن دُنْيائِهِمْ^(١).

الوسيلةُ الثالثة: احرصْ على أن تبدلَ السلامَ على الجميع؛ فإنه يصطادُ القلوبَ؛ أخبرَ بذلك رسولُ الله ﷺ، لكن سلِّمَ على الناسِ في كلِّ حينٍ، لا تسلمَ عليهم إذا احتجَّتْهم واحتجَّتْ أصواتهم، وتمكثُ بعدَ ذلك سنواتٍ لا يعرفونك، ولا يسمَعوا سلامك!.

فقد قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ السَّلَامَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَضَعَهُ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ، فَأَفْشُوهُ بَيْنَكُمْ»^(٢).

وقال أيضًا ﷺ: «أَفَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ، أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»^(٣).

وسلِّمَ على مَنْ عَرَفْتَ وعلى مَنْ لَمْ تَعْرِفْ، ولا تُخصَّصْ بسلامك أبناءَ دائرتك، والدوائرُ الأخرى لا تُسلِّمَ عليها، وقد جاءَ رجلٌ إلى رسولِ الله ﷺ، وقال: يا رسولَ الله، أيُّ الإسلامِ خيرٌ؟ قال: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ

(١) أخرجه الراهمزمزي في المحدث الفاصل (ص: ٢٤٤)، وانظر: صيد الخاطر لابن الجوزي (ص: ٥٠٩).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم (٩٨٩)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، رقم (٥٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَعَلَى مَنْ لَمْ تَعْرِفْ»^(١).

الوسيلة الرابعة: احرص على أن تكون من المحسنين؛ فأحسن إلى الناس بأي نوع من الإحسان يُحبك الناس، ورؤي عن النبي ﷺ أنه قال: «جُبِلَتْ القلوبُ على حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إليها، وَبُغِضَ مَنْ أَسَاءَ إليها»^(٢).

وقال الأول:

أَحْسِنُ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدُ قُلُوبَهُمْ فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانَ إِحْسَانُ
أَقْبِلْ عَلَى النَّفْسِ فَاسْتَكْمِلْ فَضَائِلَهَا فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لَا بِالْجِسْمِ إِنْسَانُ^(٣)

الوسيلة الخامسة: أخبر من تحب أنك محبه، فإذا وجدت في نفسك حُبًّا لفلانٍ الحب الصادق، لا الحب المزيف المبني على المصالح الآنية، فقل له: يا فلان، إني أحبك في الله؛ فإنك تكسب قلبه بهذا التعبير.

قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُعْلِمْهُ؛ فَإِنَّهُ أَبْقَى فِي الْأَلْفَةِ، وَأَثْبَتُ فِي الْمَوَدَّةِ»^(٤).

(١) أخرجه البخاري: كتاب الاستئذان، باب السلام للمعرفة وغير المعرفة، رقم (٦٢٣٦)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام، رقم (٣٩)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٢١)، والبيهقي في الشعب رقم (٨٥٧٤)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) الأبيات لأبي الفتح البستي من قصيدته «عنوان الحكم» (ص: ٣٦).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في الإخوان رقم (٦٩)، عن مجاهد مرسلًا.

فإذا أَحَبَّتِ أَحَدًا فَادْهَبِي إِلَى بَيْتِهِ، وَاطْرُقِي عَلَيْهِ الْبَابَ، وَقُولِي لَهُ: أَنَا أُحِبُّكَ فِي اللَّهِ.

فَهَذَا الدِّينُ الْعَظِيمُ يُرِيدُ مِنْ هَذِهِ الْقُلُوبِ أَنْ تَكُونَ قُلُوبًا مُجْتَمِعَةً، فَعَبِّرِي عَمَّا فِي دَاخِلِكَ مِنْ حُبِّ لِلْآخِرِينَ، وَقُولِي لَهُمْ: أَنَا أُحِبُّكُمْ فِي اللَّهِ.

جَاءَ عِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي «مُسْنَدِهِ» أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ صَاحِبَهُ، فَلْيَأْتِهِ فِي مَنْزِلِهِ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ لِلَّهِ»^(١).

دُونَ أَدْنَى مَصْلِحَةٍ، بِهَذَا تَكُونُ كَاسِبًا وَصَائِدًا لِقُلُوبِ الْآخِرِينَ، وَهِيَ عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ غَفَلَ عَنْهَا الْكَثِيرُ إِلَّا مَنْ أَرَادَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ مَصْلِحَةً.



(١) أخرجه أحمد (٥/١٤٥)، من حديث أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



(٢٦)

عبادة جبر الخواطر

•• ❁ ••

إِنَّ مِنَ الْعِبَادَاتِ الْعَظِيمَةِ، وَالَّتِي لَهَا قَدْرٌ عَظِيمٌ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَقَدْ غَفَلَ عَنْهَا، وَعَنِ اسْتِحْضَارِ أَجْرِهَا كَثِيرٌ مِنَّا، عِبَادَةُ جَبْرِ الْخَوَاطِرِ.

وَهِيَ قِيَمَةٌ مِنْ قِيَمِ هَذَا الدِّينِ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: ٨].

أَي: إِذَا حَضَرَ قِسْمَةَ الْمَوَارِيثِ هَؤُلَاءِ الْأَقْرَبُ، وَالْمَسَاكِينُ، وَالضَّعْفَاءُ مِنَ الْيَتَامَى؛ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فقولوا لهم قولاً معروفاً؛ جبراً لخواطرهم، واحتراماً لمشاعرهم، وتجنباً للمساس بأحاسيسهم.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿عَسَىٰ وَتَوَلَّىٰ ۙ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهٗ يَرْكُنُ ۚ﴾ [عبس: ١-٤].

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ: «وَلَكِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَاتَبَهُ ﷺ حَتَّىٰ لَا تَنْكَسِرَ قُلُوبُ أَهْلِ الصُّفَةِ»^(١).

مُرَاعَاةً لِهَذِهِ الْقُلُوبِ الَّتِي تُجْرَحُ، وَمُرَاعَاةً لِهَذِهِ الْقُلُوبِ الَّتِي تُكْسَرُ، وَقَدْ يَكُونُ كَسْرُهَا وَجْرَحُهَا بِكَلِمَةٍ، كَمَا يَكُونُ جَبْرُ الْخَوَاطِرِ بِكَلِمَةٍ.

(١) تفسير القرطبي (١٩/٢١٣).

فَجَبْرُ الْخَاطِرِ خُلِقَ لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا كِبَارُ النُّفُوسِ، وَقَدْ تَجَبَّرَ خَاطِرُ غَيْرِكَ بِكَلِمَةٍ،
أَوْ عَطِيَّةٍ، أَوْ هَدِيَّةٍ، أَوْ شِفَاعَةٍ، أَوْ إِعَانَةٍ، كُلُّ ذَلِكَ يَجْبِرُ الْخَاطِرَ، وَهُنَاكَ شَوَاهِدٌ مِنْ
سِيرَتِهِ ﷺ، وَهُوَ يُرْشِدُ إِلَى أَهْمِيَّةِ عِبَادَةِ جِبْرِ الْخَوَاطِرِ، أَذْكَرُ مِنْهَا:

الشاهد الأول: جاء في «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» مِنْ حَدِيثِ الْمَغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ، أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فِتْنُودُ الْأَحْيَاءِ»^(١).

جَبْرًا لَخَاطِرِ الْأَحْيَاءِ تَجَنَّبُوا سَبَّ الْأَمْوَاتِ، حَتَّى وَإِنْ كَانَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ
الْأَمْوَاتِ خُصُومَةٌ، أَوْ كَانَتْ لَكُمْ وَجْهَةٌ نَظَرٍ فِي هَذَا الْمَيْتِ؛ احْتِرَامًا، وَتَقْدِيرًا،
وَاحْتِرَازًا مِنْ مَسَاسِ مَشَاعِرِ الْحَيِّ، قَرِيبِ هَذَا الْمَيْتِ.

الشاهد الثاني: جاء في حَدِيثِ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عِنْدَ مُسْلِمٍ، أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «فَمَنْ أَمَّ قَوْمًا، فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْكَبِيرَ، وَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ،
وَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ، وَإِنَّ فِيهِمُ ذَا الْحَاجَةِ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ وَحَدَهُ، فَلْيُصَلِّ كَيْفَ
شَاءَ»^(٢).

يُرَاعِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْأَحْوَالَ، فَقَدْ يَكُونُ خَلْفُكَ الْكَبِيرُ فِي السَّنِّ، أَوْ
الْمَرِيضُ، أَوْ الضَّعِيفُ، وَقَدْ لَا يَكُونُ مِنْ هَؤُلَاءِ أَحَدٌ مَوْجُودًا، لَكِنْ يُوجَدُ ذُو
الْحَاجَةِ، فِتْرَاعِي أَحْوَالَ مَنْ خَلْفَكَ؛ جَبْرًا لَخَوَاطِرِهِمْ، وَاحْتِرَامًا لِمَشَاعِرِهِمْ
وَأَحَاسِيْسِهِمْ.

الشاهد الثالث: جاء في «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ

(١) أخرجه أحمد (٤/٢٥٢)، والترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشتم، رقم (١٩٨٢).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، رقم (٤٦٨).

رسول الله ﷺ قَالَ: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ صَاحِبَيْهِمَا؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُخْرِزُهُ»^(١).

أي: لا يتكلم اثنان في السرِّ بصوتٍ خافتٍ لا يسمعه الثالث؛ لئلا تنكسر نفسه، وتُجرَحَ مشاعره.

وفي روايةٍ قَالَ ﷺ: «حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ»^(٢).

أي: حتى تكونوا أكثر من ثلاثة، فلا يشعر هذا الثالث أن هذا الهمس، وهذا الحديث رُبما يعنيه فيجد ذلك في نفسه.

الشاهد الرابع: جاء في «صحيح البخاري» من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ

رسول الله ﷺ قَالَ: «لَا يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ»^(٣).

فهذا ليس من الأدب، وهو يجرَحُ النفس، ويمسُّ بخاطر هذا الأول؛ فجبراً لخاطره لا تقمه من مجلسه، ثم تجلس فيه.

وهذا إرشادٌ عظيم، ومراعاةٌ لهذه الأنفس التي جرحها وكسرها أشدُّ تأثيراً

من كسر عظم البدن، وإذا كسرت فجبورها من أصعب الأمور.

الشاهد الخامس: جاء في «صحيح البخاري» من حديث أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

(١) أخرجه مسلم: كتاب السلام، باب تحريم مناجاة الاثنین دون الثالث بغير رضاه، رقم (٣٨/٢١٨٤).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب ، باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارعة والمناجاة، رقم (٦٢٩٠)، ومسلم: كتاب السلام، باب تحريم مناجاة الاثنین دون الثالث بغير رضاه، رقم (٣٧/٢١٨٤).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الاستئذان، باب لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه، رقم (٦٢٦٩)، ومسلم: كتاب السلام، باب تحريم إقامة الإنسان من موضعه المباح، رقم (٢١٧٧).

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أَطَوَّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ؛ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي؛ كَرَاهِيَةً أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ»^(١).

يُرَاعِي ﷺ هَذِهِ الْأُمَّ، وَيَجْبُرُ بِخَاطِرِهَا، وَهِيَ لَا تَعْلَمُ بِنَيْتِهِ ﷺ.

فَقَدْ تَجَبَّرُ بِخَاطِرِ غَيْرِكَ، دُونَ أَنْ تُخْبِرَهُ، وَدُونَ أَنْ يَعْلَمَ، لَكِنْ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا أَصْحَابُ النُّفُوسِ الْكَبِيرَةِ، الَّذِينَ لَا يَرِجُونَ ثَنَاءً، وَلَا عَطَاءً، وَلَا مَدْحًا مِنْ أَحَدٍ، فَإِذَا أَحْسَنَ أَحَدُهُمْ إِلَى أَخِيهِ فِي الْخَفَاءِ وَفِي السَّرِّ، لَا يَأْتِيهِ بَعْدَ سِنَوَاتٍ وَيَقُولُ: كُنْتُ أَدْفَعُ عَنْكَ، وَكُنْتُ أَحْمِي ظَهْرَكَ. فَهَذَا يُسَمَّى فِي شَرْعِنَا مَنَّا بِالْعَطِيَّةِ.

الشاهد السادس: جاء في «سُنَنِ النَّسَائِيِّ» مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَادٍ، يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي إِحْدَى صَلَاتِي الْعِشَاءِ وَهُوَ حَامِلٌ حَسَنًا أَوْ حُسَيْنًا، فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَضَعَهُ، ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَّلَاةِ فَصَلَّى فَسَجَدَ بَيْنَ ظَهْرَانِي صَلَاتِهِ سَجْدَةً أَطَالَهَا، قَالَ أَبِي: فَرَفَعْتُ رَأْسِي وَإِذَا الصَّبِيُّ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ سَاجِدٌ فَرَجَعْتُ إِلَى سُجُودِي، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّلَاةَ قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَانِي صَلَاتِكَ سَجْدَةً أَطَلْتَهَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ أَوْ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ، قَالَ: «كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي، فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ»^(٢).

يُرَاعِي ﷺ حَاجَةَ اللَّعْبِ الَّتِي عِنْدَ الصَّبِيِّ الصَّغِيرِ، وَيَجْبُرُ بِخَاطِرِهِ؛ لِيَقْضِيَ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي، رقم (٧٠٧).

(٢) أخرجه أحمد (٤٩٣/٣)، والنسائي: كتاب التطبيق، باب هل يجوز أن تكون سجدة أطول من

سجدة، رقم (١١٤١).

حاجته من اللعب، وهو نبي الأمة، وسيّد الثقلين، وأشرف من وطئ الأرض ﷺ.
 الشاهد السابع: جاء في «مسند الإمام أحمد» أن النبي ﷺ قال: «لَا تُحْقِرَنَّ
 مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تُعْطِيَ صَلَاةَ الْحَبْلِ، وَلَوْ أَنْ تُعْطِيَ شِسْعَ النَّعْلِ، وَلَوْ أَنْ
 تُفْرَغَ مِنْ دَلُوكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْقِي، وَلَوْ أَنْ تُنَحِّيَ الشَّيْءَ عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ يُؤْذِيهِمْ،
 وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ، وَوَجْهَكَ إِلَيْهِ مُنْطَلِقٌ، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِ، وَلَوْ أَنْ
 تُؤَنَسَ الْوَحْشَانَ فِي الْأَرْضِ»^(١).

فهذا الذي يجد وحشة في نفسه، وانكسارًا في خاطره، أنسه بكلمة، أو
 تشجيع، أو رفع لمعنوياته، فهذا معروف وعبادة تؤجر عليها.

الشاهد الثامن: جاء في «سنن ابن ماجه» من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا،
 أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تُدِيمُوا النَّظَرَ إِلَى الْمَجْدُومِينَ»^(٢).

والجذام مرض يصيب جلد الإنسان ويُسبب به عاهة، فينهانا رسول الله ﷺ
 عن إدامة النظر إلى صاحب العاهة؛ لأن ذلك يجرحه، ويتعبه نفسيًا، فاجبر
 بخاطره، ولا تُجدَّ النظر فيه، هكذا جاء في بعض الروايات: «لَا تُجِدُّوا النَّظَرَ فِي
 الْمَجْدُومِينَ»^(٣).

وديننا دين عظيم، يُراعي هذه المسائل؛ قال عطاء رَحِمَهُ اللهُ: إن الرجل ليُحدِّثني
 بالحديث فأنصت له كأنني لم أسمعُه، وقد سمعته قبل أن يولد^(٤)؛ جبرًا لخاطره.

(١) أخرجه أحمد (٤٨٢/٣)، من حديث أبي تيمية الهجيمي، عن رجل من قومه، مرفوعًا.

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٣/١)، وابن ماجه: كتاب الطب، باب الجذام، رقم (٣٥٤٣).

(٣) أخرجه الطيالسي في المسند رقم (٢٧٢٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢١٨/٧)، من حديث

ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٤٦٩/٥)، وانظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٨٦/٥).

إِنَّهَا قِيَمَةٌ رَاقِيَةٌ، وَخُلِقَ رَاقٍ، لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا أَصْحَابُ النُّفُوسِ الْكَبِيرَةِ، وَالَّذِينَ يَلْتَمِسُونَ الْأَجْرَ، وَيَحْتَسِبُونَ الثَّوَابَ، فِي كُلِّ أَقْوَاهِمُ وَأَفْعَالِهِمْ.
 وَقَدْ جَاءَ فِي كِتَابِ «صَيْدِ الْخَاطِرِ» لِابْنِ الْجُوزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قِيلَ لِأَبِي عُثْمَانَ النَّيْسَابُورِيِّ أَحَدِ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ: مَا هُوَ أَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ؟
 قَالَ: كُنْتُ فِي صَبَوْتِي يُرَاوِدُنِي أَهْلِي عَلَى الزَّوْاجِ فَأَمْتَنَعُ، حَتَّى جَاءَتْنِي امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا أَبَا عُثْمَانَ، إِنِّي قَدْ هَوَيْتُكَ، فَتَزَوَّجْنِي. قَالَ: فَقُلْتُ لَهَا: هَلْ لَكَ مِنْ أَبِي؟
 قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: أَحْضِرِيهِ، فَجَاءَنِي شَيْخٌ كَبِيرٌ فَقِيرٌ، فَتَزَوَّجْتُهَا، فَفَرِحَتْ وَفَرِحَ أَبُوهَا.

قَالَ: فَلَمَّا أُدْخِلْتَ عَلَيَّ فَإِذَا هِيَ عَوْرَاءٌ، وَعَرَجَاءٌ، وَمَشُوهُةٌ، وَكَانَتْ تُحِبُّنِي حُبًّا شَدِيدًا، وَتَقُولُ لِي: لَا تَخْرُجْ مِنَ الْبَيْتِ. فَكُنْتُ أَجْلِسُ مَعَهَا حَفْظًا لِقَلْبِهَا، وَكَأَنِّي أَجْلِسُ عَلَى جَمْرِ الْغَضَا.
 قَالَ: فَبَقِيَتْ عِنْدِي خَمْسَةَ عَشَرَ سَنَةً ثُمَّ مَاتَتْ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى بَقَاءَهَا عِنْدِي، وَحِفْظِي لِقَلْبِهَا هُوَ أَرْجَى عَمَلٍ عِنْدِي عَمِلْتَهُ اللَّهُ^(١).
 هَكَذَا كَانُوا يَتَمَيِّزُونَ فِي جَبْرِ الْخَوَاطِرِ.

✱ ✱ ✱

(١) صيد الخاطر (ص: ٤٠٥-٤٠٦).



(٢٧)

لا تفرحوا بالولايات فإنها أمانات

•• ❁ ••

الأصل في الولاياتِ والمناصبِ أنّها ليستُ محلاً للفرحِ بها، لما فيها منِ المسؤولياتِ، والتكاليفِ، والأماناتِ، فالمناصبُ والولاياتُ هي تكاليفُ، ومسؤولياتُ، وأماناتُ يُسألُ عنها العبدُ يومَ القيامةِ، حفظها أم ضيّعها.

وقد جاء في «صحيح مسلم» أنّ أبا ذرٍّ رضي الله عنه، جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله، فقال: «يا رسولَ الله، ألا تستعملني، قال أبو ذرٍّ فضربَ صلى الله عليه وآله بيده على منكبي وقال: يا أبا ذرٍّ، إنّك ضعيفٌ، وإنّها أمانةٌ وإنّها يومَ القيامةِ حزيٌّ وندامةٌ، إلا من أخذها بحقّها وأدى الذي عليه فيها»^(١).

وقد دخلت فاطمة بنتُ عبدِ الملكِ رحمها الله على زوجها أميرِ المؤمنينَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ رحمته الله، بعد أن ولى الخِلافةَ، فرأته قد ألقى بثقلِ رأسه على يديه، وهو يبكي بكاءً شديداً، فقالتُ له فاطمةُ: ما يُكيك يا أميرَ المؤمنينَ، وقد وُلّيتَ الخِلافةَ؟ قال: يا فاطمةُ، قد علّمتِ أيُّ وُلّيتُ من أمرِ هذه الأمةِ ما وُلّيتُ، فتفكّرتُ في الفقيرِ الجائعِ، والمظلومِ المقهورِ، والغريبِ، والأسيرِ، والشيخِ الكبيرِ، وذو العيالِ الكثيرِ، تفكّرتُ في المريضِ الضائعِ، وتفكّرتُ في المسكينِ المكسورِ،

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، رقم (١٨٢٥).

وَتَفَكَّرَتْ فِي الْأَرْمَلَةِ الْوَحِيدَةِ، وَأَشْبَاهِهِمْ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ، وَأَطْرَافِ الْبِلَادِ، وَعَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ سَيَسْأَلُنِي عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّ خَصْمِي دُونَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَخَشِيتُ أَلَّا يَثْبِتَ لِي حُجَّةٌ عِنْدَ خُصُومَتِهِ، فَرَحِمْتُ نَفْسِي فَبَكَيْتُ^(١).

هكذا كانوا يحتفون بالولاياتِ والمناصبِ؛ خوفاً يملأُ القلوبَ، عن تقصيرِ ربِّها يحصلُ بغيرِ قصدٍ، فالمناصبُ والولاياتُ أَسْهُا الأماناتُ، والأماناتُ ليستِ ادِّعاءً، لكنَّها برنامجٌ عمليٌّ على أرضِ الواقعِ يُشاهدُ.
قالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا تَنْظُرُوا إِلَى صِيَامِ أَحَدٍ وَلَا صَلَاتِهِ وَلَكِنْ انظُرُوا إِلَى صِدْقِ حَدِيثِهِ إِذَا حَدَّثَ، وَأَمَانَتِهِ إِذَا اتَّمَنَ، وَوَرَعِهِ إِذَا أَشْفَى»^(٢) أي: إذا أقبلت عليه الدنيا.

وقَدَ أَمَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالْأَمَانَةِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

والأمانةُ ثقيلةٌ، خَشِيتُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

(١) تاريخ دمشق لابن عساکر (١٩٦/٤٥ - ١٩٧)، والکامل فی التاریخ لابن الأثیر (١١٩/٤)، وسیر أعلام النبلاء للذهبي (١٣١/٥).

(٢) أخرجه أبو داود فی الزهد رقم (٦٤)، وابن أبي الدنيا فی الورع رقم (٢١٤)، وأبو نعیم فی الحلیة (٢٧/٣)، والبيهقي فی السنن الكبرى (٢٨٨/٦).

وهي من أبرز خصائص المؤمن، حينما قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾** [المعارج: ٣٢].

وجاء التحذير الشديد من خيانة الأمانة في الولاية، وقرنها الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** بخيانتها وخيانة رسوله **ﷺ**، فقال الحق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** [الأنفال: ٢٧].

وقال رسول الله **ﷺ: «أَدَّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ اتَّمَمْتَهَا وَلَا تَخُنْ مِنْ خَانَكَ»** (١). وهي شعار أهل الدين، وأول ما يرفع من الناس من مجتمعاتهم، ومن شخوصهم، قال رسول الله **ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْأَمَانَةَ»** (٢). فالدين له مزايا، وأول مزايا الدين التي ترفع من المجتمعات الأمانة. وفي حديث آخر قال رسول الله **ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ الْأَمَانَةُ»** (٣). والأمانة في الولاية دليل صدق الإيوان، فلا تسأل عن إيوان العبد إذا رأيته خائناً لأمانته في ولايته التي ولي.

والولايات متعددة، فالمنبر والمحراب وولاية، والإمام مؤتمن عليه، والمؤذن مؤتمن في آذانه، وهو في ولاية، والرجل في بيته في ولاية، وفي كل منصب أنت فيه،

-
- (١) أخرجه أبو داود: كتاب البيوع، باب في الرجل يأخذ حقه من تحت يده، رقم (٣٥٣٥)، والترمذي: كتاب البيوع، رقم (١٢٦٤)، من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.
(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٧/ ٢٩٥، رقم ٧١٨٢)، من حديث شداد بن أوس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**. وأخرجه عبد الرزاق في المصنف رقم (٥٩٨١)، وابن أبي شيبه في المصنف رقم (٣٦٩٨٤)، والحاكم في المستدرک (٤/ ٥٠٤)، عن ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** موقوفاً.
(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير رقم (٣٨٧)، والبيهقي في شعب الإيوان، رقم (٤٨٩٢)، من حديث عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

فاعلم أنك في ولاية، وولايتك هذه مقتضاها تحقيق الأمانة.
 وبقدر كمال الأمانة في العبد، يكمل إيمانه، قال رسول الله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم»^(١).
 وقال ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»^(٢).
 قال هشام بن عروة عن أبيه رحمه الله: ما نقصت أمانة عبد قط إلا نقص إيمانه^(٣).

فهناك ارتباط بين الأمانة والإيمان، خاصة في الولايات التي فيها تكثر حقوق الناس، فكلما عظمت هذه الولاية، عظمت الأمانة فيها.
 فالعقل هو الذي لا يفرح بالولاية، كما كان يفعل سلف الأمة، كانوا يتدافعونها، ويهربون منها، وربما اتهم أحدهم نفسه بتهم؛ لئلا ينالها، لما فيها من المسؤوليات.

وقد قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد استرعه الله رعية، فلم يحطها بنصيحة، إلا لم يجد رائحة الجنة»^(٤). فلا بد أن يبذل قصارى جهده في نصحه في مكانه.

-
- (١) أخرجه أحمد (٣٧٩/٢)، والترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في أن المسلم من سلم المسلمون، رقم (٢٦٢٧)، والنسائي: كتاب الإيمان وشرائعه، باب صفة المؤمن، رقم (٤٩٩٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
- (٢) أخرجه أحمد (١٣٥/٣)، من حديث أنس رضي الله عنه.
- (٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف رقم (٣٠٩٥٩)، والآجري في الشريعة رقم (٢٤٨)، والبيهقي في الشعب رقم (٥٧).
- (٤) أخرجه البخاري: كتاب الأحكام، باب من استرعي رعية فلم ينصح، رقم (٧١٥٠)، من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه.

وهناك بعض البشائر التي بشر بها رسول الله ﷺ من حفظ أمانة المنصب، وأدى حق الولاية:

البُشرى الأولى: جاء في «شعب الإيمان»: أن رسول الله ﷺ قام يتوصلاً فتسارع الصحابة يتدرون وُضوءه المتساقط يتبركون به - وهذا أمر مشروع في حياته ﷺ - فقال ﷺ: «**مَا يَحْمِلُكُمْ عَلَى هَذَا؟**» قالوا: حُبُّ الله ورسوله. قال ﷺ: - يرشدهم إلى برنامج عملي آخر، تكون نتيجته محبة الله ورسوله - «**مَنْ سَرَّهُ، أَنْ يُحِبَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، أَوْ يُحِبَّهُ اللهُ وَرَسُولَهُ، فَلْيُصِدْقْ حَدِيثَهُ إِذَا حَدَّثَ، وَلْيُؤَدِّ أَمَانَتَهُ إِذَا أَتَمَّنَ، وَلْيُحْسِنِ جَوَارَ مَنْ جَاوَرَهُ**»^(١).

وهذه بُشرى عظيمة، أن يزرع الله تبارك وتعالى في قلبه محبة الله ورسوله، ويرزقه محبة الله ورسوله ﷺ.

البُشرى الثانية: أن من حفظ أمانته حفظه الله، وحفظ له أهله وذريته من بعده، فقد قال الله تبارك وتعالى في سورة الكهف: ﴿**وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ**﴾ [الكهف: ٨٢].

قال سعيد بن جبير رحمه الله في تفسيرها: أي: كان والدهما الأبعد يُؤدي الأمانات والودائع إلى أهلها؛ فحفظ الله تعالى له كنزه حتى أدرك ولداه كنزهما فاستخرجاه^(٢).

(١) شعب الإيمان للبيهقي رقم (١٤٤٠)، وأخرجه أيضًا ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق رقم (٢٦٦)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٤/١٨٣٨).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٧/٢٣٧٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/٢٨٧).

فَمَنْ أَدَّى حَقَّ اللَّهِ فِي الْوَلَايَاتِ وَالْمَنَاصِبِ فَلْيُبَشِّرْ بِمَا بَشَّرَهُ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ،
وَمَنْ تَنَكَّبَ هَذَا الطَّرِيقَ، فَلَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ.

البُشْرَى الثَّلَاثَةُ: مَنْ حَفِظَ أَمَانَتَهُ ضَمِنَ اللَّهُ لَهُ الْجَنَّةَ، فَقَدْ جَاءَ فِي «صَحِيحِ ابْنِ
حِبَانَ» مِنْ حَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَضْمَنُوا لِي
سِتًّا، أَضْمَنُوا لَكُمْ الْجَنَّةَ، أَصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اتُّمِنْتُمْ،
وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغَضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكَفُّوا أَيْدِيَكُمْ»^(١).

سِتَّةٌ إِذَا ضَمِنَهَا الْعَبْدُ ضَمِنَتْ لَهُ الْجَنَّةَ بِضَمَانَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ هَكَذَا يُنْظَرُ إِلَى
هَذِهِ الْوَلَايَاتِ، وَالْمَنَاصِبِ.



(١) أخرجه أحمد (٣٢٣/٥)، وابن حبان في صحيحه رقم (٢٧١).



(٢٨)

حُبُّ الْوَطَنِ أَمَانَةٌ

•••

لَا تَسْتَغْرِبُ أَنْ تَرَى إِنْسَانًا يُحِبُّ وَطَنَهُ، لَكِنَّكَ تَسْتَغْرِبُ إِذَا رَأَيْتَ إِنْسَانًا لَا يُحِبُّ وَطَنَهُ، وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ حُبَّ الْأَوْطَانِ مَغْرُوسٌ فِي النُّفُوسِ، وَقَدْ جُبِلَتْ عَلَيْهِ الْأَبْدَانُ، وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ أَدْلَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ وَقَعِ النَّاسِ.

قَالَ ابْنُ الْجُوزِيِّ **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «وَفِطْرَةُ الرَّجُلِ مَعْجُونَةٌ بِحُبِّ الْوَطَنِ»^(١).

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهَمَ **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «مَا وَجَدْتُ شَيْئًا أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ نِزَاعِ النَّفْسِ إِلَى الْوَطَنِ»^(٢).

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ: إِذَا أَرَدْتُ أَنْ تَعْرِفَ الرَّجُلَ، فَانظُرْ كَيْفَ مَحْنُهُ إِلَى أَوْطَانِهِ، وَتَشَوُّقُهُ إِلَى إِخْوَانِهِ، وَبُكَاءُهُ عَلَى مَا مَضَى مِنْ زَمَانِهِ»^(٣).

لَيْسَ هَذَا فَحَسْبُ، بَلْ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ **ﷺ** إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَانظَرَ إِلَى جُدْرَاتِ الْمَدِينَةِ أَوْضَعَ رَأْسَهُ - أَي:

(١) مثير العزم الساكن لابن الجوزي (١٠٦/١).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣٨٠/٧).

(٣) أخرجه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم رقم (٣٣٢).

أَسْرَعَ بِهَا - وَإِنْ كَانَ عَلَى دَابَّةٍ حَرَّكَهَا مِنْ حُبِّهَا»^(١) .
 قَالَ ابْنُ حَجْرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ «فَتْحِ الْبَارِي»: «وَفِي الْحَدِيثِ دَلَالَةٌ عَلَى فَضْلِ الْمَدِينَةِ، وَمَشْرُوعِيَّةِ حُبِّ الْوَطَنِ وَالْحَنِينِ إِلَيْهِ»^(٢) .
 وَقَالَ إِمَامُ السِّيَرِ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ «سِيَرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ»: «وَكَانَ -أَيُّ: رَسُولِ اللَّهِ ﷺ- يُحِبُّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَيُحِبُّ أَبَاهَا»^(٣) ، وَيُحِبُّ أُسَامَةَ^(٤) ، وَيُحِبُّ سِبْطِيَّةَ^(٥) ، وَعَدَدَ أَشْيَاءَ يُحِبُّهَا، ثُمَّ قَالَ: «وَيُحِبُّ وَطَنَهُ»^(٦) .
 لِذَا كَانَ ﷺ كَمَا جَاءَ أَيْضًا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» يَقُولُ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ لِيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ»^(٧) .

- (١) أخرجه البخاري: كتاب فضائل المدينة، باب المدينة تنفي الخبث، رقم (١٨٨٦).
 (٢) فتح الباري (٣/٦٢١).
 (٣) أخرجه البخاري: كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كنت متخذًا خليلاً»، رقم (٣٦٦٢)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم (٢٣٨٤)، من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
 (٤) أخرجه البخاري: كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب زيد بن حارثة، رقم (٣٧٣٠)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، رقم (٢٤٢٦)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
 (٥) أخرجه البخاري: كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، رقم (٣٧٤٩)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، رقم (٢٤٢٢)، والترمذي: كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين، رقم (٣٧٨٢)، من حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
 (٦) سير أعلام النبلاء (١٥/٣٩٤).
 (٧) أخرجه البخاري: كتاب فضائل المدينة، باب كراهية النبي صلى الله عليه وسلم أن تعرى المدينة، رقم (١٨٨٩)، ومسلم: كتاب الحج، باب الترغيب في سكن المدينة، رقم (١٣٧٦)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وما ذلك إلا لأن هذه النفوس قد جُبلت على حبّ الوطن الذي وُلدت فيه أو عاشت فيه؛ لهذا كانت العربُ في الجاهلية إذا غزت أو سافرت حملت معها شيئاً من ترابِ البلدِ تستنشقه عند نزله، أو عند صداعٍ؛ لأنه يؤثّر فيها.

ليس هذا فحسب، بل جاء في «صحيح مسلم» قالت عائشة رضي الله عنها: إنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله إذا وجد من أحدٍ أنه قد اشتكى من ألمٍ، أو قرحة، أو جرح، أخذ سبّابته، وبَلَّ بها ريقه، ووضعها على ترابِ الأرض، ثم وضعها على موضعِ الألم، وقال: **«بِسْمِ اللَّهِ، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، يُشْفَى سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا»** ^(١).

فهناك ارتباطٌ مغروسٌ في هذه النفوسِ بين الأبدانِ والأوطانِ، قال أميرُ المؤمنينَ الخليفةُ الراشدُ عمرُ رضي الله عنه: «عمّر الله البلدانَ بحبِّ الأوطانِ» ^(٢).

وحبُّ الأوطانِ له مقوّماتٌ، وعلاماتٌ، ودلائلٌ، وهي:
العلامةُ الأولى: أن تحفظَ هويةَ وطنك، وهويةَ الوطنِ ليس في موروثِ توارثته الأجيال، ولا في أعرافٍ، أو تقاليد، بل هي في هذا الدينِ الذي ندينُ اللهَ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** به، وهو الإسلامُ، فالذي يُحبُّ وطنه يُكثرُ من صورِ الدينِ، ويجعلُ المجتمعَ والوطنَ وطناً ومجتمعاً مسلماً.

وقد قال الفاروقُ عمرُ رضي الله عنه كلمةً تُكتبُ بهاءِ الذهبِ، قال: **«إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ، فَأَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، فَمَهْمَا نَطَلَبُ الْعِزَّةَ بغيرِ ما أعزَّنَا اللهُ أَذَلَّنَا اللهُ»** ^(٣).

(١) أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب رقية النبي صلى الله عليه وسلم، رقم (٥٧٤٥)، ومسلم: كتاب السلام، باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة، رقم (٢١٩٤).

(٢) رسائل الجاحظ (٢/٣٨٩)، وربيع الأبرار للزمخشري (١/٢٨٦).

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرفائق (١/٢٠٧)، وأبو داود في الزهد رقم (٦٦)، والحاكم في المستدرک (١/٦١).

فَقَدْ جُبِلَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى أُمَّهَا لَا تَنَالُ الْعِزَّ، وَلَا السُّودَدَ إِلَّا بِالدِّينِ، فَكَلَّمَا
ابْتَعَدَتْ عَنِ الدِّينِ ابْتَعَدَتْ عَنِ الْعِزِّ وَالسُّودَدِ، فَالَّذِي يَحِبُّ وَطَنَهُ يَحْفَظُ عَلَيْهِ
هُوِيَّتَهُ، أَي: يَكُونُ فِي نَفْسِهِ مُسْلِمًا، وَيَسْعَى فِي تَكْثِيرِ سُودِ الْمُسْلِمِينَ فِي وَطَنِهِ.

العلامة الثانية: أن تكون صالحًا في نفسك، فبصلاحك يصلاح شأن الوطن في
كل مجال من مجالات الحياة، في أمنه، واقتصاده، وفي حياته الاجتماعية، والصحية،
فإذا صلح العبد صلح المجتمع، وصلحت البيئة، وما الوطن إلا مجتمع وبيئة.

جاء في كتاب «الزهد» لابن المبارك **رَحِمَهُ اللهُ** قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ **رَحِمَهُ اللهُ**:
«إِنَّ اللَّهَ لِيُصْلِحَ بِصَلَاحِ الْعَبْدِ وَلَدَهُ، وَوَلَدَ وَلَدِهِ، وَيَحْفَظُهُ فِي دُورَتِهِ وَالِدُورَاتِ
الَّتِي حَوْلَهُ مَا دَامَ فِيهِمْ»^(١). أَي: بِصَلَاحِكَ يَصْلِحُ الْمَجْتَمَعُ.

العلامة الثالثة: تجنب الفساد، ففسادك يفسد حال الوطن، فلا تقل:
فسادي على نفسي، فإنه كلما حصل فساد من أحد تضرر هو والوطن، وهذا كلام
الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** فَقَدْ قَالَ فِي سُورَةِ الرَّومِ: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي
النَّاسِ﴾ [الرؤم: ٤١].

وقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** فِي سُورَةِ الشُّورَى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا
كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

فأبى فساد في المجتمع، في اقتصاده، أو أمنه، أو وضعه الاجتماعي، فإن
سبب ذلك يرجع على أبناء الوطن، فليكن الإنسان صالحًا في نفسه.

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق (١/ ١١١ - ١١٢، رقم ٣٣٠)، وابن أبي شيبة في المصنف
رقم (٣٦٥٦٤).

وهذا أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُؤكِّد هذه العلامة الثالثة، حينما سمع رجلاً في مجلسه يقول: إِنَّ الظالم لا يظلم إلا نفسه. فقال له أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كذبت، والذي نفس أبي هريرة بيده، إنَّ الحُبَّارَى لتموتُ في وكرها من ظلم الظالم»^(١).
أي: إذا كان العبد ظالمًا تضررت الدواب، حتى الحبارَى في وكرها في أعلى الجبال أو في السماء تموت بسبب ظلم الظالم.

العلامة الرابعة: أَنْ تُتَقَنَّ عَمَلَكَ الَّذِي وَكَلَّ إِلَيْكَ، فإِتْقَانُ الْعَمَلِ دَلِيلٌ عَلَى حُبِّ الْوَطَنِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُحِبُّكَ عَلَى هَذَا الْإِتْقَانِ، قَالَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَّقِنَهُ». والحديث في «شعب الإيمان»^(٢).

العلامة الخامسة: أَنْ تَدْعُوَ لِلْوَطَنِ فِي سِرِّكَ، وَجَهْرِكَ، وَإِنَّكَ لَتَسْتَعْرَبُ مِنْ إِنْسَانٍ يُحِبُّ وَطَنَهُ وَلَا يَدْعُو لَهُ، وَرُبَّمَا دَعَا لَوْطَنِ بَعِيدٍ مِنْ أَوْطَانِ الْمُسْلِمِينَ قَدْ تَضَرَّرَ -وهذا مطلوبٌ- لَكِنْ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ أَنْ يَدْعُوَ لِأَوْلَائِكَ وَلَا يَدْعُوَ لَوْطَنِهِ، وَبَعْضُهُمْ لَا يَدْعُو؛ وَقَدْ جَاءَ فِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَعْجَزَ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ فِي الدُّعَاءِ»، رواه الطبراني في كتاب «الدعاء»^(٣)؛ وَقَالَ اللَّهُ

(١) أخرجه ابن الدنيا في العقوبات رقم (٢٦٩)، والبيهقي في الشعب رقم (٧٠٧٥).

(٢) أخرجه أبو يعلى في المسند رقم (٤٣٨٦)، والطبراني في المعجم الأوسط رقم (٨٩٧)، والبيهقي في الشعب رقم (٤٩٢٩).

(٣) أخرجه الطبراني في الدعاء رقم (٦٠)، وفي المعجم الأوسط رقم (٥٥٩١)، وأبو الشيخ في الأمثال رقم (٢٤٧)، والبيهقي في الشعب رقم (٨٣٩٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً. وروي عن أبي هريرة أيضاً موقوفاً؛ أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم (١٠١٥)، وأبو يعلى في المسند رقم (٦٦٤٩)، وابن حبان في صحيحه رقم (٤٤٩٨)، والبيهقي في الشعب رقم (٨٣٩٤).

تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ عَنِ دَعَاءِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

ورفع رسول الله ﷺ يديه ودعا: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ بِالْمَدِينَةِ ضِعْفِي مَا جَعَلْتَ بِمَكَّةَ مِنَ الْبَرَكَاتِ»^(١).

العلامة السادسة: أَنْ تَسْعَى فِي تَمَاسُكِهِ، وَوَحْدَتِهِ، وَلَا تُشْعِلَ فَتِيلًا يُؤَثِّرُ فِي هَذِهِ الْوَحْدَةِ، وَهَذَا التَّمَاسُكِ، فَالَّذِي يُحِبُّ وَطَنَهُ يَسْعَى فِي تَمَاسُكِهِ بِكُلِّ مَا أُوتِيَ مِنْ قُوَّةٍ، وَلَا يَضْرِبُ عَلَى أَيِّ وَتَرٍ يَفُكُّ هَذِهِ الْوَحْدَةَ وَهَذَا التَّمَاسُكَ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، فَلَا يَضْرِبُ عَلَى وَتَرٍ، أَوْ عِرْقٍ مِنَ الْأَعْرَاقِ، أَوْ طَائِفَةٍ مِنَ الطَّوَائِفِ، أَوْ جِنْسِيَّةٍ مِنَ الْجِنْسِيَّاتِ، بَلْ يَحْمَدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ جَمَعَنَا فِي وَطَنِ وَاحِدٍ، دِينُهُ وَاحِدٍ، وَإِلَهُهُ وَاحِدٌ، وَرَسُولُهُ ﷺ وَاحِدٌ، وَكِتَابُهُ وَاحِدٌ، وَكُلُّ مُقَوِّمَاتِ الْوَحْدَةِ فِيهِ مُجْتَمِعَةٌ، وَيُحَافِظُ عَلَى وَحْدَتِهِ بِحُسْنِ خُلُقِهِ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجَوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ»^(٢).

العلامة السابعة: الالْتِفَافُ حَوْلَ وَليِّ الْأَمْرِ، وَنُصْرَتُهُ، وَتَوْقِيرُهُ، وَإِجْلَالُهُ، وَعَدْمُ التَّعَرُّضِ لِمَا يُقَلِّلُ مِنْ قِيَمَتِهِ، فَالَّذِي يُحِبُّ وَطَنَهُ يَحِبُّ وَليِّ أَمْرِهِ، وَعُلَمَاءُ أَهْلِ

(١) أخرجه البخاري: كتاب فضائل المدينة، باب المدينة تنفي الخبيث، رقم (١٨٨٥)، ومسلم: كتاب

الحج، باب فضل المدينة، رقم (١٣٦٩)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٦/١٥٩)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

السنة والجماعة يقولون: «إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان، فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح، فاعلم أنه صاحب سنة»^(١). وكان الفضيل بن عياض **رَحِمَهُ اللهُ** يقول: «لو كانت لي دعوة مستجابة لجعلتها للسلطان»^(٢).

فالذي يُكرم ولي الأمر في كلامه، وتوقيره، وإجلاله، هذا دليل على إكرام الله له، فقد قال رسول الله **ﷺ**: «**مَنْ أَكْرَمَ سُلْطَانَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا، أَكْرَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا، أَهَانَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»^(٣).

العلامة الثامنة: أن تدافع عنه، تدافع عن كل شبر فيه، وأنت تحتسب الأجر، فقد قال رسول الله **ﷺ**: «**مَنْ مَاتَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**»^(٤)، فما الوطن إلا أهل، ومال، ودين، ودم.

وجاء عند ابن حبان في صحيحه: أن أبا هريرة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** وقف مُرابطاً على ثغرٍ من ثغور المسلمين، بعدما سمعوا صوتاً ولم يجدوا شيئاً فترجعوا، ووقف أبو هريرة هناك، فقال له رجل: يا أبا هريرة، ما يوقفك وما وجدنا شيئاً؟ قال:

(١) شرح السنة للبرهاري (ص: ١١٣).

(٢) أخرجه البرهاري في شرح السنة (ص: ١١٣)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٩١).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٤٢)، من حديث أبي بكر **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

(٤) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب في قتال اللصوص، رقم (٤٧٧٢)، والترمذي: كتاب الديات، باب ما جاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد، رقم (١٤٢١)، والنسائي: كتاب تحريم الدم، باب من قاتل دون دينه، رقم (٤٠٩٥)، وابن ماجه: كتاب الحدود، باب من قتل دون ماله فهو شهيد، رقم (٢٥٨٠)، من حديث سعيد بن زيد **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَوْقِفٌ سَاعَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ عِنْدَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ»^(١).

واعلم أنه ليس من علامات حبّ الوطن إقامة الحفلات الماجنة المختلطة، التي تختلط فيها الأجساد العارية بين رجالٍ ونساءٍ، فهذا ليس دليلاً على حبّ الوطن، ولا إعزازه، ولا نصرتة.

واعلم أنه ليس من علامات حبّ الوطن هذه المسيرات الصاخبة، وهذا الهرج، والإزعاج الذي يحصل في شوارعنا، بل هذا دليل على بغضه، فالذي يزعج الناس في منازلهم، وفي طرقاتهم، ويزعجهم في كل مكانٍ زعمًا أنه يحتفل بحبّ الوطن، يُقال له: هذا ليس علامة على حبّ الوطن، بل هو علامة على بغضه، فالعاقل هو الذي يستمسك بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كما تقدّم، وهو الذي يتجنب أسباب الفساد.



(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم (٤٦٠٣).



(٢٩)

ولا تستوي الحسنه ولا السيئه



يَنَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّ النَّاسَ فِي انْقِيَادِهِمْ لِأَمْرِهِ وَتَمِيهِ لَا يَسْتَوُونَ، فَهُمْ
يَنْقَسِمُونَ إِلَى فَرِيقَيْنِ:

* فَرِيقٌ أَطَاعَهُ وَانْقَادَ لِشَرْعِهِ.

* وَفَرِيقٌ عَصَاهُ وَانْقَادَ لَهْوَاهُ.

وَقَدْ بَيَّنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ فِي مَوَاضِعَ مُتَعَدِّدَةٍ.

فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

[المالك: ٢٢].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ

وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران: ١٦٢].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ

مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الظَّالِمِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٩].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا ۗ لَا يَسْتَوُونَ ﴾



[السجدة: ١٨].

وهم لا يستَوون أيضًا في مآلهم، فمآل هؤلاء أيضًا مختلفٌ.

قال الله سُبحانه وتعالى عن المآلين: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

وقال سُبحانه وتعالى: ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِيَّ آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ

إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠].

وقال سُبحانه وتعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ

الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠].

والسبب في ذلك أن العمل هو الذي يُميزُ العامل، وهو الذي يُحدِّدُ المآل،

فالعمل إما أن يكون طيبًا، وأهله طيبون، ومآلهم طيبٌ، وإما أن يكون خبيثًا،

وأهله خبيثون، ومآلهم خبيثٌ.

قال الله سُبحانه وتعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ

فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْتِي آلُ الْبَيْتِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠].

وقال سُبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ [فصلت: ٣٤].

والعبد في هذه الحياة الدنيا له أن يختارَ إما أن يكون في هذا الفريق، فيعمل

بمقتضى هذا الفريق، أو يختارَ ذلكَ الفريق، فالعملُ أمامه، والمآلُ قد بُيِّنَ له.

وأذكرُ بعضَ هذه الأعمالِ كأمثلةٍ يَسِيرُ عَلَيْهَا الإنسانُ، وهذه الأعمالُ أعمالٌ

مُتقابلةٌ، عملٌ صالحٌ يُقابلهُ عملٌ سوءٌ، ولنا أن نختارَ، والمآلُ واضحٌ، والكتابُ

بينَ أيدينا، ورسولُ الله ﷺ هادِينا، ليسَ في الأمرِ غِشٌّ، وإنَّما هوَ واضحٌ ووضوحُ

الشمسِ، مثالُ هذه الأعمالِ:

المِثَالُ الأوَّلُ: لا يَسْتَوِي الذَّاكِرُ لِلَّهِ وَالْغَافِلُ عَن ذِكْرِهِ، فاللهُ سُبحانه وتعالى لَمَّا

تَحَدَّثَ عَنِ الذَّاكِرِينَ اِمْتَدَحَهُمْ بِكَثْرَةِ الذِّكْرِ، فَقَالَ: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١].

فَهُمْ دَائِمُو الذِّكْرِ، وَالذِّكْرُ يُؤَثِّرُ فِيهِمْ، وَفِي قُلُوبِهِمْ، وَنَفْسِهِمْ.
فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَيَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢].
وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٣٤-٣٥].

فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَسْتَوِيَ الذَّاكِرُ لِرَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَالْغَافِلُ عَنِ الذِّكْرِ، هَكَذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى عِنْدَ الْبُخَارِيِّ، فَقَدْ قَالَ ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»^(١)، وَلَا يَسْتَوِي الْحَيُّ وَالْمَيِّتُ.
أَمَّا الْغَافِلُ فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُ فِي مَسْأَلَةِ الذِّكْرِ: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

هَذَا إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ يَذْكُرُهُ قَلِيلًا، وَلَكِنَّهُ لَا يَتَأَثَّرُ بِهَذَا الذِّكْرِ، بَلْ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ يَشْمَتُّ قَلْبُهُ، وَيَتَضَائِقُ، هَكَذَا قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، رقم (٦٤٠٧)، وأخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة النافلة في بيته، رقم (٧٧٩)، بلفظ: «مثل البيت الذي يذكر الله فيه، والبيت الذي لا يذكر الله فيه..».

الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ [الزمر: ٤٥].
 أي: إذا ذُكِرَ غيرُ اللهِ يَتَحَرَّكُ قَلْبُهُ، وَيَتَمَائِلُ طَرَبًا وَانْتِشَاءً، وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ اشْمَأَزَّ قَلْبُهُ وَتَضَايَقَ، فَتَرَاهُ يَتَضَايِقُ مِنْ طَوْلِ قِرَاءَةِ الْإِمَامِ، وَمِنْ صَوْتِ الْأَذَانِ، وَمِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، لَكِنَّهُ عِنْدَ الْغِنَا وَالْحَنَّا عَلَى اسْتِعْدَادٍ أَنْ يَقِفَ عَلَى قَدَمَيْهِ السَّاعَاتِ الطَّوَالَ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الذِّكْرِ وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ أَهْلِ الْغَفْلَةِ.

وقال ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ** فِي كِتَابِهِ «الْوَابِلِ الصَّيْبِ»: «وَالْغَافِلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ وَحِشَّةٌ لَا تَزُولُ إِلَّا بِالذِّكْرِ». وَقَالَ أَيْضًا: «إِنَّ مَجَالِسَ الذِّكْرِ مَجَالِسُ الْمَلَائِكَةِ، وَمَجَالِسُ اللَّغْوِ وَالْغَفْلَةِ مَجَالِسُ الشَّيَاطِينِ، فَلْيَتَخَيَّرِ الْعَبْدُ أَيُّهَا أَعْجَبُ إِلَيْهِ وَأَوْلَاهُمَا بِهِ، فَهُوَ مَعَ أَهْلِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(١). وَالْخِيَارُ بِيَدِ الْعَبْدِ.

المثال الثاني: الدعوة إلى الله، فلا يَسْتَوِي مَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ بِمَنْ دَعَا إِلَى غَيْرِهِ، وَلَا يَسْتَوِي دَعَاُ الْخَيْرِ بِدَعَاِ الشَّرِّ، وَلَا مَنْ دَعَا إِلَى الْحَقِّ بِمَنْ دَعَا إِلَى الْبَاطِلِ.

وهؤلاء -أي: دَعَاُ الْخَيْرِ وَالْحَقِّ- قَالَ اللهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي شَأْنِهِمْ: ﴿وَمَنْ**

أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ [فصلت: ٣٣].

هؤلاء الَّذِينَ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ الْخَيْرَ كَمْ يُحْصَلُونَ مِنَ الْأَجْرِ! وَكَمْ تُجْرِي لَهُمْ

بَعْدَ مَوْتِهِمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ!

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ عَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ كَانَ لَهُ ثَوَابُهَا مَا تَلَيْتُ»^(٢).

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٤٣).

(٢) عزاه السيوطي في جمع الجوامع (٩/٥٥٢، رقم ٢٢٣١٠) لابن لال، عن أبان، عن أنس

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وفي كنز العمال للمتقي الهندي رقم (٢٨٨٨٧): عن أبان، عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وتعليم الآيات أعظم أنواع الخير والدعوة إليه، فليُبشِّر دُعاة الخير الَّذِينَ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ الْخَيْرَ.

وجاء في «صحيح البخاري» أن رسول الله ﷺ قال لعلي رضي الله عنه: «فوالله لأن يَهْدِيَ بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ مِئَةِ النَّعَمِ»^(١).

وقال ﷺ كما جاء في «صحيح مسلم»: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا»^(٢).

يُقابِل هؤلاء دعاة الشرِّ، ووسطاء الشرِّ، مُنَسِّقو الحفلات، ومُنَسِّقو الباطل، الَّذِينَ يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى الرَّذِيلَةِ، هؤلاء الَّذِينَ قَبِلُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنْ تَكُونَ لَهُمْ سَيِّئَاتٌ جَارِيَةٌ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، الَّذِينَ يَنْشُرُونَ الْبِدْعَ وَالْبَاطِلَ.

قال الله سُبحانه وتعالى عنهم: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلِيسَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ [النحل: ٢٥].

وقال سُبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

يُلخِّص ذلك كله آية في سورة يس، قال الله تبارك وتعالى فيها: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام والنبوة، رقم (٢٩٤٢)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب، رقم (٢٤٠٦)، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، رقم (٢٦٧٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

المثال الثالث: لا يستوي الذي يدبُّ عن أعراض المؤمنين والمؤمنات، فلا يسمح لفلان أن يتكلم في فلان، أو أن يقدر في فلان، يسكت هذا، وذلك، فلا يستوي هذا بمن سمح لنفسه أن يقع في أعراض الآخرين، وينتهك حرمتهم، ويؤرّ عليهم، ويقول فيهم الباطل.

فقد جاء في «السنن الكبرى» للبيهقي من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ نَصَرَ أَخَاهُ بِظَهْرِ الْغَيْبِ نَصَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**»^(١).

وقال صلى الله عليه وسلم كما جاء في «سنن أبي داود»: «**مَنْ حَمَى مُؤْمِنًا مِنْ مُنَافِقٍ بَعَثَ اللَّهُ مَلَكًا يَحْمِي لَحْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ**»^(٢).

وقال صلى الله عليه وسلم كما جاء في «سنن الترمذي» من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه: «**مَنْ رَدَّ عَنْ عَرَضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»^(٣).

فلا يستوي هؤلاء بالذين يقعون في أعراض الناس ويأكلون لحومهم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا**﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ هُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نَحَاسٍ يَحْمُسُونَ وَجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيْلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ**

(١) السنن الكبرى للبيهقي (١٦٨/٨).

(٢) أخرجه أحمد (٤٤١/٣)، وأبو داود: كتاب الأدب، باب من رد عن مسلم غيبة، رقم (٤٨٨٣)،

من حديث معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد (٤٥٠/٦)، والترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الذب عن عرض

المسلم، رقم (١٩٣١).

يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»^(١). أي: يتكلم في فلانٍ وفلانٍ.
 والطامة الكبرى إذا تكلم في الناس وبرر هذا الكلام أنه من أجل مصلحة
 الدين، فبعض الناس يبرر لنفسه أنه يقع في الآخرين لمصلحة الدين والدعوة،
 ورُبما وقع في العلماء الربانيين الأتقياء!
 وقد قال رسول الله ﷺ: «وَمَنْ رَمَى مُسْلِمًا بِشَيْءٍ يُرِيدُ شَيْنَهُ بِهِ، حَبَسَهُ اللَّهُ
 عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ»^(٢).
 وقال ﷺ: «وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللَّهُ رَدْعَةَ الْحَبَالِ حَتَّى
 يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ»^(٣)، وكلا الحديثين في «سنن أبي داود».
 والأمثلة على ذلك كثيرة، ويُلخص ذلك كله قول الحق ﷻ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي
 سُورَةِ فُصِّلَتْ: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٤٠) [فُصِّلَتْ: ٤٠]. والمأل واضح،
 والخيار بأيدينا.



(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢٢٤)، وأبو داود: كتاب الأدب، باب في الغيبة، رقم (٤٨٧٨)، من حديث
 أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
 (٢) أخرجه أحمد (٣/ ٤٤١)، وأبو داود: كتاب الأدب، باب من رد عن مسلم غيبة، رقم (٤٨٨٣)،
 من حديث معاذ بن أنس الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
 (٣) أخرجه أحمد (٢/ ٧٠)، وأبو داود: كتاب الأقضية، باب في من يعين على خصومة من غير أن
 يعلم أمرها، رقم (٣٥٩٧)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.



(٣٠)

السَّمْتُ الْحَسَنُ



السَّمْتُ الْحَسَنُ هُوَ زِينَةُ الْأَخْلَاقِ وَرَأْسُ الْأَدَابِ، وَهُوَ يُلْبَسُ صَاحِبَهُ ثَوْبَ الْمَهَابَةِ وَالرِّزَانَةِ وَالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ، وَهُوَ مَطْلَبُ الْعُلَمَاءِ الْأَتْقِيَاءِ، وَغَايَةُ الْأَكَارِمِ النَّبِلَاءِ.

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كُنَّا نَأْتِي الرَّجُلَ مَا نُرِيدُ عِلْمَهُ، لَيْسَ إِلَّا أَنْ نَتَعَلَّمَ مِنْ هَدِيهِ وَسَمْتِهِ وَدَلُّهُ»^(١).

وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: كَانَ يَجْتَمِعُ فِي مَجْلِسِ أَحْمَدَ زُهَاءَ خَمْسَةِ آلَافٍ أَوْ يَزِيدُونَ، أَقَلُّ مِنْ خَمْسِ مِئَةِ يَكْتُبُونَ، وَالْبَاقِي يَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ حُسْنَ الْأَدَبِ وَحُسْنَ السَّمْتِ»^(٢).

وَهَذَا مَالِكُ إِمَامُ دَارِ الْهَجْرَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ عَنْ نَفْسِهِ حِينَ كَانَ صَغِيرًا: «كَانَتْ أُمِّي تُعَمِّمَنِي وَتَقُولُ لِي: اذْهَبْ إِلَى رِبِيعَةَ - شَيْخِ مَالِكِ الَّذِي عَلَّمَهُ - وَتَعَلَّمْ مِنْ أَدَبِهِ قَبْلَ عِلْمِهِ»^(٣).

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان رقم (٨١٥٥).

(٢) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص: ٢٨٨).

(٣) مسند الموطأ لأبي القاسم الجوهري (ص: ٣٠٢)، وترتيب المدارك للقاضي عياض (١/ ١٣٠).

وهذا ابنُ المباركِ العالمُ الربَّانيُّ **رَحْمَةُ اللَّهِ** يقولُ: «كَادَ الْأَدَبُ أَنْ يَكُونَ ثُلْثِي الدِّينِ»^(١).

وهو القائلُ **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «نَحْنُ إِلَى قَلِيلٍ مِنَ الْأَدَبِ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْعِلْمِ»^(٢).

وكلُّ هذا الحرصِ على السِّمَةِ الحَسَنِ، وحُسْنُ الْأَدَبِ سببُهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ كَمَا جَاءَ فِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ»: «إِنَّ الْهُدْيَ الصَّالِحَ، وَالسَّمْتَ الصَّالِحَ، وَالْاِقْتِصَادَ جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوَّةِ»^(٣).

وقال **رَحْمَةُ اللَّهِ** كَمَا جَاءَ فِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ»: «خَصْلَتَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي مُنَافِقٍ: حُسْنُ سَمْتٍ، وَالْفِقْهُ فِي الدِّينِ»^(٤).

والسَّمْتُ الحَسَنُ مُطْلَبٌ وَغَايَةٌ لَا بَدَّ أَنْ تُتْبَعَ حَتَّى تُدْرِكَ، وَلَهُ أَرْبَعُ عِلَامَاتٍ يُعْرَفُ بِهَا صَاحِبُهَا، وَهِيَ:

الْعِلَامَةُ الْأُولَى: التَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ، وَالْحَدِيثُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ لَيْسَ بِاللِّسَانِ فَحَسْبُ، وَلَكِنَّهُ اعْتِرَافٌ فِي الْجَنَانِ، وَحَدِيثٌ بِاللِّسَانِ، وَإِظْهَارٌ بِهَا عَلَى الْأَبْدَانِ وَالْأَرْكَانِ. أَي: أَنْ تَتَحَدَّثَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** فَتَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعْمِهِ، وَأَنْ

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي (٢/ ٣٣٠).

(٢) معجم ابن المقرئ رقم (٨٧١)، والرسالة القشيرية (٢/ ٤٤٧).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٢٩٦)، وأبو داود: كتاب الأدب، باب في الوقار، رقم (٤٧٧٦)، من حديث

ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**.

(٤) أخرجه الترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، رقم (٢٦٨٤)، من

حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

يُظهِرَ عَلَيْكَ أَثْرَ هَذِهِ النِّعْمَةِ، وَأَنْ تَعْتَرِفَ بِهَا فِي قَلْبِكَ أَنَّهَا مِنَ الْمُنْعَمِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**،
فَاللَّهُ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** يَقُولُ: ﴿وَأَمَّا نِعْمَةَ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (١١) ﴿الضحى: ١١﴾.

وَجَاءَ فِي «سُنَنِ النِّسَائِيِّ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي الْأَحْوَصِ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**
أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ **ﷺ** فِي ثَوْبٍ دُونَ، مِمَّا لَفَّتَ بِذَلِكَ نَظَرَ النَّبِيِّ **ﷺ** فَسَأَلَهُ: «أَلَيْكَ مَالٌ؟»
قَالَ: نَعَمْ مِنْ كُلِّ الْمَالِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ **ﷺ**: «مِنْ أَيِّ الْمَالِ؟» قَالَ: قَدْ آتَانِي اللَّهُ مِنْ
الْإِبِلِ وَالغَنَمِ وَالخَيْلِ وَالرَّقِيقِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ **ﷺ**: «إِذَا آتَاكَ اللَّهُ مَالًا فَلْيُرِّ عَلَيْكَ أَثْرُ
نِعْمَةِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ» (١).

فَهَذَا مِنَ السَّمْتِ الْحَسَنِ؛ لِأَنَّكَ تَمْلِكُ ذَلِكَ.

وَقَالَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وَالْحَدِيثُ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثْرَ نِعْمَتِهِ عَلَى
عَبْدِهِ» (٢).

الْعَلَامَةُ الثَّانِيَةُ: الْإِعْتِدَالُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، فِي مَشِيكَ، وَقَوْلِكَ، وَصَمْتِكَ، وَفِي
كُلِّ حَيَاتِكَ، هَذَا هُوَ السَّمْتُ الْحَسَنُ، وَتَدَبَّرْ قَوْلَ الْحَقِّ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿وَأَقْصِدْ فِي
مَشِيكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتِ الْحَمِيرِ﴾ (١٩) ﴿لقمان: ١٩﴾.

وَتَدَبَّرْ هَذِهِ الْمَقُولَاتِ الَّتِي نَقَلَهَا لَنَا سَلَفُ الْأُمَّةِ، فَهَذَا حَدِيثٌ يَتَحَدَّثُ بِهِ
ابْنُ عَبَّاسٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** قَبْلَ أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِئَةِ عَامٍ، يَتَحَدَّثُ بِهِ الْمَعَاصِرُونَ الْيَوْمَ عَلَى
إِعْتِبَارٍ أَنَّهُ مِنْ أَدَبِ الْحَدِيثِ، وَمِنْ أَدَبِ الْمَجَالِسَةِ، قَالَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «لِجَلِيسِي عَلِيٍّ

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ: كِتَابُ اللَّبَاسِ، بَابُ فِي غَسْلِ الثَّوْبِ، رَقْمٌ (٤٠٦٣)، وَالنِّسَائِيُّ: كِتَابُ الزَّيْنَةِ،
بَابُ الْجَلَّاجِلِ، رَقْمٌ (٥٢٢٤).

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٨٢/٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ: كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ مَا جَاءَ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى يَجِبُ أَنْ يَرَى أَثْرَ
نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ، رَقْمٌ (٢٨١٩)، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**.

ثلاثٌ: أَنْ أَرَمِيَهُ بَطْرَفِي إِذَا أَقْبَلَ، وَأَنْ أَوْسَعَ لَهُ إِذَا جَلَسَ، وَأُصْغِيَ إِلَيْهِ إِذَا تَحَدَّثَ»^(١).

وجاء بعده الحسنُ البصريُّ رَحْمَةُ اللَّهِ فَقَالَ كَلِمَاتٍ كَالدَّرِّ تَنْظُمُ لَنَا عِلَاقَتَنَا مَعَ الْآخِرِينَ فِي مَظْهَرٍ مِنْ سَمْتٍ حَسَنِ، قَالَ: «إِذَا جَالَسْتِ فَكُنْ عَلَى أَنْ تَسْمَعَ أَحْرَصَ مِنْكَ عَلَى أَنْ تَقُولَ، وَتَعَلَّمْ حُسْنَ الْاسْتِمَاعِ كَمَا تَتَعَلَّمُ حُسْنَ الْقَوْلِ، وَلَا تَقْطَعْ عَلَى أَحَدٍ حَدِيثَهُ»^(٢)؛ هَذَا هُوَ الْهَدْيُ الصَّالِحُ، وَالسَّمْتُ الصَّالِحُ.

الْعَلَامَةُ الثَّلَاثَةُ: تَرَكَ فُضُولَ كُلِّ شَيْءٍ، فَهَذَا دَلِيلٌ وَعَلَامَةٌ عَلَى حُسْنِ السَّمْتِ، وَأَبْرَزُ هَذِهِ الْفُضُولِ الْفُضُولُ الْكَلَامِ وَفُضُولُ النَّظْرِ، أَمَّا فُضُولُ الْكَلَامِ، فَقَدْ حَدَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَنَا حُدُودًا فَقَالَ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(٣١) [الإسراء: ٣٦].

وَحَدَّ لَنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَدًّا آخَرَ فَقَالَ: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].
وَحَدَّ لَنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَدًّا ثَالِثًا فَقَالَ: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١١٤) [النساء: ١١٤].

وَحَدَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيْضًا حُدُودًا لِتَرَكَ فُضُولِ الْكَلَامِ، فَقَالَ كَمَا جَاءَ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»^(٣).

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة (١/ ٤٢٥).

(٢) أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق رقم (٧٣١).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، رقم (٦٠١٨)، ومسلم:

كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، رقم (٤٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال ﷺ في الحديث الآخر عن الترمذي: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ، تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»^(١).

فهذا حُسنٌ سَمِتٍ وهَدْيٍ وأدبٍ.

أَمَّا فَضُولُ النَّظَرِ فَهُوَ أَنْ تَسْمَحَ لِنَظَرِكَ أَنْ يَسْبَحَ وَيَتَمَدَّدَ فِيهَا فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَفِيهَا يَفْعَلُ النَّاسُ حَتَّى تَتَخَلَّلَ نَوَايَاهُمْ وَظُنُونَهُمْ، فَهَذَا لَيْسَ مِنَ السَّمِتِ الْحَسَنِ، وَلَا مِنَ حُسْنِ الْأَدَبِ.

وقد خاطبَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ فِي مَوْضِعَيْنِ مِنْ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ، وَالْخَطَابُ لِلْأُمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ:

أَمَّا الْمَوْضِعُ الْأَوَّلُ فَفِي سُورَةِ الْحَجْرِ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَأخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨].

وَالْمَوْضِعُ الثَّانِي فِي سُورَةِ طه قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٣١].

وَكذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي تَوْجِيهِ مَا أَرُوَعَهُ وَمَا أَجْمَلَهُ: «انظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ»^(٢).

فحُسنُ السَّمِتِ خَلْقٌ كَرِيمٌ وَقِيَمَةٌ رَاقِيَةٌ.

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الزهد، رقم (٢٣١٧)، وابن ماجه: كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، رقم (٣٩٧٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب لينظر إلى من هو أسفل منه، رقم (٦٤٩٠)، ومسلم: كتاب الزهد والرقائق، رقم (٩/٢٩٦٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

العلامةُ الرابعةُ: المروءةُ، وقد قيلَ فيها: «المروءةُ هي الرجوليَّةُ الكاملةُ»^(١).
 وحينما سُئِلَ الأحنفُ: ما هي المروءةُ؟ قال: ألاَّ يعملَ في السرِّ ما يستحيي من
 عمله في العلانية^(٢).

وقد لخصَّها الناظمُ فقال:

إِذَا جَلَسْتَ وَكَانَ مِثْلَكَ قَائِمًا فَمِنَ الْمُرُوءَةِ أَنْ تَقُومَ وَإِنْ أَبَى
 وَإِذَا اتَّكَأْتَ وَكَانَ مِثْلَكَ جَالِسًا فَمِنَ الْمُرُوءَةِ أَنْ تُزِيلَ الْمُتَكِّا
 وَإِذَا رَكَبْتَ وَكَانَ مِثْلَكَ مَاشِيًا فَمِنَ الْمُرُوءَةِ أَنْ تَسِيرَ كَمَا مَشَى^(٣)

فالمروءةُ علامةٌ بارزةٌ في حُسنِ السِّمَةِ، وفي صاحبِ السِّمَةِ الحَسَنِ.
 وهذه قيمٌ وأخلاقٌ لا تتحمَّلُها إلاَّ النفوسُ الكبيرةُ، والعاقلُ هو مَنْ تَخَلَّقَ
 بها وقاومَ وجاهدَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهَا، فَإِنَّ صَاحِبَهَا مَحْمُودٌ فِي دُنْيَاهُ، وَفِي
 آخِرَتِهِ.



(١) الكليات للكفوي (ص: ٨٧٤).

(٢) المروءة لابن المرزبان (ص: ١٠٦)، والمخلصيات لأبي طاهر رقم (٣٠٣٨)، ومحاضرات الأدباء
 للراغب الأصفهاني (١/٣٦٩)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٢٤/٣٣٧).

ونسب هذا القول الجاحظ في البيان والتبيين (٢/١٢٢)، وابن قتيبة في عيون الأخبار (١/٤١٢)،
 والزجاجي في الأمالي (ص: ٢٠٧) لمحمد بن عمران التيمي.

(٣) أدب الدنيا والدين للهاوردي (ص: ١٦٥).



(٣١)

الحياةُ فُرصةٌ

• • ❁ • •

الحياةُ فُرصةٌ للجادِّينَ في طلبِ أعالي الجنانِ، وفُرصةٌ لتزكيةِ النفوسِ
وتطهيرِ الجنانِ، وفُرصةٌ للتزودِ فيها بأحسنِ الزادِ لدارِ المعادِ.

تَزَوَّدْ مِنَ الدُّنْيَا بِسَاعَتِكَ الَّتِي ظَفِرْتَ بِهَا مَا لَمْ يَعُقُّكَ الْعَوَائِقُ
فَلَا يَوْمُكَ الْمَاضِي عَلَيْكَ بِعَائِدٍ وَلَا يَوْمُكَ الْآتِي بِهِ أَنْتَ وَائِثِقُ^(١)

والحياةُ مرَّةٌ، فلا تَجْعَلْهَا مُرَّةً، بل اجتهِدْ في جعلِها حُلوةً طيِّبةً، ولا يَتَأْتِي لَكَ
ذَلِكَ إِلَّا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ الْمُقْرُونِ بِالْإِيْمَانِ الْحَقِّ.

فَقَدْ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَلَنَجْجِيَنَّهُ حَيوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

والحياةُ فُرصةٌ، أنفاسُها، لحظاتها، ساعتُها، أيامُها، شهورُها، سنواتُها، فُرصةٌ
لِمَنْ اسْتَعْلَمَهَا خَيْرَ اسْتِعْلَالٍ، في خيري الدُّنيا والآخرة؛ لِأَنَّهَا إِذَا ذَهَبَتْ لَا تَعُودُ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ [٩١] لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا

(١) مجموعة القصائد الزهديات لعبد العزيز السلطان (١/٤٧٦)، غير منسوب.

فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ «الْفَوَائِدُ»: «وَالسَّنَةُ شَجَرَةٌ وَالشُّهُورُ فُرُوعُهَا، وَالْأَيَّامُ أَغْصَانُهَا، وَالسَّاعَاتُ وَرُقُفُهَا، وَالْأَنْفَاسُ ثَمَرُهَا، فَمَنْ كَانَتْ أَنْفَاسُهُ فِي طَاعَةِ فِئْمَرَةٍ شَجَرَتِهِ طَيِّبَةً، وَإِنْ كَانَتْ فِي مَعْصِيَةِ فِئْمَرَتِهِ حَنْظَلٌ، وَإِنَّمَا يَكُونُ الْجَدَادُ يَوْمَ الْمَعَادِ، فَعِنْدَ الْجَدَادِ يَتَبَيَّنُ حُلُوُّ الشَّارِ مِنْ مَرَّهَا»^(١).

وَالْحَيَاةُ فُرْصَةٌ لِمَنْ تَقَدَّمَ وَاسْتَغْلَهَا.

تَدَبَّرْ قَوْلَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَهُوَ يَفْضُلُ مَنْ أَسْلَمَ قَبْلَ عَامِ الْفَتْحِ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ بَعْدَهُ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَنْدَلٌ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللهُ الْحَسَنَى وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠٠﴾﴾ [الحديد: ١٠].

وَتَدَبَّرْ أَيْضًا حِينَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا جَاءَ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي زُمْرَةٌ هُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا، تُضِيءُ وُجُوهُهُمْ إِضَاءَةَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ» فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهُ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ. قَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ»، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهُ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ. قَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»^(٢).

(١) الفوائد (ص: ١٦٤).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب، رقم (٦٥٤٢)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، رقم (٢١٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ولأنَّ الحياةَ فرصٌ، فإنَّ لم تتقدَّم لفرصتك التي تهيأت لك، تقدَّم لها غيرك.
والحياةُ كُلُّها فرصةٌ وفيها فرصٌ مُتعدِّدةٌ، قال رسولُ الله ﷺ: «اغتنمَ خمسًا
قَبْلَ خمسٍ»

خمسُ فرصٍ يَعقُبُها خمسُ عوائقٍ، والعاقِلُ من اغتنمَ هذهِ الفرصَ قبلَ
حدوثِ العائقِ، كما قالَ خالدُ بنُ معدانٍ في كَلِمَةٍ رَائعةٍ: «إذا فَتَحَ لأحدِكُم بابَ
الخيرِ فليسرِعْ إليه قبلَ أن يُغلقَ دونه»^(١). أي: إذا فَتَحَ بابَ الخيرِ وتَهيأَ لك الولوجُ
والدخولُ فتقدَّم.

فرسولُ الله ﷺ يقولُ: «اغتنمَ خمسًا قَبْلَ خمسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ،
وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ
مَوْتِكَ»^(٢).

والشبابُ فُرصةٌ إذا ذهبَ فلنَ يعودَ، وفيه القوَّةُ والفراغُ والصحةُ والعطاءُ
والتضحيةُ، والدقائقُ فيه محسوبةٌ كما قالَ أحمدُ شوقي:

دَقَّاتُ قَلْبِ الْمَرْءِ قَائِلَةٌ لَهُ إِنَّ الْحَيَاةَ دَقَائِقٌ وَثَوَانٍ
فَارْفَعْ لِنَفْسِكَ بَعْدَ مَوْتِكَ ذِكْرَهَا فَالذِّكْرُ لِلْإِنْسَانِ عُمُرٌ ثَانٍ^(٣)

(١) أخرجه أحمد في الزهد رقم (٢٢٦٥)، وأبو نعيم في الحلية (٥/٢١١).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (٤/٣٠٦)، والبيهقي في الشعب رقم (٩٧٦٧)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٣) الشوقيات لأحمد شوقي (٣/١٥٨).

والعاقل هو الذي يتعامل مع هذه الحياة تعامل الفرص؛ لأنه سيُسأل عن هذه الفرصة يوم القيامة، لماذا فوتتها؟ فقد قال رسول الله ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ»^(١).

نعم هي فرص، فلا تقل: تفوت. فإنها إذا فاتت ستُسأل عنها يوم القيامة. هذه فرص والعاقل من اغتنمها، فالصحة فرصة، والفراغ فرصة؛ قال رسول الله ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ..»^(٢).

والواحد منا أمام هذه الفرص إما أن يُغبط، أو أن يُغبن، والمغبوط هو من استفاد من هذه الفرصة، والمغبون هو الذي خسر هذه الفرصة. والصحة لا تدوم كما أن الفراغ لا يدوم، والغنى واليسار فرصة أن تستثمرها في الدنيا في مصلحتك ومصلحة ذريتك، وتستثمرها في الآخرة وذلك أعظم. وانظر إلى هذا الذي جاءه الغنى فضيَّع أمواله، فلم يُحسن استثمارها في الدنيا، انظر إلى حسرتة كيف تكون، وانظر إلى أسفه كيف يكون! فكيف بالذي ضيَّع استثمار الآخرة.

(١) أخرجه الترمذي: كتاب صفة القيامة، باب في القيامة، رقم (٢٤١٧)، من حديث أبي برزة الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب لا عيش إلا عيش الآخرة، رقم (٦٤١٢)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وتدبر قول الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: **﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ﴾**
فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ [المنافقون: ١٠].
 فالعمل الأول الذي يُريد أن يبادر إليه بعد أن يعود -لو عاد-: **﴿فَأَصَّدَّقَ﴾**
وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، لكن الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** قَالَ: **﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾**
 [المنافقون: ١١].

ومن الفرص التي ينبغي أن تُستغل في هذه الحياة الدنيا، أنك إذا وجدت في نفسك إقبالا على الطاعة فاستغل هذه الفرصة؛ فإنَّ للنفوس إقبالا كما أنَّ لها إقبالا، فإذا أقبَلت فافتح لها أبواب الطاعات، وافتح لها أبواب النوافل، كما قال عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: «إِنَّ لِهَذِهِ الْقُلُوبِ إِقْبَالَ وَإِدْبَارًا، فَإِذَا أَقْبَلَتْ فَخُذُوهَا بِالنَّوَابِلِ، وَإِنْ أَدْبَرَتْ فَأَلْزِمُوهَا الْفَرَائِضَ»^(١).

والحياةُ فرصةٌ فتحلَّ من المظالم قبل أن تُغادر هذه الدنيا، فكلِّمنا مرَّ علينا يومٌ وأشرقت شمس ذلك اليوم هي لنا فرصة أن نتحلل من المظالم، فإن كان للآخرين مظلمةٌ عندك فتحلَّ منها اليوم، سواء كانت في عرض، أو مال، أو نفس.

فقد جاء في «صحيح البخاري» من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ مِنْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٣/ ١٢٢).

أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ، فَحُمِلَ عَلَيْهِ»^(١).

والحياةُ فُرْصَةٌ لِمَنْ عَقَلَ ذَلِكَ، فَيَنْبَغِي أَنْ تُسْتَغْلَلَ، وَلَا يُدْرِكُ ذَلِكَ إِلَّا الْعَاقِلُونَ الرَّاشِدُونَ، فَلْنُبَادِرْ جَمِيعًا بِاسْتِغْلَالِهَا فِي التَّوْبَةِ إِلَى اللَّهِ، فَالْحَيَاةُ فُرْصَةٌ لِمَنْ كَانَ وَاقِعًا فِي الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، وَكَانَ وَاقِعًا فِي التَّفْرِيطِ فِي عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَنْ يُبَادِرَ وَيَتَوَبَّ إِلَى اللَّهِ، فَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَكْرَمَنَا وَأَنْعَمَ عَلَيْنَا بِأَنَّهُ إِذَا تَابَ الْعَبْدُ تَوْبَةً نَصُوحًا تَابَ عَلَيْهِ.

وَتَدَبَّرْ هَذَا الْحَدِيثَ الْعَظِيمَ الَّذِي يُجْرِكُ فِي نَفْسِنَا الرِّغْبَةَ فِي اسْتِغْلَالِ هَذِهِ الْفُرْصَةِ، وَهِيَ أَنَّ الْمَلِكَ الْمَوْكُلَ بِكِتَابَةِ السَّيِّئَاتِ يَرْفَعُ قَلَمَهُ حَتَّى تَسْتَغْفَرَ، فَأَيُّ فُرْصَةٍ أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ الْفُرْصَةِ؟!

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِنَّ صَاحِبَ الشَّيْءِ لِيَرْفَعُ الْقَلَمَ سِتَّ سَاعَاتٍ عَنِ الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ الْمُخْطِئِ أَوْ الْمُسِيءِ، فَإِنْ نَدِمَ وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ مِنْهَا أَلْقَاهَا، وَإِلَّا كُتِبَتْ وَاحِدَةً»^(٢).**

فَهِيَ فُرْصَةٌ أَنْ تُلْقَى عَنْكَ تِلْكَ السَّيِّئَةُ، إِذَا نَدِمْتَ وَاسْتَغْفَرْتَ اللَّهَ مِنْهَا. فَالْحَيَاةُ فُرْصَةٌ أَنْ تَسْتَغْفَرَ اللَّهَ مِمَّا مَضَى مِنْ ذُنُوبِنَا وَسَيِّئَاتِنَا، وَبَابُ التَّوْبَةِ لَيْسَ ثُمَّ شَيْءٌ أَوْسَعُ مِنْهُ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِنَّ لِلتَّوْبَةِ بَابًا عَرُضٌ مَا بَيْنَ مَضْرَاعَيْهِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ**

(١) أخرجه البخاري: كتاب المظالم، باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له، رقم (٢٤٤٩).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨/١٨٥، رقم ٧٧٦٥)، والبيهقي في الشعب رقم (٦٦٥٠)،

من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَالْمَغْرِبِ، لَا يُغْلَقُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»^(١).

وهي فرصة للعباد أن يتوبوا، جعلنا الله ممن يستغل هذه الفرص ويتوب ويؤوب إلى ربه تبارك وتعالى.



(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨/٦٥، رقم ٧٣٨٣)، من حديث صفوان بن عسال

رضي الله عنه.

وأخرجه بنحوه: أحمد (٤/٢٤٠)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار، رقم (٣٥٣٥)، وابن ماجه: كتاب الفتن، باب طلوع الشمس من مغربها، رقم (٤٠٧٠).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مُقَدِّمة المجموعة السَّابِعة	٥
مُقَدِّمة المجموعة الأولى	٦
١ - المشي في حاجة الناس	٩
قضاء حوائج الناس عبادةً ميَّزها اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بمزايا، منها:	١١
الميزة الأولى: أنَّها اصطفاؤه واختياره من الله	١١
الميزة الثانية: أنَّ الذي يقضي حوائج الناس هو أحبُّ الناس إلى الله	١٢
الميزة الثالثة: أنَّ الله وعدك بطوبى	١٢
الميزة الرابعة: أنَّ الله سبحانه وتعالى يقضي حاجتك	١٢
٢ - توجيهات في تحصيل الحسنات	١٦
ملاحظات حول تحصيل الحسنات:	١٦
الملاحظة الأولى: أنَّ المسلم عينه على الحسنة	١٦
الملاحظة الثانية: أنَّ ما يحصله العبد من حسنات هي ليست ثمناً لعمله	١٧
الملاحظة الثالثة: ميَّز اللهُ هذه الأمة بأن ضاعف لها الحسنات	١٧
الملاحظة الرابعة: البوابة الأولى لتحصيل الحسنات هي الإخلاص	١٧
الملاحظة الخامسة: أنَّ العبد قد تتابع عليه الحسنات، ولو توقَّف عن العمل	١٨

٣- الوقار خُلِقَ الكِبَارِ ١٩

- ١٩ ما هو الوقار؟
- ٢٠ امتدَحَ اللهُ خُلُقَ الوقارِ، وحَدَّرَ مِنْ ضِدِّهِ
- ٢٢ أُمُورٌ تُعِينُ عَلَى اكْتِسَابِ خُلُقِ الوقارِ:
- ٢٢ المُعِينُ الأوَّلُ: أَنْ يَسْكُنَ القَلْبُ
- ٢٢ المُعِينُ الثَّانِي: عَلَيْكَ بِتَدَبُّرِ سِيَرِ الأنبياءِ
- ٢٣ المُعِينُ الثَّالِثُ: كُنْ قَرِيبًا مِنَ العُلَمَاءِ وَبَيْنَ أَيْدِيهِمْ
- ٢٤ مِنْ خَوَارِمِ الوقارِ

٤- الشَّهَوَاتُ وَمَدَارُ النِّجَاةِ ٢٥

- ٢٦ جَرِيمَةُ الزَّنا أَبْشَعُ الجِرَائِمِ، وَأَكْبَرُ الكِبَائِرِ، وَيُمْكِنُ تَحْصِينُ نَفْسِكَ بِأُمُورٍ:
- ٢٦ الأَمْرُ الأوَّلُ: حَصِّنْ نَفْسَكَ مِنَ الزَّنا بِنِإَاءِ قَوِيٍّ تَبْنِيهِ فِي نَفْسِكَ
- ٢٦ تَعَاهَدْ هَذَا الجِدَارَ بِأَمْرَيْنِ اثْنَيْنِ:
- ٢٦ ١- تَسْتَشْعِرُ عِظْمَةَ الرَّبِّ
- ٢٦ ٢- تُكثِرُ مِنَ العَمَلِ الصَّالِحِ
- ٢٨ الأَمْرُ الثَّانِي: إِذَا حَصَّنْتَ جِدَارَكَ فَعَلَيْكَ بِحِمَايَتِهِ مِنَ الآفَاتِ
- ٢٨ الحِمَايَةُ تَكُونُ بِأَمْرَيْنِ اثْنَيْنِ:
- ٢٨ ١- عَضُّ البَصْرِ
- ٢٩ ٢- الزَّوْاجِ
- ٣٠ الأَمْرُ الثَّالِثُ: عَلَيْكَ بِتَعَاهِدِ هَذَا الجِدَارِ

- التعاهدُ يَكُونُ بِأَمْرَيْنِ: ٣٠
- ١ - التوبة..... ٣٠
- ٢ - الدعاء..... ٣١
- ٥ - تَنْمِيَةُ الذَّاتِ وَسُبُلُ تَطْوِيرِهَا ٣٣**
- مُصْطَلَحُ التَّنْمِيَةِ الْبَشَرِيَّةِ..... ٣٣
- أركانُ بِنَاءِ النَفْسِ، وَتَنْمِيَةِ الذَّاتِ: ٣٣
- الرَّكْنُ الْأَوَّلُ: حُسْنُ الثَّقَةِ بِاللَّهِ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ..... ٣٣
- الرَّكْنُ الثَّانِي: حُسْنُ الْإِنْتِقَالِ مِنَ السَّيِّئَةِ إِلَى الْحَسَنَةِ..... ٣٥
- الرَّكْنُ الثَّلَاثُ: حُسْنُ الدُّعَاءِ وَالطَّلِبِ..... ٣٧
- ٦ - حَافِظُ عَلَى وَزْنِكَ ٣٩**
- التَّبَهُ إِلَى مُحِيطَاتِ الْأَعْمَالِ وَمُفْسِدَاتِهَا..... ٤٠
- الإرشاد إلى مسائل: ٤١
- المسألة الأولى: أعمال من صور الكفر لا يُنتبه لها..... ٤١
- لها صورتان: ٤١
- الصورة الأولى: الاستهزاء بالدين..... ٤١
- الصورة الثانية: كراهية شيء من أحكام الدين..... ٤١
- المسألة الثانية: العمل لغير الله..... ٤١
- المسألة الثالثة: المفلس يوم القيامة..... ٤٢

٧- خطرُ السُّقُوطِ الأخلاقيِّ في زمنِ الفِتَنِ ٤٤

٤٤ من صور السُّقُوطِ الأخلاقيِّ:

٤٥ الصورةُ الأولى: إشاعةُ الفِرَى والبُهتانِ

٤٦ أحاديثُ ثلاثةٌ في التحذيرِ من البُهتانِ والكذبِ:

٤٦ الحديثُ الأوَّلُ: حديثُ أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لَمَّا عُرِجَ بِي ..»

٤٦ .. الحديثُ الثاني: حديثُ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وَمَنْ رَمَى مُسْلِمًا بِشَيْءٍ ..»

٤٧ الحديثُ الثالثُ: حديثُ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ»

٤٧ الصورةُ الثانيةُ: الاشتغالُ بالجدلِ

٤٨ الصورةُ الثالثةُ: عدمُ التثبُّتِ من نَشْرِ الأخبارِ

٨- الوَصِيَّةُ بالوالِدَيْنِ ٥١

٥١ الوَصِيَّةُ بالوالِدَيْنِ قُرِنَتْ بتوحيدِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

٥٢ الوَصِيَّةُ بالوالِدَيْنِ وَإِنْ كَانَا مُشْرِكَيْنِ

٥٤ من صور الإحسانِ إلى الوالِدَيْنِ بَعْدَ وَفَاتِهِمَا:

٥٤ الصورةُ الأولى: قضاءُ التكاليفِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي عَلَيَّهَا

٥٥ الصورةُ الثانيةُ: الصَّدَقَةُ عَنْهَا

٥٥ الصورةُ الثالثةُ: الدُّعَاءُ لَهَا

٥٦ الصورةُ الرابعةُ: صَلَاةُ أَقَارِبِهِمَا، وَأَحْبَابِهِمَا

٥٧ التحذيرُ من عُقُوقِ الوالِدَيْنِ

- ٥٨ ٩- كُنْ فاعِلاً ٥٨
- ٥٨ الفاعليَّة من صفات الرجال ٥٨
- ٥٩ معنَى الفاعليَّة ٥٩
- ٥٩ كُنْ فاعِلاً ولا تُكُنْ عالَةً على غيرك ٥٩
- ٦٠ كُنْ فاعِلاً؛ مُبادِراً، ولا تُكُنْ متفَرِّجاً ٦٠
- ٦٢ كُنْ فاعِلاً؛ خيراً في نفسك، مُوصِلاً للخيرِ للآخرين ٦٢
- ٦٣ كُنْ فاعِلاً؛ كُنْ أنتَ، لا تُكُنْ غيرك ٦٣
- ٦٥ ١٠- آدابُ المتعلِّم ٦٥
- ٦٥ الحثُّ على طلب العلم، وبيان أهميَّته وفضيلته ٦٥
- ٦٦ خمسُ نصائحٍ إلى طلاب العلم: ٦٦
- ٦٦ النَّصيحةُ الأولى: تحسِين المقصد ٦٦
- ٦٧ النَّصيحةُ الثانيةُ: استِصْحاب الصَّبَر ٦٧
- ٦٨ النَّصيحةُ الثالثةُ: التَّقوى ٦٨
- ٦٩ النَّصيحةُ الرابعةُ: احْتِرام المُعلِّم ٦٩
- ٧٠ النَّصيحةُ الخامسةُ: احذِر رفاقِ السوءِ، وسرِّاقِ الوقتِ ٧٠
- ٧٣ ١١- رسائلُ للمُعَلِّمين والمُعَلِّمات ٧٣
- ٧٣ وصايا للمُعَلِّمين والمُعَلِّمات: ٧٣
- ٧٣ الوصيَّةُ الأولى: كُنْ مُحلِّصاً، واحتسِبِ الأجرَ، وانوِ الخيرَ ٧٣
- ٧٤ الوصيَّةُ الثانيةُ: كُنْ عامِلاً بعلمك ٧٤

- ٧٥ الوصية الثالثة: كُنْ مشجعاً لطلابك
- ٧٧ الوصية الرابعة: كُنْ بشوشاً مُبتسماً.
- ١٢ - الأواب** ٧٩
- ٧٩ صفة الأواب من صفات الرسل والأنبياء، والصالحين والأتقياء.
- ٧٩ من صفات الأواب:
- ٨٠ الصفة الأولى: إذا أذنب تاب في الحال
- ٨٢ الصفة الثانية: إذا أذنب لم يُجاهر بالذنب
- ٨٢ الصفة الثالثة: يحافظ على صلاة الصبح
- ٨٣ الصفة الرابعة: لا يقوم من المجلس حتى يُكفّر عما وقع في ذلك المجلس
- ١٣ - الجمعة؛ آداب وأحكام** ٨٥
- ٨٥ مسائل لها تعلق بيوم الجمعة:
- ٨٥ المسألتان الأولى والثانية: عظم ذلك اليوم، وأنه يوم عيد
- ٨٦ المسألة الثالثة: ميزه الله سبحانه وتعالى بميزة لا تجدها في سائر الأيام
- ٨٧ المسألة الرابعة: جعل الله ليوم الجمعة استعداداً خاصاً
- ٨٧ المسألة الخامسة: من دخل المسجد يوم الجمعة، يُشرع في حقه أن يُصلي ركعتين
- ٨٨ المسألة السادسة: إذا دخلت المسجد يوم الجمعة فلا تجلس في آخر الصفوف
- ٨٨ المسألة السابعة: لا يجوز لمن حضر الخطبة أن يتكلم
- ٨٩ المسألة الثامنة: إذا شعرت وأنت في خطبتك بالنعاس
- ٩٠ المسألة التاسعة: هل لصلاة الجمعة سنة قبلية، أو بعدية؟

- المسألة العاشرة: متى تُدرك الجمعة؟ ٩٠
- ١٤ - رفع الدرجات باليسير من الطاعات ٩١**
- اختلاف درجات أهل الجنة في الجنة ٩١
- أهم الأعمال التي ترفع درجات العبد في الجنة: ٩٣
- الطاعة الأولى: النية الصالحة الصادقة ٩٣
- الطاعة الثانية: إتمام الوضوء على المكاره، وكثرة الخطأ إلى المساجد ٩٤
- الطاعة الثالثة: كثرة السجود ٩٥
- الطاعة الرابعة: حفظ القرآن، والإكثار من قراءته ٩٥
- الطاعة الخامسة: الكلمة الطيبة ٩٦
- الطاعة السادسة: الذكر ٩٦
- الطاعة السابعة: الدعاء لوالدك أو غيره ٩٦
- الطاعة الثامنة: الصلاة على النبي ﷺ ٩٧
- ١٥ - أُمْنِيَاتُ الرَّاحِلِينَ ٩٨**
- إذا رحل العبد من الدنيا تجددت عنده الأمانى ٩٨
- من أمانى الصالحين أن يعلم قومهم جزاء الصالحين ٩٩
- من أمانيتهم أنهم يريدون أن يبشروا أهلهم بما لا قوا ١٠٠
- من أمانيتهم أن يردوا إلى الدنيا فيزدادوا صلاحًا على صلاحهم ١٠٠
- من أمانى الطالحين أن يعودوا إلى الدنيا فيزدادوا خيرًا ١٠١
- من أمانى الطالحين أنهم يتمنون ألا يروا أعمالهم، ولا يروا كتبهم ١٠٢

- ١٠٤ ١٦ - قَبْلَ أَنْ تَأْخُذَ دَيْنًا
- ١٠٤ الدَّيْنِ هُمْ بِاللَّيْلِ وَذُلُّ بِالنَّهَارِ.....
- ١٠٤ حَمْسَةُ ضَوَابِطَ قَبْلَ أَنْ تَأْخُذَ دَيْنًا:
- ١٠٤ الضَّابِطُ الْأَوَّلُ: حُرْمَةُ أَمْوَالِ الْآخِرِينَ.....
- ١٠٥ الضَّابِطُ الثَّانِي: التَّشْدِيدُ فِي شَأْنِ الدِّيُونِ
- ١٠٦ الضَّابِطُ الثَّلَاثُ: أَوْكَلَّمَا مَا اشْتَهَيْتَ اشْتَرَيْتَ؟!
- ١٠٧ الضَّابِطُ الرَّابِعُ: عَلَيْكَ بِنِيَّةِ الْوَفَاءِ.....
- ١٠٨ دَعَاءُ مَنْ أَرَهَقَهُ الدَّيْنُ.....
- ١١٠ ١٧ - ثَمَرَاتُ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ
- ١١٠ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ شِعَارُ الْمُؤْمِنِينَ.....
- ١١١ ثَمَرَاتُ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا:
- ١١١ أَوَّلًا: الْإِخْلَاصُ فِي الْعِبَادَةِ.....
- ١١١ ثَانِيًا: يَدْفَعُ إِلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ.....
- ١١٢ ثَالِثًا: يَحْوُلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَعْصِيَةِ.....
- ١١٢ رَابِعًا: يُكَدِّرُ لَذَّةَ الْمَعْصِيَةِ.....
- ١١٣ خَامِسًا: أَنْ يُمَكِّنَ الْخَائِفُ وَيَرْتَفِعَ شَأْنُهُ وَيَعْلُو قَدْرُهُ.....
- ١١٣ مِنْ ثَمَرَاتِ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ:
- ١١٣ أَوَّلًا: يَفُوزُ بِظُلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.....
- ١١٤ ثَانِيًا: الْأَمْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.....

- ١١٤ ثالثاً: الفوزُ بالجنةِ.
- ١١٦ - رَمَضانُ شَهْرُ الخِيراتِ ١١٦**
- ١١٦ من وجوه الخيراتِ في رَمَضانَ:
- ١١٦ الخَيْرُ الأوَّلُ: تُفْتَحُ الأبوابُ.
- ١١٧ الخَيْرُ الثاني: تُغْفَرُ الذنوبُ.
- ١١٨ الخَيْرُ الثالثُ: العتقُ مِنَ النارِ.
- ١١٩ الخَيْرُ الرابعُ: الفوزُ بالجنةِ.
- ١٢٠ الخَيْرُ الخامسُ: أَنَّ مَنْ خَتَمَ لَهُ بصيامٍ دَخَلَ الجنةَ.
- ١٢٠ الخَيْرُ السادسُ: الصائمُ يُعَدُّ فِي جُمْلَةِ الصَّديقينَ والشهداءِ.
- ١٢١ الخَيْرُ السابعُ: يُصَنَّفِي القلبَ مِنْ سُمومِ الأحقادِ.
- ١٢٢ - حَقِيقَةُ التَّوَكُّلِ عَلى اللَّهِ ١٢٢**
- ١٢٢ التَّوَكُّلُ عَلى اللَّهِ هُوَ عِبادةُ الأتقياءِ وَسَبيلُ الأنقياءِ.
- ١٢٣ التوكل على الله لا يُنافي الأخذَ بالأَسبابِ.
- ١٢٤ ثَمارُ التَّوَكُّلِ عَلى اللَّهِ:
- ١٢٤ الأمرُ الأوَّلُ: يُحَقِّقُ النَصَرَ فِي نَفْسِهِ.
- ١٢٥ الأمرُ الثاني: المتوَكِّلُ يُحَصِّنُ نَفْسَهُ بالتَّوَكُّلِ مِنْ شَرِّ شَياطينِ الإنسِ والجنِّ.
- ١٢٥ الأمرُ الثالثُ: مَنْ تَوَكَّلَ عَلى اللَّهِ ظَفَرَ بِالرِّزْقِ الحلالِ.
- ١٢٦ الأمرُ الرابعُ: المتوَكِّلُ عَلى اللَّهِ يظفرُ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ.
- ١٢٦ الأمرُ الخامسُ: يظفرُ المتوَكِّلُ عَلى اللَّهِ بِالجنةِ.

- الأمْرُ السَّادِسُ: المتوكِّلُ على اللهِ يَظْفَرُ بِمَطْلُوبِهِ ١٢٦
- ٢٠- حَالُنَا مَعَ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ ١٢٨**
- القرآنُ العَظِيمُ حَبْلُ اللهِ المَتِينُ ١٢٨
- القرآنُ العَظِيمُ كِتَابٌ هِدَايَةٌ وَنور ١٢٨
- القرآنُ كِتَابٌ شِفَاءٍ لِعِلَلِ النُّفُوسِ وَالأَبْدَانِ ١٢٨
- بدايَةُ تَنْزِيلِ الْقُرْآنِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ١٢٩
- سيرةُ السلفِ الصالحِ، كيفَ كانوا في رَمَضَانَ؟ ١٣٠
- القرآنُ يَجْعَلُ مِن قَلْبِكَ ربيعًا ١٣٢
- القرآنُ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ ١٣٣
- ٢١- كيفَ تَثْقُلُ مِيزَانُكَ؟ ١٣٥**
- العَاقِلُ مَنْ يَسْتَفِيدُ مِن أَيَّامِ عُمُرِهِ لِيُثْقَلَ بِهَا مِيزَانُ حَسَنَاتِهِ ١٣٥
- بعضُ الأمثلةِ فِي تَحْقِيقِ جَوَابِ كيفَ تَثْقُلُ مِيزَانُكَ: ١٣٦
- الأوَّلُ: حُسْنُ الخَلْقِ ١٣٦
- الثاني: الصلاةُ ١٣٦
- الثالثُ: الصدقاتُ ١٣٨
- الرابعُ: حَسْنُ تِلَاوَتِكَ للقرآنِ الكَرِيمِ ١٣٩
- الخامِسُ: الذُّكْرُ ١٤٠
- السادسُ: اتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وَالصلاةُ عَلَيْهَا ١٤٢

- ٢٢ - حقيقة الصوم ١٤٣
- ١٤٣ الصيام في لغة العرب
- ١٤٤ بعض الأمور التي أرادنا الله تبارك وتعالى أن نُمسك عنها:
- ١٤٤ النوع الأول: الإمساك عن إيذاء الآخرين
- ١٤٧ النوع الثاني: الإمساك عن قول الباطل
- ١٤٨ النوع الثالث: الإمساك عن الشهوة المحرمة
- ١٤٩ النوع الرابع: الإمساك عن أكل الحرام
- ٢٣ - انتبهوا من مَصيدة المسكراتِ وفتح المخدرات ١٥١
- ١٥٢ رسائل إلى من وقع في مَصيدة المسكراتِ وفتح المخدرات:
- ١٥٢ الرسالة الأولى: اجتنبوا الخمرَ فإنها مفتاح كل شر
- ١٥٣ الرسالة الثانية: الخمر تمنع من دخول الجنة
- ١٥٤ الرسالة الثالثة: الحذر من سلب الإيمان
- ١٥٥ الرسالة الرابعة: اجتنبوا الخمر؛ فسيبها تنزل اللعنات
- ٢٤ - حلاوة الطاعة ١٥٧
- ١٥٧ من نعم الله علينا أن نجد للطاعة لذة
- ١٥٩ ثلاثة أمورٍ للشعور بحلاوة الطاعة:
- ١٦٠ الأمر الأول: أكثر من مجاهدة نفسك على فعل الطاعة
- ١٦١ الأمر الثاني: أكثر من صلاتك، نفلها وفرضها
- ١٦١ الأمر الثالث: أكثر من ذكر الله

٢٥- كَسْبُ الْقُلُوبِ لَا كَسْبُ الْأَصْوَاتِ ١٦٣

١٦٤ وسائل شرعية لكسب القلوب:

١٦٤ الوسيلة الأولى: احرص على كسب محبة الله

١٦٥ الوسيلة الثانية: احرص على أن تزهد فيما في أيدي الناس

١٦٦ الوسيلة الثالثة: احرص على أن تبدل السلام على الجميع

١٦٧ الوسيلة الرابعة: احرص على أن تكون من المحسنين

١٦٧ الوسيلة الخامسة: أخبر من تحب أنك تحبه

٢٦- عِبَادَةُ جَبْرِ الْخَوَاطِرِ ١٦٩

١٦٩ فضل جبر الخواطر

١٧٠ شواهد من سيرته ﷺ، وهو يرشد إلى أهمية جبر الخواطر:

١٧٠ الأول: «لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَتُؤْذُوا الْأَحْيَاءَ»

١٧٠ الثاني: «فَمَنْ أَمَّ قَوْمًا، فَلْيُخَفِّفْ»

١٧٠ الثالث: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ..»

١٧١ الرابع: «لَا يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ..»

١٧١ الخامس: «إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوَّلَ»

١٧٢ السادس: «وَلَكِنَّ ابْنِي ازْتَحَلَنِي..»

١٧٣ السابع: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تُعْطِيَ صِلَةَ الْحَبْلِ..»

١٧٣ الثامن: «لَا تُدِيمُوا النَّظَرَ إِلَى الْمَجْدُومِينَ»

١٧٤ خبر أبي عثمان النيسابوري وأرجى عمل عملة؟

٢٧- لا تفرحوا بالولايات فإنها أماناتٌ ١٧٥

- ١٧٥ المناصبُ والولاياتُ تكاليفُ، وأماناتٌ يُسألُ عنها العبدُ
- ١٧٦ الأمانةُ ثقيلةٌ، خشيتها السمواتُ والأرضُ والجبالُ
- ١٧٧ التحذيرُ الشديدُ من خيانةِ الأمانةِ في الولايةِ
- ١٧٧ الأمانةُ في الولايةِ دليلُ صدقِ الإيمانِ
- ١٧٩ بشائرٌ لمن حفظَ أمانةَ المنصبِ:
- ١٧٩ البشري الأولى: يزرع الله في قلبه محبةَ الله ورسوله
- ١٧٩ البشري الثانية: حفظه الله، وحفظ له أهله وذريته من بعده
- ١٨٠ البشري الثالثة: ضمن الله له الجنة

٢٨- حبُّ الوطنِ أمانةٌ ١٨١

- ١٨١ حبُّ الأوطانِ جُبلت عليه النفوسُ
- ١٨٣ علامات حبِّ الأوطانِ:
- ١٨٣ العلامة الأولى: أن تحفظ هويةَ وطنك
- ١٨٤ العلامة الثانية: أن تكونَ صالحًا في نفسك
- ١٨٤ العلامة الثالثة: تجنب الفسادِ
- ١٨٥ العلامة الرابعة: أن تتقنَ عملك
- ١٨٥ العلامة الخامسة: أن تدعوَ للوطنِ في سرِّك، وجَهْرِك
- ١٨٦ العلامة السادسة: أن تسعى في تماسكهِ، ووحديتهِ
- ١٨٦ العلامة السابعة: الالتفافُ حولَ وليِّ الأمرِ، ونصرتُهُ، وتوقيره

- ١٨٧ العَلامَةُ الثَّامِنَةُ: أن تُدافعَ عَنِ الوِطَنِ.
- ١٨٩ **٢٩- ولا تَسْتَوِي الحِسنَةُ ولا السَّيِّئَةُ**
- ١٨٩ انقِسامُ النَّاسِ في انقِياذِهِم لأوامرِ اللهِ ونواهيهِ.
- ١٩٠ العَمَلُ هو الَّذي يُمَيِّزُ العامِلَ، ويُحدِّدُ المَالَ.
- ١٩٠ أمثلةٌ مِنَ الأَعْمالِ التي تُحدِّدُ مالَ العَبْدِ:
- ١٩٠ المِثالُ الأوَّلُ: ذِكرُ اللهِ.
- ١٩٢ المِثالُ الثاني: الدَّعوَةُ إلى اللهِ.
- ١٩٤ المِثالُ الثالثُ: الذَّبُّ عَنِ أَعراضِ المُؤمِنينَ والمُؤمِناتِ.
- ١٩٦ **٣٠- السَّمْتُ الحَسَنُ**
- ١٩٦ فَضْلُ السَّمْتِ الحَسَنِ.
- ١٩٧ أربَعُ عَلاماتٍ يُعرَفُ بِها صاحِبُ السَّمْتِ الحَسَنِ:
- ١٩٧ العَلامَةُ الأوَّلِي: التَحَدُّثُ بِبِئعَةِ اللهِ.
- ١٩٨ العَلامَةُ الثانيَّةُ: الاعتِدالُ في كُلِّ شِئٍ.
- ١٩٩ العَلامَةُ الثالثَةُ: تَرَكَ فُضولِ كُلِّ شِئٍ.
- ٢٠١ العَلامَةُ الرابعَةُ: المِروءَةُ.
- ٢٠٢ **٣١- الحِياةُ فُرِصَةٌ**
- ٢٠٢ الحِياةُ فُرِصَةٌ لِلجادِّينَ في طَلَبِ أَعاليِ الجِنانِ.
- ٢٠٢ الحِياةُ فُرِصَةٌ لِمَن اسْتَغَلَّها في خَيريِ الدُّنيا والآخِرةِ.
- ٢٠٤ خَمسُ فُرُصٍ يَعبُها خَمسُ عَوائِقَ.

٢٠٦	فرصة الإقبال على الطاعة
٢٠٦	فرصة التحلُّل مِنَ المظالم
٢٠٧	فرصة التوبة إلى الله
٢٠٩	فهرسُ الموضوعات

